العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل – هاتف (٢٤٣٢ معمر)
الرياض – المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء الأول – السنة الرابعة – رجب ١٣٨٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٩

دارات العرب

– ١ –

نحاول في هذه الكلمة تحديد مواقع الدارات، اكالا لما كتبه الاخ الاستاذ عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ببحثه المنشور بعد هذا المقال :

ومن أدق ما ورد عن المتقدمين في تحديد الدارة قول أبي علي الهجري : الدارة النبكة السهلة حفتها الجبال، ومقدار الدارة خمسة اميال في مثلها [١] .

اما لماذا حفل الشعر القديم بذكر الدارات؟! فذلك لأن القوم يتخذونها منزلا لهم لاتصافها بكل الصفات الملائمة للمنزل، فهي لينة سهلة لمبارك الابل، ولمرابض الغنم، ولجلوس القوم، ثم هي مرتفعة عن مجاري السيول، محاطة بتلال او جبال تحمي من الرياح في الغالب، ولخصوبة أرضها، فهي مرتع للبهم والغنم، وملعب للصبي، وهي في الوقت نفسه متسع لأكبر عدد من بيوت الحي .

وفي الكتب الجغرافية اسماء كثير من الدارات ولكن التصحيف والتحريف دخلها كغيرها من أسماء المواضع، ولهذا فان مما ينبغي على الباحث الاهتمام به التحقق من صحة الاسم، وسنأتي على اسماء ما عرفناه منها مع ذكر ما نلاحظه .

---

(١) كتاب « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ص : ٣٨

١ – دارة اجد :

ذكر هذه الدارة ياقوت نقلاً عن ابن السكيت ، وارى ان كلمة أجد تحريف (اجأ) وان هذه الدارة هي دارة بحتر ، القبيلة الطائية واجأ أشهر جبل في بلاد طي كما هو معروف وبحتر لهم دارة سيأتي ذكرها .

٢ – دارة الآرام :

ذكرها ياقوت واورد شاهداً عليها قول البرج بن خنزير التميمي :

فأبرق وأرعد لي إذا العيس خَلّفت
بنا دارة الآرام ، ذات الشقائق

يخاطب الحجاج ، حينما ألزمه البعث الى المهلب لقتال الازارقة ، فهرب إلى الشام واذن فهذه الدارة تقع بين العراق والشام ، وليست في بلاد الضباب كما ذكر ياقوت وبلاد الضباب لا تقع بين مكة والمدينة بل في قلب نجد مكتنفة ضَرية . ولهم بلاد في نواحي تربة . أما الجبل المسمى بآرام ، فهو في بلاد بني سُلَيم . وللضباب قُنّةٌ سوداء ، في بلادهم تدعى ذات آرام ، ويلاحظ أن الآرام حجارة تنصب فتكون كالعلم ، ولهذا يكثر اطلاق الاسم وصفاً لا علما .

ومما يلاحظ أيضاً وجود موضع يدعى ذات آرام ، بقرب نَمَلى ، ورد فيه قول الشاعر :

وفي ذات آرامٍ خِبُوءٌ كثيرة
وفي نَمَلى – لو تعلمون الغنائم

ونَمَلىَ هذه لها دارة من دارات العَرَب المشهورة – كما سيأتي .

٣ – دارة الاسواط

نقل ياقوت انها بظهر الابرق بالمضجع وانها برقة بيضاء لبني قيس بن جزء ابن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، والاسواط مناقع المياه ، ولم يحدد المضجع في كتابه تحديداً وافياً ، غير انه اكتفى بما أورد عن أبي زياد من وصف المضجع بأنه خير بلاد أبي بكر وأكبرها ، وانه يسمى المضاجع ايضا .

ويفهم من كلام مؤلف كتاب « بلاد العرب » ، بأنه أرض واسعة ، فيها جبال ورمال ومياه وانه لبني ابي بكر خاصة ، كما يفهم من تحديده انه يقع في عالية نجد غرب جبال عرض شمام (القويعية) وشرق أودية سبيع أي في مفيض وادي الخرمة وما حوله وجنوب غرب منهل عفيف، ويقع منهل سجا وما حوله في المضجع ، ومن جبال بني ابي بكر هؤلاء العرايس والاخرج ، ولا يزالان معروفين والاشرج يدعى الخرج من قبيل تسهيل الهمزة .

وللهجري كلام يوضح موقع المضجع ، فقد قال :

المظاة : بئر بعيدة القعر ، عذبة ،بالمضجع بين رمـــل السُّرة وبيشة ، والى جانبها الأرومة والكهفة قريبا [١]

ومن أودية المضجع خنثل على ما ذكر مؤلف كتاب « بلاد العرب » [٢] وخنثل واد عظيم لا يزال معروفاً جنوب غرب سجا .

٤ ـ دارة الأكوار :

قال عنها ياقوت انها في ملتقى دار ربيعة بن عقيل ، ودار نهيك ، وذكر ان الاكوار جبال ، وعـــن تعريفه نقل من جاء بعده كصاحب القاموس وشارحه .

والذي ألاحظ ان كلمة (نهيك) تحريف (نهد) مع ان الذين نقلوا عـن ياقوت اوردوا اللفظ كما أورده ، ولكننا لا نجد فيما بين أيدينا من كتب النسب اسم نهيك يطلق على قبيلة ، ونلاحظ ان ربيعة بن عقيل كانت منازلهم في الجنوب الشرقي من اطراف الحجاز المتصلة بنجد ، وانهم يجاورون بني جشم من الغرب ، ويشاركونهم في منهل بُريم الواقع بقرب جبل حضن ، وبنو نهد يسكنون في الأودية الواقعة في الجنوب الشرقي من حضن المنحدرة من سراة عسير . وإذن فهم قريبون من بلاد بني ربيعة بن عقيل .

٥ ـ دارة الأسود :

وهذه الدارة تقع بقرب بلدة ضرية تبعد عنها على طريق المدينة « ١٩

(١) : « ابو علي الهجري » : ٣٢٤

(٢) ص ١٦٢

ميلاً قال الهجري : وكان سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق احتفر عيناً على ميل من حَفْنر بني الأدرم ، وأجرها ، وغرس عليها نخلاً كثيراً ، وازدرع ، وبنى هناك دارة تُدعى بدارة الأسود ، لأنها بين جبل عظيم أسود ، ورَمْلة[1].

٦ - دارة أهْوَى :

ذكرها ياقوت : وقال بأنها من أرض هجر ، وأورد من الشواهد قول الراعي :

تهانفت واستبكاك رسم المنازل
بدارة أهوى ، أوْ بسوقة حائل

وأورد أيضاً : أهوى ما لبني قتيبة الباهليين. ولما تكلم على أهوى أتى بما قال هنا من انها بأرض هجر ، وأورد بعده عن الحفصي عالم اليمامة ومؤلف الكتاب الذي هو من مصادر ياقوت عن تحديد مواضعها أورد عنه أن أهوى بأرض اليمامة من بلاد قشير ، وأورد عن نصر أنها من المروت . والقول الاخير هو الصواب ، وهو الذي ينطبق عليه الشاهدان للذان ذكرهما ياقوت للنابغة الجعدي وللراعي ، وانظر لتحديد موقع أهوى كتاب « بلاد العرب »[2].

٨ - دارة باسل :

أورد اسمها ياقوت نقلاً عن ابن السكيت قائلاً : ولم أظفر لها بشاهد وما أظنها الا دارة ماسل انتهى . وهو رأي صحيح .

٩ - دارة بتيل :

لم ار لها ذكراً ولكنني أعتقد بأن هذه الدارة هي ما سماه ياقوت دارة تبل ، فتصحف الأسم على المتقدمين ، وانظر ما سيأتي بعد .

---

(١) : كتاب « ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ص ٢٥٤
(٢) - ص : ٣٦٤ و ٣٦٦ .

١٠ — دارة بحتر :

قال ياقوت وسط جبل اجأ احد جبلي طي قرب جوّ ، وساق نسب بحتر إلى طي ، وهو معروف ، وأرى أن جوا هذا الذي يعنيه هو الواقع في جوف اجا ، الذي ورد في شعر القائل :

واجأً وجوها فؤادهـــا إذا الفتي كان انخضادها

وجو هذا قرية لا تزال معروفة ذات نخل كثير .

١١ — دارة بدوتين :

ذكر ياقوت انها لربيعة بن عقيل ، وان بدوتين هضبتان بينهما ماء ، وتقدم ذكر بلاد ربيعة بن عقيل ، عند ذكر دارة الأكوار .

١٢ — دارة البيضاء :

اسم البيضاء يطلق على عدة مواضع ، ودارة البيضاء قال عنها ياقوت : الجثوم ماء لبني الأضبط يصدر في دارة البيضاء . وإذَنْ البيضاء هذه بقرب الجُثُوم ، وجثوم بني الأضبط هؤلاء مَنْهَلٌ غرب بلدة ضَرِيَّة لا يزال معروفاً ، وهو غير بيضاء بني عقيل الذين تقع بلادهم في غرب نجد وجنوبه ، ويفصل بينهم وبين بني الأضبط أفخاذ بني كلاب المديدة .

١٣ — دارة تيل :

ذكرها ياقوت ، وأورد تعريفاً لِتِيل ، وشاهداً من قول ابن مُقبِل :
لِمَنِ الدِّيارُ بجانب الأحفارِ فَتِيلُ دَمْخٍ ، أو بسفح جُرارِ
والذي يظهر لي : ان تِيل هو تحريف بَتِيل ، سقطت الباء فيما نقل عنه ياقوت ، ذلك :

١ — أن الشاهد الذي أورده هنا صواب قراءته : فَبَتِيل دَمْخٍ — بفتح الباء باعتبارها من أصل حروف الاسم ، والفاء حرف عطف لا حرف جرّ .

٢ — أن الوصف الذي أورده ينطبق على جبل البتيـــل الذي لا يزال

معروفاً ، وجملة (من وراء تُرَبة) تصح بالنسبة للتكلم إذا كان في غرب الجزيرة ، بمكة وحولها ، فتنطبق على جبل البتيل .

٣ ـ أن ياقوتاً نفسه أورد تعريفاً مقارباً لهذا البتيل فقال : جبل أحمر ، يناوح دَمْخاً من ورائه ، في ديار بني كلاب ، وهناك قليب يقال لها البتيلة .

٤ ـ أن الشاعر أضاف الاسم الى دَمْج ، والقريب من دَمْخ هو البتيل ، ولا يزال معروفاً ، كأنه انبتل من دَمْخ ، أي انقطع .

٥ ـ أننا إذا قلنا بأنه من وراء تربة بالنسبة الينا فإنه يكون بعيداً عن جبل دَمْخ المعروف لدينا ، بُعداً شاسعاً فجبل دَمْخ من جبـــال الميرْض (عرض القويعية) وتُرَبة بعيدة عن تلك الجهات ، فضلاً عمّا وراءها .

١٤ ـ دارة الجأب :

الجأب لبني الهُجيم بن عمرو بن تميم ، ومنازل هؤلاء تقع في شرقي القصيم ، مجاورين لإخوتهم بني أُسَيّد ، فمن منازل بني الهجيم الباقية : حنيظـــل ، والموسمة (الموشزية) وكان لهم قرية مشهورة من منازل الحجاج ، تقع شرق حنيظل في جوف الرّمال (النفود) تسمى السُّمَيْنة .

والجأب في اللغة : المَغْرة ـ الطينة الحمراء التي تصبغ الثياب ـ وهكذا طبيعة كثير من القرى لواقعة في تلك الجهات .

١٥ ـ دارة الجثوم :

قال ياقوت عن هذه الدارة بأنها لبني الاضبط بن كلاب وان الجثوم ماء لهم ، يصدر في دارة البيضاء .

ولهذا أرى انها هي دارة البيضاء المتقدم ذكرها .

١٦ ـ دارة جُلْدَى :

دارة جُلْدّى ، ودارة جُهْد: ذكرهما ياقوت وأورد الشاهد عليهما واحداً من شعر الأفوه الأودي ، أورده بصيغتين :

١ – بدارات جُدّى، أو بصارات جنبل   الى حيث حَلّت من كثيب وعزهل

٢ – بدارات جُهْدِ .. الخ . قائلاً : كذا وجدته في شعر الأفوه .

ولعدم تحقق ياقوت صحة الاسم لم يورده في موضعه من كتابه .

أما القول بأن جُدّى جبل بنجد في ديار طيّء فيردّه أن بلاد بني أود في أطراف الحجاز الجنوبية المتصلة باليمن .

١٧ – دارة جُلجل :

هذه من أشهر الدارات أورد ياقوت في تحديدها :

١ – قول ابن السكيت في شرح قول امرىء القيس :

ألا رُبّ يَوم لَكَ منهن صالحٌ   ولا سيّما يَوم بدارة جُلجُل

قال : دارة جلجل بالحمى . ونقل مثل ذلك عن الأصمعي وابي عبيدة .

٢ – ويقال بغمر ذي كندة .

٣ – وقال ابن دريد في كتاب « البنين والبنات » : دارة جلجل بين شُعَبى ، وبين حسلات ، وبين وادي المياه وبين البَرّدّان ، وهي [في] دار الضباب ، مما يواجه نخيل بني فزارة .

٤ – ونقل عن الأصمعي بأنها من منازل حُجر الكندي ، بنجد .

٥ – وأورد في دارة واسط بيتاً يدل على تقارب الدارتين .

هذا ملخص ما أورد ياقوت في تحديدها ، على ان الهجري ، وهو ممن عرف نجداً معرفة مشاهدة وعلم ، قال عن دارة جلجل : وجلجل يمانيّةٌ من دور بني الحارث بن كعب [١] ، وأرى ان الصواب مع الهجري ، إذ لو كانت في الحمى لكثر ذكرها على ألسنة شعرائه ، على أننا

---

(١) كتاب « ابو علي الهجري » ص ٢٨٠ .

نجد قولاً للاصمعي ، وهو يحدد موضع ممكة حجر الكندي بنجد بقوله : مـا بين طمية الى حمى ضرية إلى دارة جلجل من العقيق الى بطن نخلة الشامية فهذه العبارة إن كانت صحيحة تدل على أن دارة جلجل ليست كما حددهـا ابن دريد ، ذلك التحديد الدقيق، بين مراضع لا تزال كلها معروفة في غرب بلدة ضرية وقد أورد ياقوت أيضاً لابن دريد قوله : ابردان ماء للضباب قرب دارة جلجل ، والبردان هذا يقع بقرب وادي المياه ، الواقع غرب ضرية ، والذي هو جزء من وادي الجريب .

١٨ – دارة الجُمُد

الجماد : الحجارة واحدها جُمد ، قال عمارة :

ألا يا ديار الحي من دارة الجُمُد سَلمتِ على ما كان من قدم العهد

وقد ذكر طفيل الغنوي موضعاً بسكون الميم :

وبالجُمْد إن كان ابن جُندع قد ثوى يُسنّى عليه بالصفائح والحجب

ولا أعرف شيئاً عن تحديد هذه الدارة .

١٩ – دارة جهد

انظر دارة جدّي

٢٠ – دارة جودات

اوردها ياقوت ، وأورد شاهدها من قول الجُميح ، وهو منقذ بن الطمّاح الأسدي :

إذا حللتُ بجودات ودارتها وحال دوني من حوّاء عِرنينُ
عَرَفتُمُ أنّ حتفي غير مُنتزَع وأن سِلمكم سَلم لها حينُ

والغريب ان ياقوتا لم يذكر (جودات) في موضعها من كتابه .

أما الزبيدي – والله يغفر لنا وله – فانه في تحديد المواضع لا يكاد يبصر

موقع قدمه ، ومزيّة كتابه محصورة في النقل والجمع ، فليته ذكر المصدر ، على أن مما يقوي قوله – وهو ضعيف – ان الجميح أسدي ، وبلاد بني أسد مجاورة لبلاد طيّء ، الا ان حودات وحوّاء لا نرى لهما ذكراً فيما بين أيدينا من الكتب في المواضع التي تضاف الى بني أسد .

٢١ – دارة الخُزْرَج

أرى صواب الاسم هنا بضم الخاء – لا كما ذكر ياقوت – ما دام شاهده قول المخبل السعدي التميمي :

مُحَبَّسة في دارة الخُزْرَج لم تَذُقْ بِلالاً ، ولم يسمح لها بِتَحجيل

والخُزْرَج هنا كما نقل ياقوت عن الحازمي : وادٍ في ديار بني تميم لبني كعب ابن العنبر ، بأسافل الصمان . وجاء في « شرح ديوان الحطيئة » : قال عمارة الخُزْرَج عن يسار القبلة من اللِّهَابة لهابة كعب بن العنبر ، بأسفل الصمان أما بلاد الخَزْرَج – بفتح الخاء – فالمياه وعلف الدواب فيها كثير جدا .

٢٢ – دارة الخَلاءة

وهو الحَرَن في الناقة كذا قال ياقوت ولم يزد ، ولهذا يصح القول بأن الاسم لا يزال بحاجة إلى تصحيح ، فضلا عن معرفة مُسَمّاه .

٢٣ – دارة الخنازير

٢٤ – دارة خَنْزَر

٢٥ – دارة الخَنْزَرَتَين

٢٦ – دارة الخنْزَرْين

٢٧ – دارة الخِنْزِيرَتين

– دارة الخنازير : لا يبعد أن تكون التي بعدها إلا أن المُجَيّر هكذا جاء بها :

ويوماً بدارات الخنازير لم يُنل   من الطمأنينين إلاّ المشرّد

ــ ولكن الشعراء كثير ما يزيدون في الاسم او ينقصون لوزن الشعر

وفي دارة خنزر قال الجعدي :

ألمّ خيال من أميمة موهنا   طروقا واصحابي بدارة خنزر

وقال السكري : خنزر : هضبة في ديار بني كلاب، قال عبدالله بن نزالة :

أيمنعني التقوى اذا ما أردتها   سديف يجني خنزر فجباجب ؟

الجباجب شيء يصنع من الجلد .

وأورد ياقوت للحطيئة :

إن الرزية لا ابالك هالك   بين الدماخ وبين دارة خنزر

وعن دارة الخنزرين : قال ياقوت: من مياه حمل بن الضباب في الأرطاة، ويقال دارة الخنزيرتين وقال ابن دريد : الخنزرتين ، وربما قالوا في الشعر دارة الخنزر ، وهي لبني حمل من من الضباب ، والارطاة تصدر فيها وهي ماءة للضباب .

وأقول ان هذه الاسماء الخمسة تنطبق على دارة واحدة تسمى الآن دارة خنزير ، ودارة الجنيح ، والدارة بدون اضافة ، وتقع في طرف نفود الشرّة حيث يحدها شرقاً وشمالا ، ويحدها من الشمال الغربي نفود الصخة ، ويقع منهل الصخة بينها وبين هذا النفود ، ويقع في طرفها الجنوبي جبل خنزير ، ومن هنا كانت التسمية ، وفي طرفها الشمالي جبل الجنيح (كذا ورد مرسوماً على المصور الجغرافي) والدارة أيضاً مرسومة وتقع على الدرجة ٢٣/١٠° و ٤٣/٥٠° ، وهي أشهر الدارات في بلاد نجد .

للبحث صلة

حمد الجاسر

دارات العرب في تراثهم الجغرافي اللغوي

- ١ -

١ - تمهيد :

إذا علمنا أن الجزيرة العربية كانت المستراد الأول للغة العربية الأصيلة ، والمنطلق النيّر لدعوة الرسول ﷺ ، والنبع الثرّ للثقافة العربية والاسلامية ، فإن الواجب يحتم علينا أن نُعنى بدراسة هذه الجزيرة بمختلف جوانبها ، وأن نستجلي دقائق ما غمض علينا من معالمها وقد درسها الأولون من قبل دراسة وافية من الوجهة التاريخية والأدبية والجغرافية ، وتركوا لنا في ذلك مصنفات قيّمة ، فكان من حقنا القيام بإحياء ما درسوه وعرضه وتحليله ، ليتم لنا بذلك استكناه حلقات لا تزال مفقودة من تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية ، وإذا لم نقم نحن بهذا العبء فمن يقوم به إذن ؟ هل ننتظر من المستشرقين البعيدين عن أرضنا وتاريخنا أن يحدّثونا عن جزيرتنا ونحن ألصق بها وأولى بمعرفتها ؟!

على ان ثمت جانباً من جوانب جغرافية هذه الجزيرة تتوجب علينا معرفته والالمام به حيث يفتقر اليه الدارس لأدب الجزيرة وتاريخها وجغرافيتها ذلك هو الاعلام المكانية والموضعية التي ترد في أشعار العرب وأخبارهم ، فقد زخر بها الشعر الجاهلي والاسلامي وبعض الشعر الاموي ، ولعل ذلك راجع الى ما تقتضيه الحياة العربية الصحراوية التي لا تعرف الى الاستقرار سبيلا ، فقد كان العرب يظعنون متنقلين من موضع الى آخر لا يضعون عصا الترحال الا حيث يستقر بهم المقام حينا من الزمن من موضع معشوشب ثرّ الماء فاذا ما أحسوا بالقحط والجفاف شدوا رحالهم ، واستقلوا ابلهم ميممين شطر موضع آخر يجدون فيه بغيتهم .

وهكذا كثرت الأماكن والمواضع التي كانوا يحلون بها ، وكثيراً ما كانوا يميزونها بأسماء تعرف بها . كسقط اللّوي ، والدّخول وحَومَل ، وتُوضِح والمِقراة ، وهي من منازل بني كلاب ، وكالدّرّاج ، والمُتَثلم موضعان بالعالية وغير ذلك من اسماء المواضع والبقاع التي يتردد ذكرها في أشعارهم ،

والتي ليس لنا غناء عن معرفتها إذا أردنا تفهُّمَ الشعر الجاهلي على وجه الخصوص إذ لا تكاد تخلو من اسماء هذه المواضع والبقاع قصيدة من قصائده « ومن ذا الذي يستغني من أولي البصائر عن معرفة الأماكن وتصحيحها ، وضبط أصقاعها وتنقيحها، والناس في الافتقار الى علمها سواسية، وسر دورانها على الألسن والمحافل علانية » [1] وليس من الصعب أن نصل الى معرفة هذه المواضع والأماكن بعد أن قام بعض اللغويين العرب منذ القرن الثاني بجمعها في كتب مؤلفات ذات اختصاصات مختلفة ، منها ما يختص بمياه العرب ومناهلهم ، ومنها ما يختص بمنازل العرب وقبائلها ، ومنها ما يختص بالجبال والحرار والأودية والدارات ، ومنها ما يتحدث عن بلاد العرب بصفة عامة، وقد كانت هذه المؤلفات والكتب مصدراً أساسياً لمعجمين عظيمين ؛ همـا « معجم مـا استعجم من اسماء الأماكن والبقاع » للبكري ، و « معجم البلدان » لياقوت الحموي ، فقد استوعب هذان العَلَمان جُلَّ ما وقع تحت أيديهما من نفائس تلك الكتب والرسائل ، فضمنا بذلك أكبر عدد ممكن من اسماء الأماكن والبقاع الواردة في الشعر العربي والحديث النّبوي وغيرهما ، ولم يقتصرا على ذلك بل تطرقا إلى المدن الكبيرة والبلدان والعواصم .

ولقد كان من بين الأماكن التي وطئتها أقدام العرب ووردت في شعرهم مواضع تتميز بوطاءة أرضها واتساعها ، واستدارة رمالها واحاطة الجبال بهـا أطلقت عليها العرب اسم الدارات فحق لها من الاهتمام بها والقيام بجمعها مـا لغيرها من المواضع والبقاع ، فأفرد لهـا بعض اللغويين كتباً خاصة بها جمعوا فيها ما أمكنهم جمعه من اسمائها مستشهدين بما ورد فيها من الشعر كما أفرد لها كل من البكري والحموي في كتابيهما صفحات عديدة تحدثا فيها عنها، ونحن هنا نحاول تتبع هذه الدارات في تراث العرب الجغرافي اللغوي لنتبين تعريفها وعددها، وما أهمية دراستها ، ومن أفرد لها بالتأليف أو تحدث عنها ، ونريد بقولنـا من تراث العرب الجغرافي اللغوي ذلـك الاتجاه اللغوي للتأليف في المواضع والبلدان ، والذي أخذ في الظهور منذ القرن الثاني الهجري ، وقام به بعض

(١) مقدمة معجم البلدان (١ / ٨) .

اللغويين العرب ثم اخذ يتدرج إلى أن وصل إلى القمة عند البكري في القرن الخامس وعند ياقوت الحموي في القرن السابع بكتابيهما المعروفين وقبل أن نشرع في الحديث عن الدارات يحسن بنا ان نذكر شيئاً عن أهمية دراستها ، فكأني بسائل يسأل : ما هي أهمية هذه الدارات وقيمتها حتى ندرسها ونلم بمعرفتها ؟ ولعل الإجابة واضحة . فمما لا ريب فيه ان الدارس للأدب الجاهلي بصفة خاصة يواجه الكثير من اسماء الأماكن والبقاع التي يحفل بها الشعر الجاهلي سواء أكانت جبالاً أم حِراراً أم مناهل ومياهاً أم بلاداً ومدناً أم غير ذلك ، فلا بد لكي يفهم هذا الشعر من الالمام بمعرفة ما يرد فيه من اعلام المواضع ذلك لأنها تمثل البيئة الجاهلية ، والشعر دعامة للأدب وثيق الصلة ببيئته ، عنها ينبع ومنها ينبثق .

ولا جرم ان الدارات تشكل جزءاً من البيئة العربية الجاهلية جرت للعربي فيها أحداث وذكريات عبر عنها في أبيات من الشعر ، وانطلاقاً من هذا المفهوم نرى ان أهمية دراسة الدارات ترجع الى ثلاث قيم : ـ

١ ـ القيمة الأدبية :

عرفنا فيما سبق ان الشعر الجاهلي حافل بالكثير من اسماء المواضع والبقاع ، وان هذه المواضع والبقاع تمثل البيئة العربية التي انبثق عنها ذلك الشعر الجاهلي الذي يتوقف فهمه الى حد كبير على معرفة ما اتصل به من الأعلام الموضعية والمكانية ، وإذا عرفنا هذا يسهل القول : بأن القيمة الأدبية تأتي من حيث انها تشكل جزءاً من البيئة العربية التي لا يمكن ان نفهم ما انبثق عنها من شعر قبل أن ندرسها ونتعرف عليها ، وقد كان للدارات نصيب لا بأس به من ذلك الشعر .

٢ ـ القيمة الجغرافية :

وتتضح القيمة الجغرافية للدارات اذا علمنا انها كانت تشغل أجزاء متفرقة من بلاد العرب حلوا في رحابها وأقاموا فيها ، فكان لهم منها ما هو ماء للضباب وبني جعفر ، وما هو جبل في ديار بني أسد ، ومنها ما هو من منازل

همدان باليمن ، ومنها ما فيه نخيل لبني مرة بن عوف ، فلا غناء اذن لدارس الجزيرة العربية في غابر عصورها عن الالمام بمعرفة هذه الدارات لتكون دراساته شاملة ودقيقة .

٣ — القيمة التاريخية :

أما القيمة التاريخية للدارات فلأن منها ما كان مسرحاً لأحداث تاريخية جرت لبعض العرب ، كما هو الحال في دارة مأسل التي كانت ميدانا لوقائع يوم من أيام العرب ، بين بني ضبة وبني كلاب يدعى بيوم مأسل ، وقد أشار الى احداث هذا اليوم البكري في معجمه [١] عند حديثه عن دارة مأسل ، وابن عبد ربه الاندلسي في « العقد الفريد » [٢] .

والى جانب هذه الحادثة نجد حادثة أخرى ومن نوع آخر جرت على أرض دارة جُلجُل ، تلك هي قصة الشاعر الجاهلي امرىء القيس مع معشوقته ابنة عمه عنيزة بنت شرحبيل وبعض نساء الحي ، وقد أشار اليها في معلقته بقوله :

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح ولاسيما يوم بدارة جُلجُل
ويوم عقرتُ للعذارى مطيتي فيا عجباً من كورها المتحمَّل
فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهُدّاب الدمقس المفتّل
ويوم دخلت الخدر خدر عُنيزة فقالت: لك الويلات إنك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً : عقرت بعيري ياامرأ القيس فانزل
فقلت لها : سيري وأرخي زمـــامه ولا تبعديني من جناك المُعلل

على ان هذه القصة قد رويت منثورة في بعض كتب الأدب [٣] بصورة أخرى زاد فيها الرواة زيادة لا نجدها في معلقة امرىء القيس ، مما يجعلنا نشك في صحة ما زادوا فيها ، ومن قبل شك الدكتور بدوي طبانة [٤] في صحة القصة المروية بكاملها ، غير اننا لا نطمئن الى المبررات التي اعتمد اليها في تأكيد رأيه اذ لم تكن دقيقة ولا شافية بحيث تكفي لاثبات عدم صحة

(١) انظر معجم ما استعجم(٢/٥٣٧)
(٢) (٣/٣٣٠)
(٣) انظر الاغاني (٢٧ / ١٩) وشرح المعلقات للزوزني ص : ٥
(٤) انظر كتابه «معلقات العرب» ص : ٨٥

القصة ، وكيف يسوغ له ان يطلق عليها حكما عاما بعدم صحتها كليّة متناسياً ما ورد منها في معلقة امرىء القيس؟! فمقتضى حكمه هذا ان الشك يتطرق ايضاً لما جاء من القصة في المعلقة نفسها ما دام ان القصة بكاملها ليست ثابتة وليس هذا صحيحاً بل كان من حقه ليكون حكمه دقيقاً أن يتوجه بالشك الى مـــا فيها من زيادة لم ترد في المعلقة ، وقد اعتبر بعض الباحثين ان قصة دارة جلجل كانت سبباً في نظم امرىء القيس لمعلقته ، وليس لهذا الاعتبار ما يؤيده مما جعل الدكتور بدوي طبانة [1] يرفض ان تكون هذه القصة سبباً لنظم المعلقة حيث يرى ان القصة لا تشغل سوى تسعة أبيات من ستة وثمانين بيتاً في رواية صاحب « جمهرة اشعار العرب » ، وستة ابيـــات من واحد وثمانين بيتاً في رواية الزوزني ، فلو كانت هـذه القصة هي الغرض الرئيسي من نظمها لشغلت معالجته اكثر ابياتها » .

وعلى أي حال فان القدر الثابت الذي لا يتطرق اليه الشك من قصة دارة جلجل هو ما أشار اليه امرؤ القيس في معلقته ، واذا انتهينـا الى هذا الحد أدركنا ان لبعض الدارات قيمة تاريخية فلا أحسب ان الدارس لتاريخ أيام العرب يغفل مثل حادثة دارة مأسل أو ان الدارس لحياة امرىء القيس وشعره يغفل حادثة دارة جُلجُل لما لهاتين الحادثتين من صلة وثيقة بايام العرب وأدبها.

وهكذا تتظافر هذه القيم الثلاث مجتمعة فتكسب الدارات أهمية لدراستها لتتم لنا ملامح صورة كاملة لأدب بلاد العرب وتاريخها وجغرافيتها في عصورها الأولى ، وعلى العموم فان الاعلام الموضعية والمكانية التي ترد كثيراً في أشعار الجاهليين بصفه خاصة ، يتوقف على معرفتهـا فهم الكثير من جوانب بلاد العرب في أقدم عصورها ، وقد أكد مـدى هذه الأهمية المستشرق الروسي (كراتشكوفسكي) في كتـــابه « تاريخ الأدب الجغرافي » بقوله : أثبتت الأبحاث ان المادة المكانية للشعر الجاهلي يمكن أن تسوق الى نتائج طيبـة لو اخضعت لدراسة دقيقة ، ويذكر (فستنفلد) وهو من الملمين بجغرافية بـلاد العرب ذلك في كتابه « البحرين واليمامة » : (ان وجود الاعلام الجغرافيـة عند الشعراء تمثل بالنسبة لأبحاثنا مادة لا تقدر بثمن) .

(١) نفس المصدر السابق ص ٨٤ – ٨٥

٢ ـ تعريف الدارات وبيان عددها :

الدارات جمع دارة ، وقد ورد للدارة تعريفات كثيرة في كتب اللغة ومعاجم البلدان ، نعرض بعضها محاولين ان نوازن بينها ، لنستخلص منها تعريفاً نستقر عليه ، جاء عن الأصمعي من مقدمة كتاب الدارات الذي ينسب اليه : (ان الدارة ما اتسع من الأرض وأحاطت به الجبال ، غلُظ أو سهُل يقال دار ودارة وأدؤر ودارات [١]) وجاء في « معجم البلدان » لياقوت : الدارة في أصل الكلام كل جوبة بين جبال في حزن كان ذلك أو في سهل قال أبو منصور حكاية عن الأصمعي : الدارة رمل مستدير في وسط فجوة وهي الدورة ، وتجمع الدارة دارات [٢] ، أما البكري فينقل لنا في « معجم ما استعجم [٣] » تعريفاً للأصمعي عن طريق تلميذه أبي حاتم فيقول : قال أبو حاتم عن الاصمعي الدارة جُوْبَة تحفُّها الجبال والجمع دارات .

ثم ينتقل الى تعرف آخر للاصمعي نفسه وهو قوله : الدارة رمل مستدير قدر ميلين تحفه الجبال . وقال جعفر بن سليمان : إذا رأيت داراتِ الحِمى ذكرت الجنة ، رمال كافورية .

ومما سبق نلاحظ أن النصوص الواردة في تعريف الدارة متقاربة الدلالة وان اختلفت العبارات ، كما نلاحظ أن معظمها محكيّ عن الأصمعي ، فبينما نجد ياقوتاً ينقل لنا تعريف الأصمعي عن طريق أبي منصور ، وهو الازهري بان الدارة رمل مستدير في وسطه فجوة ؛ نرى البكري يذكر تعريفاً آخر بطريق ابي حاتم بان الدارة رمل مستدير قدر ميلين ، فلم يزد البكري بذلك على ما نقل ياقوت عن الأصمعي، إلا أن الرمل قدر ميلين، وأنه تحفة الجبال، تحفه الجبال على ان ياقوتاً قد ذكر في مستهل كلامه عن الدارات تعريفاً قريباً مما جاء في كتاب الدارات المنسوب للاصمعي ومما نقله البكري في معجمه عن الاصمعي ونستطيع الآن ان نستخلص تعريفاً للدارات تستقر عليه، فالدارات إذن جمع دارة، والدارة أرض واسعة على شكل جوبة ذات رمال ، مستديرة تحيط بها الجبال في حزن كان ذلك أو سهل . (للبحث صلة)

الرياض ـ عبدالله عبد الرحيم عسيلان

---

(١) الدارات . (٢) (٢/٤٢٤) . (٣) (٢/٥٣٣) .

الطائف

[فصل من كتاب : « الطائف » جغرافيته – تاريخه – انساب قبائله]

الطائف مدينة جاهلية قديمة ، تنسب الى وج بن عبد الحي من العماليق ، وسميت باسمه (وج) ونسب اليها واديها فقيل : وادي وج ، إلى أن بنت ثقيف حولها سورا يمنعها من غارات المغيرين يطوف بها ، ومن ذلك الحين سميت الطائف . فقال أبو طالب :

منعنا ارضنـــا من كل حي ... كما امتنعت بطائفها ثقيف
أتاهم معشر كي يسلبوهم ... فحالت دون ذلكم السيوف

كانت في العصر الجاهلي قريتان فقط ، احداهما تدعى طائف ثقيف وهو مما يلي الطائف ، والأخرى على الجانب الآخر ناحية الوهط ، والوادي يمر بين القريتين . وبالرغم من جودة محاصيل الطائف الزراعية وجودة فاكهتها وكثرة أعنابها وتفوق أهلها في عمل الدباغ وصناعة المنجنيق وتعاطيهم كل أسباب التجارة ، إلا ان الطائف اذ ذاك كان على حالة سيئة : بيوتها لاطئة حرجة ، وبقايا مياه الوادي تجري عليه ميـــاه المدابغ التي يدبغ فيها الاديم تصرع الطيور رائحتها إذا مرت بها .

قال ياقوت (١) : وهي طيبة الهواء شمالية ربما جمد فيها الماء في الشتاء ، وفواكه اهل مكة منها .

والجبل الذي هي عليه يقال له : غزوان ، وكان معاوية يقول : اغبط الناس عيشا عبدي أو قال مولاي سعد . وكان يلي أمواله بالحجاز ويتربع

---

(١) معجم البلدان ج٤ : ٩ – ١٢ .

جدة ، ويتقيظ الطائف ويشتو بمكة . كذلك وصف محمد بن عبدالله النميري زينب بنت يوسف أخت الحجاج بالنعمة والرفاهية قال :

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

ولما تشرف اهله بالاسلام انضموا الى الوية المجاهدين والفاتحين ، وبقـى الطائف راكداً في عمرانه وتطوره اللهم الا قبائل من قريش وثقيف كانت في مزارعها تحرث وتعمر وتصدر بعض الفاكهة الى مكة ، ويعتقد كثير من اهل العلم بالطائف الذين أدركناهم أن موقع الطائف القديم ومكان حصنه الذي بنته ثقيف وحاصرهم النبي (ص) فيه ، هو من الناحية الجنوبية عن جامع ابن العباس بينه وبين الجـامع مسيل وادي وج ، أي أعلى أرض أم نوبي بساتين حوايا وارض المشايخ المسماة (زعيبة) بين شهار وعودة ، وهـذا من قبيل الترجيح بالظن ، وربما كانت حجتهم هو ما جاء في تاريخ القاري [١] عند الكلام على مجيئه ﷺ الى الطائف المرة الثانية بعد الفتح في شوال سنة ٨ هـ ، حين خرج من حنين فسلك على نخله اليمانية ثم على قرن ثم بحرة الرغاء من ليّة ، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه ، ثم من لية على نخب ، حتى مرّ في طريق فسأل عن اسمها ؟ فقيل : (الضيقة) فقال : بل هي اليسرى ، ثم خرج منها حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة ، ثم مضى حتى انتهى إلى قرب حصن الطائف ، ووقف بـه ، وأمر بشهر الأسلحة ، وسميّ ذلك الموقع شهاراً لاشتهار الأسلحة ، وشرب من بئره) الخ .

والذي أعتقده وأرجحه أن الطائف القـديم يشمل جميع هذا الطائف الحديث ، وكان لثقيف ومن حالفهم من قريش وغيرهم كان لهم به مزارع متفرقة على جانبي الوادي هنا وهناك ، وهذا ما لا خلاف فيه ، أما مكان

---

(١) راجع ترجمته والكلام على تاريخه في مجلة العرب جـ٢ السنة٢ ص ١١١ — ١١٢

حصنه الذي بنته ثقيف وحاصرهم الرسول ﷺ فيه ، وقرية سكناهم حين الحصار ، فهو في نظري يشمل : هضبـــة باب الريـع ـ جبل ابن منديل ـ هضبة القلعة ـ وبعض ما كان يسمى قديماً بقرية الهضبة ، وبها اليوم مسجد الهادي وما يجاوره ، هذا هو في نظري أهم أجزاء هـــذه القرية والحصن وحصار النبي ﷺ كان من الناحية الشمالية ثم ارتفع إلى موضع مسجده اليوم أي من الناحية الشرقية . وذلك للأمور الآتية :

أولاً : ان ثقيفاً قد بنت حصنها لتأمن غارات المغيرين وهجمات المعتدين ، ولتدافع عن نفسها وتحتمي به ، وما كانت لتختار إلا موقعاً مرتفعاً مشرفاً على مـــا حوله ، لتتمكن من صد أي غارة أو هجوم عليها ، ومنطقة باب الريع شرقيّ محة السلامة ، هو الموقع الذي تتوفر فيه هذه الخصائص ولا بد أنهم حفروا بداخل الحصن بئراً في سفح الجبل أو على الأراضي القريبة تمدهم بالماء وقت الحاجة .

ثانياً : ويؤيد ذلك ما جاء في كتب السيرة [1] أن النبي (ص) كان نازلا حين حصار الطائف بوادي العقيق ولو كان الحصن على أرض أم نوبي وحوايا وقرية المشايخ وما جاورهما ، لما وصلت سهام النبل من العقيق إلى الحصن ومن الحصن إلى العقيق ، ويحتمل أن يكون الحصن شمال القرية أي ان الحصن على جبل القلعة والقرية على جبل ابن منديل لأنه لما أصيب ناس من المسلمين بجراح وقتل بعضهم، ارتفع إلى موضع مسجده الذي بالطائف اليوم ، والحصن أكثر بعداً عن الجامع من القرية وهذا نص ما جاء في كتاب السيرة: (حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من الصحابة تحت دبابة ثم زحفوا إلى جدار الطائف ليخترقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا فيهم رجالاً فأمر رسول الله (ص) بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون ، فتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف فناديا ثقيفا أن أمنونا حتى نكلمكم ،

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ : ١٢٨ ، ١٢٩ .

فأمنوهما فدعوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن اليهما وهما يخافان عليهن السباء فأبين ، فقال لهما ابن الأسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله (ص) بينه وبين الطائف نازلاً بواد يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاءاً وأشد مؤونة ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود ، وان محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرّحم ، فإن بيننا وبينه ما لا يجهل، فزعموا أن رسول الله (ص) تركه لهم .

فأنت ترى في هذا القول أن الرسول (ص) كان يحاصر ثقيفا وهو بالعقيق أو قرب العقيق ، ولا شك أن بينه وبين الحصن نحواً من مسافة رمي النبل، وربما كان محل مزارع بني الأسود هي في محل مزارع العقيق الآن .

ثالثاً : ومما يؤيد أن موقع حصن ثقيف وقريتهم هو مـا ذكرنا ما قاله الهمداني [1] (وفي قبلة الطائف حائط أم المقتـدر الذي يدعى سلامة) ومعروف أن محلة السلامة التي سميت باسم الحائط تقع في قبلة باب الريع تماما.

رابعاً : وربما تطورت هذه القرية وزيد فيها بعد الاسلام الا أن أصلها على رأس الجبل الذي ذكرنا ، فهذا ناصر خسرو [2] يقول لنا في القرن الخامس الهجري (... بلغنا الطائف يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي الحجـة سنة ٤٤٢ هـ ، والطائف ناحية على رأس جبل وقصبة الطائف مدينة صغيرة بهـا حصن محكم ، وسوق وجامع صغيران ، وبها ماء جار ، وأشجار رمان وتين كثيرة ، وبجوارها قبر عبدالله بن عباس، فقد بنى خلفاء بغداد هناك مسجداً كبيراً يقع القبر في زاويته ، على يمـين المحراب والمنبر ، وبنى الناس هناك بيوتاً يسكنونها) فاذا تأملت قوله : إن الطائف ناحية على رأس جبل به سوق

---

(١) صفة جزيرة العرب ص : ١٢١ .

(٢) رحلة ناصر خسرو ترجمة وتعليق يحيى الخشاب . ولد ناصر خسرو في قبـاديان سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م وتثقف ثقافة واسعة والتحق بخدمة السلطانين الغزنويين محمود ثم ابنه مسعود .

وجامع صفيران جوار قبر عبدالله بن عباس لم يخالجك شك أن موقع الطائف القديم ومكان حصنه في الموضع الذي ذكرنا .

خامساً : أما ما جاء في تاريخ القارىء أن شهاراً سمّي بشهار لأنه ﷺ أمر بشهر الأسلحة فيه ، وانه شرب من بئره فهذا لم أر أحداً ذكره من المؤرخين غير القارىء وهو متأخر .

نعم ان القول بان الطائف القديم بساتين أم نوبي وما جاورها يتناقله الناس ولعل تناقلهم له من تاريخ القارىء .

وفي العصر الاموي كان الطائف في كثير من الاحيان مرتبطا بولاية مكة وكان الوالي على مكة من قبل الخليفة هو الوالي على الطائف وطرأ على مزارعه تحسينـــات عمرانية زادت في محصول انتاجه ، وبالرغم من نزوح كثير من السكان في الفتح الاسلامي ولاسيما بعد انتقال مركز الخلافة من الحجاز ، فقد اقيم في هذا العصر بعض السدود وقدسار الاسلاميون[1] على نهج المهندسين الجاهليين في بناء بعض السدود وهي قليلة جدا بالقياس الى السدود التي بناها العرب قبل الاسلام ومن جملة السدود الاسلامية :

١ – سد اقيم في موضع يبعد عن الطائف زهاء ستة أميال يقال له (سد الميـاد) كتب عليه بالخط الكوفي المحفور على الحجر : (هذا سد عبدالله بن معاوية امير المؤمنين بناه عبدالله ابراهيم) . وكان ذلك في سنة (٥٨) للهجرة وقد أقيم بالحجارة وحدها فلم يضع مهندسه ، عبدالله ابراهيم ، مادة ما من مواد البناء مثل الملاط أو الطين وما شابه ذلك بين الحجارة لتثبيتها وضمّ بعضها الى بعض حتى تتماسك فتكون كانها قطعة واحدة . وهـــي طريقة معروفة في اليمن واستعملها المهندسون الجـــاهليون كما يظهر ذلك من فحص الخرائب العتيقة الباقية من الابنية والسدود الجاهلية ولا يزال هذا السد في حالة ممتازة يتحدث عن نفسه وعن عبقرية المهندس الذي أقامه في ذلك الزمن

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ : ٣٨٤ .

وقد شاهد (تويتشل) الذي كلفته الحكومـــة العربية السعودية دراسة السدود القديمة وأماكن المياه ، كما شاهد غيره هذا السد وجملة سدود جاهلية اخرى ووصفوها فذكروا في تقاريرهم عن مشاريع المستقبل في الاستفادة من بعض تلك السدود بعد اجراء بعض الاصلاحات والترميمات فيها ، وأشاد بقدرة من شيّدها وأقامها وبقابلياته الهندسية ، ونبوغه الفني في اقامة تلك السدود بالرغم من ضعف القدرة الفنية وبدائية الاساليب التي استعملت في ذلك الزمن [١] .

وفي هذا العصر كانت قرى الحكرة والعرج والوهط وجفن ونخب ولقيم وغيرها آهلة بسكانها ، مكتفية بمحصولها الضخم من الحبوب والفواكه والسمن والعسل ، لاسيا قرية الوهط التي اشتهرت بكثرة اعنابها التي فاقت حدالوصف وفي العصر العباسي كثر سكان الطائف عما كان عليه وحصل بالتـــالي تطور وتقدم في العمران وحصلت عمارة المسجد العباسي واول ما بنى هذا المسجد في أيام الناصر لدين الله العباسي كما في تاريخ المرجاني والتقي الفاسي [٢] الا ان محاصيله الزراعية أخذت تضعف وتقل حتى ان قرية الوهط التي كانت تمون الطائف ومكة بالفاكهة ، وبها بساتين لرؤساء مكة والطـــائف غنية بالكروم، تدهورت حتى لم يبق منها من أشجارها في القرن السابع للهجرة الا شجرة توت [٣] .

وفي القرن السادس الهجري عمرت قرية بوادي وج دعيت بقرية « وج » ذكرها صاحب القاموس ، وربما كانت هذه القرية قديمة جدا ، ثم دمرت بعد عمارتها الاولى ثم جددت [٤] وتشمل هذه القرية مزارع وبســاتين المثناة الشهيرة الناضرة وبساتين السلم وام نوبي وأبو زبيدة وما حولها .

---

(١) تويتشل : المملكة العربية السعودية ص ٥٠

(٢) عقود اللطائف للفاكهي — خ —

(٣) ابن المجاور ١ : ٢١ وما بعدها

(٤) اهداء اللطائف — خ —

وفي حدود القرن التاسع الهجري ازدهرت قرية السلامة وكثر سكانها واقيمت بها العمارات البارعة في نسق جميل وكان لكل دار بستان او اكثر وبها عين ماء جارية ، قال العجيمي [1] : (لا ادري متى كان ابتداء عمارتها وكان ينزل بها أعيان مكة وفضلاؤها بل غالب اهلها ثم خربت في حدود ١٠٨٠ هـ وتحول أهلها ولم يبق منهم الا القليل ، وانتقل أكثر سكانها الى قرية الهضبة وذلك بسبب الحروب والغزو السائد في ذلك ، قال العجيمي : وكثر عمران قرية الهضبة منذ خربت السلامة وابتداء عمارتها بعد الالف .

قال الأستاذ الشاعر البحاثة الشيخ أحمد الغزاوي [2] : (وقد ظفرت بنص تا يخي يستخلص منه أنها كانت معمورة قبل القرن السابع أو الثامن الهجريين : وذلك أن ابن فهد أرّخ لقاضي الطائف عبد الله بن محمد ابن عيسى بن محمد بن عبد الله الطائفي فقال : أجاز له في سنة ٧٩٤ هـ فما بعدها التنوخي والبرهان علي بن فرحون وابن صديق وسليمان السقا وعبد القادر الحجّار ومحمد بن علي بن محمد البالي ومريم الأذرعية وجماعة .. مات في رجب سنة ٨٤٦ هـ سنة ست وأربعين وثمانمائة بالسلامة من قرى الطائف .

وبهذا نعلم أن السلامة أقدم وجوداً من هذا المترجم بهذا الاسم .. إلى أن قال :(وأرجو من القارىء الكريم أن يرعى باله إلى هذه المرأة أو (الريم) الأذرعية التي كانت من العلم بحيث تجيز القضاة في عصرها .) وفي أوائل الألف للهجرة بدأت قرية الآبار تعمر حتى لم يمض عليها زمن يسير حتى امتلأت بالفضلاء وسميت بالآبار لكثرة الآبار بها وهي اليوم محلة (قروى) ولا أعلم كيف نشأ أو تحرف هذا الاسم عن الآبار ؟ .

وكان بقروى بئر كثيرة المذوبة خفيفة الماء تدعى « بئر عجلان » ثم لما كثرت البيوت بجانبها منذ عام ١٣٦٠ هـ أخذت تلك البئر المعذبة تملح وتتغير ماؤها .

---

(١) اهداء اللطائف ـخ ـ

(٢) البلاد السعودية العدد ٢٠٥٥ ص ٦ / ٦ / ١٣٧٥ هـ بعنوان « مطالعات وتعليقات »

وكانت عين السلامة هي العين التي يستقي منها أهل الطائف حتى غيّر مجراها الشريف عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون المتوفى سنة ١٢٩٤ هـ لما عمّر بلاده شبرا غيّر مجرى بلاد السلامة إلى بلاده شبرا . وجعل لسكان قرية الهضبة منهلين يستقون منها وكان ذلك في حدود ١٢٨٠ هـ والقائم على بناء هذا المجرى المعلم محمد بن عتيق السالمي فأجرى دبل العين عن طريـــق خليج الشريف راجح المشوي الجودي الذي كانت مزارعه تشمل مـا يسمى بركيب الحبسي (محلها الآن محلة الشرقية) وفي القرن الحادي عشر الهجري جددت عمارة المسجد العباسي وزيد في أروقته مما يدل على زيادة سكانـــه وفصل بينها وبين القبور التي في مؤخر المسجد بجدار . وأحدث به الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان صاحب مكة قبور جماعة منهم أم ولده ، ثم كثرت هذه القبور حتى امتلأ نصف صحن المسجد بها ، ولولا نهي الشريف زيد بن محسن في القرن الحادي عشر عن الدفن فيه لاستؤصل وصار جميعه مقبرة ، قال الدهلوي : ولا قبر في زماننا في صحن المسجد ، قال ابن فهد : وليس في هـــذا المسجد جمعة ولا جماعة والظاهر أنهما كانا فيه قديماً لوجود المنبر به .

وفي القرن الثاني عشر زاد عمران قرية الهضبة ، وزاد سكانها ، وكثرت هجرة الأفغان والأكراد إلى الطائف ثم هجرة الهنود ، واتصلت بعض قراه ببعضها وصارت تدعى محلّة بدل قرية ، لأنه لا يفصل بينها شيء ما مثل محلتي السلامة وقروى ، ونتيجة لهذا العمران تميزت ثلاث حارات آنذاك :

(١) حارة فوق . (٢) حارة أسفل . (٣) حارة السليمانية . هكذا كانت تدعى ثم استبدلت بلفظة محلة .

كما طوّق هذه الحارات الثلاث سور دائري مبنى باللبن محفور تحته خندق محفوف به من ناحية خارج المدينة ، جدد بناءه وإلى مصر آنذاك محمد علي باشا ، وكان له ثلاثة أبواب : باب الحزم – باب الريع – باب ابن العباس وبالقرب من باب ابن عباس حمام صغير تسبب في بنائه محتسب الطائف (أحمد

خيره) لايزال بحالته السابقة حتى الآن يؤمه بعض الناس . وكان بالطائف في هذا العصر ستة مساجد عدا المسجد العباسي ، منها : مسجد الهادي اليمني الذي انشىء في حدود الخمسين بعد الألف . ومسجد باعنتر الذي انشأه نزيل الصانع في حدود سنة ١٠٢٠هـ وأعان الشيخ أحمد باعنتر الحضرمي على الصلوات فيه ومدارسة القرآن . ومسجد باب الريع المشرف على السلامة المعروف بمسجد السنوسي لكونه بين بيوته . ومسجد الهنود بالسوق بين جامعي الهادي وابن عباس ونسب إلى الهنود لاجتماعهم به سابقاً ومسجد ابن عقيل بناه العالم الفاضل السيد عمر بن عقيل بن عمر العلوي المكي ، ومسجد الوزير منسوب إلى وزير أمير مكة الشريف سرور عمره الوزير ريحان سنة ١٠٨٩ هـ .

وكانت حدود الطائف ما بين الهدة غرباً إلى بلاد غامد وزهران وبني مالك شرقاً ، وإلى ركبة شمالاً ، حتى الفرع وبلاد بني سفيان جنوباً ، وربما امتدت إلى التهائم . أما اليوم فالمناطق التي تتبع أمارة الطائف من ناحية الغرب إلى الهدة ومن الشرق الى بالحارث ، ومن الشمال الى ركبة ، ومـــا جاورها من بلاد القثمة والشيابين ، ومن الجنوب الى بلاد بني سفيان .

يُضاف إلى هذا : المدارس التي تتبع إدارة تعليم الطائف بالغريف ، وتربة ، والخرمة ، ورنية ، ومنذ عام ١٣٦٠ هـ أخذ عمران الطائف يحتل مكاناً بارزاً ويملأ ما بـــين قراه ، حتى لا تكاد تسمع أمثال قرية : السلامة ــ قروى ــ العزيزية ــ معشّى ــ الخالدية ــ العقيق ــ المثناة ــ شبرا ــ الشرقية ــ اليمانيـــة ــ أم خبز ــ الريان ــ الشهداء الشمالية ــ الشهداء الجنوبية ــ شهار ــ القمرية ــ إلا على أنها محلات متلاصقة لا تكاد تميز حدود بعضها كما بلغت مساجد الطائف اليوم أكثر من ٢٠٠ مسجد عدا القرى التابعة للطائف ، وأول مدرسة أنشئت في الطائف هي المدرسة الرشدية أنشأتها الدولة العثمانية سنة ١٢٩٥ هـ تقريباً ، ثم بعد

الحرب العالمية الأولى تحولت إلى المدرسة الهاشمية ، وأقصى ما بلغ اليه عدد طلابها هو ٢٠٠ طالب أما اليوم فعدد مدارس منطقة الطائف الابتدائية لعام ١٣٨٨ هـ هو ١٠٤ من المدارس ، وعدد طلابها ٦٩١٩ طالباً والمدارس المتوسطة ١٣ مدرسة وعدد طلابها ٣٥١٩ طالباً والمدارس الثانوية اثنان ثقيف الثانوية ، ودار التوحيد الثانوية ، وعدد طلابها ٧٤٥ طالباً ، هذا عدا معهد المعلمين الثانوي وعدا مركز الدراسات بالطائف .

وفي عام ١٣٤٥ لم يكن بالطائف سوى مستوصف صحي صغير وأول مستشفى بُني بــه هو مستشفى الملك فيصل ١٣٥٠ هـ ثم جدد وزيد فيه عام ١٣٨٢ هـ حتى بلغ ما هو عليه الآن من السعة والضخامة كما بنى في عام ١٣٦٧ هـ مستشفى الأمير منصور العسكري وفي عام ١٣٨٢ هـ بني مستشفى السل والأمراض العصبية في السداد .

اما عين الطائف التي كان لها منهلان للسقيا ، فقد أصبحت كثيرة المناهل بفضل انشاء خزاناتها المتعددة التي تستوعب كمية كبيرة من الماء والنشاط في هذا العمران وتخطيطه ، لا ينكر جهود البلدية في هذا السبيل فقد أخذت على عاتقها تنظيم البلد بواسطة الاكفاء من المهندسين للاشراف على نظافته صحياً بواسطة الأطباء . وقد تعمد الى فتح شوارع جديدة بالمنطقة القديمة تربط بين أرجائه وتكون وسيلة الى تجميل منظره وتحسين عمرانه في أنظار المصطافين والسائحين ، وسنتكلم على بساتينه الشهيرة ومنتزهاتهــا المبهجة في المعجم الخاص بالمواضع والأمكنة .

الطائف :

محمد سعيد حسن كمال

تصحيح

جاء في المقال المنشور في مجلة العرب للسنة الثالثة الجزء التاسع بعض تطبيعات عن (قبيلة عتيبة : أصلها وفروعها) وها نحن نستدركها :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨١٧	٥	لنا فلا بد عن كلمة من	فلا بد لنا من كلمة عن
٨١٨	١٨	الخلصه	الحلصه – بالحاء المهملة –
٨١٨	٢١	ومن حسك	ومن حسيكى
٨١٩	١	الشباء	الشهباء
٨١٨	٢١	الهملة سكنام الحراء	الهملة سكنام الحواء
٨٢١	٢	دخيل	دخيل الله
٨٢١	٦	الثبتة	النفعة
٨٢١	٨	العبله	العيله
٨٢١	١٧	الجلسة	الحلسة – بالحاء المهملة –
٨٢٢	١٢	العطيه	الطلفحة
٨٢٣	٣	الضريات	الصريات (بالصاد المملة)
٨٢٣	١٣	الذبيانية	الذبانية
٨٢٣	٢٢	في النسبة اليه	والنسبة اليه
٨٢٣	٢٣	الجلسة والنسبةاليه جليسي	الحلسة والنسبة اليه حليسي
٨٢٥	٢١	وتجتمع كلها وثقيف معها	فتجتمع كلها وعتيبة فيها أو تختدف فتجتمع كلها وثقيف معها .
٨٢٧	٢١	قضب ممنان	قضب المنان
٧٢٩	٢	بازا	بازلا
٨٢٩	٥	الحدير	الحرير
٨٢٩	٢٢	هبره	وبره

من اليمامة إلى مكة المكرمة

وصف جغرافي للطريق

- ٣ -

وحينما نترك وادي (أثيفية) بمسافة قليلة نلاقي واديا صغيرا يعترض الطريق ينصب من الصفراء بحـاذاة (أثيفية) شمالا ويدعى هذا الوادي (بالأواعِر) يجتمع مع (المُسْمَى) في مصب واحد .. وبعد هذا الوادي بقليلٍ تبدو لنا هضبتان طويلتان متعانقتان هما (القرَائن) وبهما سميت القريتان اللتان تقعان تحتها .. وهاتان القريتان هما (غِسْلة) (والوَقْف) ولم يكن للاخيرة منهما ذكر سابق .. اما (غسلة) فتدعى قديما (ذات غِسْل) وهي لبني نمير وكانت قبلا لبني كليب بن يربوع وقيل : انها لبني امرىءالقيس ابن تميم كما ورد في شعر ذي الرمة وقد وردت في شعر الراعي . قال :

واظعان طلبت بذات غسل يزيد رسيمها سرعاً ولينا
أنخن جمالهن بذات غسل سراة اليوم يمهدن الكدونا

وقال الراجز :

بثرمداء شعب من عقلي وذات غسل ما بذات غسل

وهذه البلدة (غسلة) كما تسمى الآن أو ذات غسل كما كانت تسمى هي بلدة الشيخ ابن بليهد صاحب كتاب « صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » المتوفى عام ١٣٧٦ هـ رحمه الله . ونحن هنا نورد عبارته عن بلدته قال :

(وأما غِسل بكسر أوله وسكون ثانيه فهي قرية من قرى الوشم)

وقد أورد ياقوت عليها عبارات كثيرة شيئا اصاب فيه وشيئاً لم يصب فالذي لم يصب فيه قوله : قال ابو عبيد الله السكوني من أراد اليمامة من النباج فمن (أُشَيّ) الى ذات غسل فهذا خطأ فلو قال ياقوت رحمه الله : من أراد اليمامة من النباج فمن (أشيقر) الى ذات غسل فقد أصاب لو انه وضع أشيقر مكان اشي . وأما قوله وهي اليوم لنمير فهذا قريب من الصواب لانهم أخذوا الحاج في خلافة المستعين العباسي فبعث اليهم حملة عسكرية يقودها قائد من قواده تركي يقال له (بغا) فما زال يقاتلهم حتى فرق جمعهم وظفر بهم وشريدهم أوى الى شعاف الجبل وبعضهم أوى الى أودية هذه القرية وجبالها لانها منيعة .. ومما يؤيد ما ذهبنا اليه واد من أوديتها التي يسقيها يقال له النميري الى هذا العهد وبه منهل ماء يقال له النميري . وأصح ما ذكره ياقوت قوله: وبها روضة تدعى ذات غسل فكأنه من اهل تلك الناحية فهذه الروضة باقية على اسمها ولكن المتأخرين صغروها في هذا العهد فقالوا لها (رويضة غسلة) وهذه القرية هي قرية المؤلف واحب أن أقول كما قال الاول :

بلاد بها نيطت على تمائمي　　واول ارض مَسَّ جلدي ترابها

انتهى كلام ابن بليهد :

ويلتقي في هذه القرية واديان هما وادي (العنبري) وبه استدل من استدل على انه كان سابقا لبني العنبر من تميم . والوادي الثاني هو النميري الذي سبق ذكره في كلام ابن بليهد .

وفي هذه القرية يقول بعض الشعراء :

ايا ذات غسل يعلم الله انني　　لجوّك من بين البلاد صديق
ويا ذات غسل ريح أرضك طيب　　كمسك لقا بين الصلاء سحيق

وبعد ان نترك القرائن (ذات غسل) و (الوقف) ونجتـــاز واديها تقابلنا هضبة شقراء منفردة وتقع بلدة (شَقْـرَاء) قاعدة الوشم تحتها شمالا عنها وبهذه الهضبة الشقراء سميت بلدة شقراء ..

قال صاحب المعجم : عن ابي عبيد : والشقراء قرية لعدي وإنما سميت الشقراء بأكمــة فيها .. » وقد ذكرها زياد بن منقذ قي قصيدته التي يتشوق فيها الى وطنه (أُشَيّ) قرية قرب (المَجْمَعَة) وكان قــد تغرب الى اليمن قال :

متى أمر على الشقراء معتسفــا خل النقا بمروح لحمهــا زيم
والوشم قد خرجت منه وقابلها من الثنايا التي لم أقلها ثرم

وكان لشقراء ماض تجاري مشهور فهي من المدن الرئيسية في نجد التي اشتهرت بتجارتها وارتياد الناس لها.. ولها ايضاً ماض في الحفاظ على العقيدة والغيرة على المبدأ .. فقد صادمت جيوش (محمد علي) أيام غزوهــا نجداً . يقول شاعرهم الشعبي أيام اشتفال الملك عبد العزيز بتوحيد الجزيرة :

لَيْت الايّام تَبْدي غَيْبها كان أبَاشِيْر بالّلازم واعِيْن
نجد عَذْرا حَضَر خطّيبَها والجِهَاز الفَشَكَ والمَارْتِيْن
عَافت الأَجْنَبي مِنْ طِيبَها مَــا تَبي إلا إمَــام المسْلمِين

ويقول الشاعر ابن حُصَيص مشيراً الى حفاظ أهل شقراء على ديانتهم :

حَالِف مَا اسْلي وَلا انْسَى حِبيّ سَارهْ كودْ أهل شقرا يخَلّون الصّلاة

واهل شقراء من بني زيد القبيلة المعروفة في نجد يرجع نسبها الى قحطان.

والاودية التي تسيل على شقراء هي (وادي الغَدِير) و (واديالعُشرة) و (وادي الرّيمْة) وكلها تسيل من صفراء الوشم مشرقــة وتنصب في (شقراء) .

ومن شقراء يأخذ الطريق اتجاه الغرب بعد ان كان مشملاً منذ دخلنا قاع (قرقرى) ويأخذ في الصفراء القائمة غربي منطقة الوشم والتي تصاحبنا يسار الطريق منذ فارقنا (قَرْقَرى) .. فغربي منطقة الوشم يقع بين هــذه الصفراء وبين كثيب الحبل فالصفراء غربيه والكثيب شرقيه ، وأودية الوشم كلها تنصب من تلك الصفراء .. وإذا امتطينا ظهرها مغربين وعدنا ببصرنا

الى ما خلفنا رأينا أحسن ما نرى من منظر طبيعي .. رأينا كثيب الحبْـل بحمرته الذهبية شاقاً منطقة الوشم ويبدو لنا على بعد من الناحيـــة الشمالية كثيبان عاليان متناوحان يقال لهما رحان (رحين) في لهجة اهل تلك الناحية ويبدو لك غربيها بينها وبين الصفراء : (اُشَيْقِر) (والفَرْعَة) و (اشيقر) بلدة قديمة اسمها قديماً (عكل) باسم اهلها بني عكل وفيها يقول شاعر شعبي يعزى لبني هلال :

وَرَدْنَاكَ يا عِدّ تسمى (وشيقر) وَصَدَرْنَا حِيَام والشَّرَابْ وجِيدْ
وَطا زرعهم مِن طارف المال بكثرة وعَقَرْها الذي رأيه ما هو بِسَدِيد
إلى كَسَرُونا نتقي بِسَلامِهْ والى كسرنا هم اتقَوا بحَدِيد
حَدِيدٍ يَحِيدّ الخَيْل فِي دَارع القَنَا يِعْدّي على فِرسانِنا وَيَزِيدْ

وقال في معجم البلدان : قال الحفصي : الأشيقر جبل باليمامة وقرية لبني عكل قال مضرس بن ربعي :

تحمل من وادي أشيقر حاضره وألوى بريعان الخيـام أعاصره
ولم يبق بالوادي لأسماء منزل وحوراء الا مزمن العهد وداثره
ولم ينقض الوسمي حتى تنكرت معالمه واعتمّ بالنبت حاجره
فلا تهلكن النفس لوماً وحسرة على الشيء سدّاه لغيرك قادره

و (الفَرْعَةُ) بجوار (أشيقر) من الجنوب جل سكانها من النواصر من تميم وفيها يقول احد شعرائها الشعبيين محدداً مكانها :

يادِيرتي عَنْها وشَيْقِر شَمَالي وَعنها الحسُوَيْلَة والعَرَاقيب من شَرْق
قِبلِيّها البَتْرا وهَاك السّهالي واخشُومَها اليّ تايفَات على البُرق
وَجنُوبها دَوّ وعذي المَفالي تَشْبَع رَعَاياها إلى لايح البَرق
وفي وَسْطَها عِدّ قَرَاح زلالِ يِرْدَنها الحَفَرَات لبَاسِة الزرْق

ويبدو لنا ايضاً من خلف (كَثِيب الحَبْل) على بعد (جَبَل اليَمامَة) (طُوَيْق) شامخاً بعرانينه وثناياه وهضابه البيض ممتـــداً من الشمال الى

الجنوب كأحسن ما يرى الرائي من الجبال منظراً ورواءاً ..

وينحدر الطريق من (صَفْراء الوَشم) مغرباً الى سهل منبسط يقع ما بين هذه الصفراء و (كُثَيِّبِ السِّرِ) يقال له (المَرُّوت) وقد تسمى (المروتة) وهي مشتقة من واقعها (فالمَرْت) لغة الأرض لا نبات بها او قليلة النبات قال ابن هرمة :

كم قد طوين اليك من مروتة ومناقل موصولة بمناقل

وقال كثير :

وقحم سيرنا من قور حسمى مروت الرعي ضاحية الظلال

وهذه الارض كذلك حزون وقيعان وموامي قليلة النبات .. وهي من بلاد بني كليب، وقيل لباهلة قال في لسان العرب : والمروت بلد لباهلة وعزاه الفرزدق والبعيث الى كليب فقال الفرزدق :

تقول كليب حين متت جلودها واخصب من مرُوتها كل جانب

وقال البعيث :

أأن اخصبت معزى عطية وارتعت تلاعاً من المرُوت أحوى جميمها

وكان (بالمروت) يوم من أيام العرب بين بني قشير وبني يربوع ومن شايعهم من تميم ، وقد هزم فيه بنو قشير وقتل رئيسهم بجير بن سلمة فرثاه يزيد بن ازهر الصعق بقصيدة منها :

أواردة عليّ بنو رياح بفخرهم وقد قتلوا بُجَيْراً

فأجابته امرأة من بني يربوع بقصيدة منها :

أفخرا في الخلاء بغير فخر وعند الحرب خواراً ضجور ؟!

وقال سحيم بن وَثيل :

تركنا بمرُوت السّحامة ثاوياً بجيرا وعض القيد فينا المثلما

ويصف الاعشى المروت فيقول :

ولو أن دون لقائهـا المـروت دافقة شعابـه
لعبرتـه سبحـاً ولـو غمرت مع الطرفاء غابـه

والعجيب ان ابن بليهد — رحمه الله — ذكر (المروت) في أكثر من موضع في كتابه ويرى انه بعد نفود السر لا قبله وهذه عبارته :

« موضعها —يقصد المروتة— بين كثيب السر وبين عرض ابني شمام جنوبيها الطفيبيس الواقع في أسفل بلدة القويعية وشماليها منهل خف والمعركة التي دارت بين بني قشير وبني تميم عند جبيل (سُوْفَة) المعروفة عند جميع أهل نجد ومما يؤيد ما ذهبنا اليه قول جرير :

بنو الخطفى والخيل ايام سوفة جلوا عنكم الظلماء فانشق نورها

والمروت وسوفة تحملان اسميها إلى هذا العهد ويرى — رحمه الله— ان ما نسميه المروتة هو (الجِلِه) أو (الجُلُوْه ُ) — أي جمع جِلِه .

والناس الآن يكادون يجمعون على ان (المروت) هو هذا المكان الذي نتحدث عنه لا غيره، وما التقيت بأحد ممن له دراية سواء من أهل المنطقة أو من غيرهم يوافقون ابن بليهد على رأيه .. فما هو يا ترى مصدر هذا الفهم لديه؟ هل غير ما أورده من بيت جرير انه لا يقوم حجة تنقض هذا الاجماع ثم إن المسمى وصفة الأرض — المرت — لا تصدق إلا على ما عليه الاجماع وبيت جرير لا ينهض حجة تغير هذا الواقع (فسوفة) قريبة من المروت حينما يتلاشى كثيب السر ويضعف ، والعرب تنعت المكان أو تضيفه الى أقرب علم مشهور حوله ..

وما رآه — رحمه الله — من ان ما بين كثيب (قنيفذة) و (السّرّ) يسمى (الجُلُوه) جمع (جِلِه) لا ينافي ما ذكرنا .. فما بين الكثيبين طويل عريض وليس من اللازم ان يطلق عليه كله اسم واحد ، فالذي تناقلته الرواة واتفق عليه الناقلون ان (المروت) هي ما بين (جَيْب غُرّاب)

(والمَلْحَا) و (البَتْر) شمالاً وما بين مناهل (سَامُودَة) و(البُدَيّمَة) و (البَعَائِث) وما حاذاها من الأرض قفوف ومرتفعات وحزون تكون فاصلاً بين (المروت) وبين (الجلة) .

وبالجلة مناهل كثيرة شهيرة حفل الشعر بذكرها فمنها (دَلْقَان) و (سُدَيْرَة) و (حَلْوَان) و(الطَوْيلَة) و(العُجْرَمي) و (تَبْرَاك) و (الانْجَل) وجنوبي الأنجل جبيل ليس بالكبير يسمى (المِضْبَاعَة) معروف لدى الكثير وقد ورَد ذكره في الشعر قال أحدهم :

فالجزع بين (ضباعة) فرصافة   فعوارض جو البسابس مقفرا

وفي سديرة يقول أحد بني قشير وهي ماءة لهم :

تساءلني كم ذا كسبت ولم أكد   بنفسي من يوم السديرة أفلت

وفي (تبراك) يقول جرير :

إذا جلست نساء بني نمـــير   على (تبراك) خبثن الترابا

ويقول ابن مقبل :

جزى الله كعبا بالأباتر نعمة   وحيا بهبُّود ، جزى الله اسعدا
وحياً على تبراك لم أر مثلهم   رجا قطعت عنه الحبائل مفردا
بكيت بخُصمي شنّة يوم فارقوا   على ظهر عجاج العشيات اجردا

وفيه يقول رزين بن ظالم العجلي ابو كدراء :

أرى الله نجاني وصدقت بعدما   خشيت على (تبراك) ان لا اصدقا
وأعيس إذ كلفته وهو لا غب   سرى طيلسان الليل حتى تمزقـا

وقال أحد بني نمير :

أعرفت الدار أم أنكرتها   بـين (تبراك) فشتّي عبقـر

ويقول يحيى بن طالب :

يا ليت شعري والانسان ذو أمل   والعين تذرف أحياناً من الحزن !!

هل اجملن يدي للخد مرفقة : على شعبعب بين الحوض والعطن ؟
أم هل أقول لفتيان على قلص وهم بتبراك : قضوا نومة الوسن ؟

ومن (المروت) يفضي بنا الطريق إلى (كثيب السّرّ) وهو حبل من الرمل ممتد من الجنوب إلى الشمال ونهايته من الناحية الجنوبية بقرب منهلي (الأنـجَل) و (دَلـقَان) المار ذكرهما ويمتد شمالاً فيجتمع بكثبان القصيم ، فكثيب عُرَيْق المَظْهُور ، فالدهناء ..

و(السّرْ) الذي يضاف اليه هذا الكثيب هو إقليم ممتد يقع جنوبي القصيم ويقبل محاذياً لهذا الحبل من الناحية الغربية .. وأقصى قـراه شمالاً (العَمّار) و (المُربّع) وجنوباً (خُفّ) و (الخُفَيْفِيّة) أي قريب من يمين طريقنا الذي نسلكه ..

يقول جرير (في السّرّ) :

استقبل الحي بطن السر أمعسفوا فالقلب فيهم رهين أينما انصرفوا ؟

ويقول ضرار بن الأزور رضي الله عنه :

ونحن منعنا كل خبت وتلعة من الناس إلا من رعاها مجاورا
من السر والسراء والحزن والملا وكن مخنّات لنـــا ومصائرا

وقال امرؤ القيس :

فلما أن علا كنفي أضاخ وهت أعجاز رِيّقه فحارا
فــلم يترك بذات السّرْ ظبيا ولم يترل بقاعتــه حمـــارا

وقال زهير بن أبي سُلمى :

دار الأسمـــاء بالغمرين ماثلة كالوحي ليس بها من أهلها إرم
وقـد أراها حديثاً غير مقوية السّرْ منها فوادي الحَفْرفالهدم

ومن حبل السر ننحدر على دِكاك فسهل منبسط يمتد من الشمال إلى ماءة (خُفّ) ومن الجنوب إلى أسفل وادي (القُوَيْعِيّة) ومن الغرب

(صَفْرَاه السَّر) و(التَّنْمرِيْر) و (القِرْنَة) وما صاقبها .. ولم يكن بهذا السهل جبال الا جبيلا واحداً في جنوبه يقال له (سوفة) وهو الذي عناه جرير في قوله :

بنو الخطفى والخيل أيام (سوفة) جلوا عنكم الظلماء وانشق نورها

وبهذا السهل منهل (الحَرْمَلِيَّة) وقد جرت فيه وقعة كبرى بين قبيلة عتيبة بجذميها الكبيرين – برقا والروقة – وبين قبيلتي مطير وقحطان فانهزمت قبيلة عتيبة ذلك اليوم وقد القت بفلذة كبدها وجاءت عن بكرة أبيها ومن قادتها ذلك اليوم محمد بن هندي بن حُمَيْد وهذال الشيباني وابن حِجْنة والهيظل وابو العَلاَ والدُّهينة وابو رقبة والمَهْري والرباعين (آل رُبيمان) وآل محيًّا ..

ومن رؤساء مطير نايف بن بُصَيِّص ومن رؤساء قحطان محمد بن حشيفان ..

ويقال ان قبيلة عتيبة لم تهزم مجتمعة الا ذلك اليوم ..

وفي يوم (الحرملية) يقول فيحان بن زريبان رئيس الرخمان من مطير من أبيات شعبية يفتخر فيها بموقفه ذلك اليوم :

يا فَاطِرِي ما ارْخَصْت فيها بالاثْمَانْ
الاّ بيُوم مَا يُقَلّبْ صُوِيْبهْ
رَدّيْتَهَا لِمْنَجِيّ الجِرْد ضِيْدَان
مَنَابْ مَن بالضّيْق يَنْسَى صِحِيْبهْ
رَدّيْتَهَا مِنْ ريع سُوْفَة عَلى شَان
تـنْجِيْه وَقْت الضّيْق والا تْجِيْبهْ
قِلت : اسْتَرِح فى كُوْرَها يا بُو سُلْطان
وللنّاس مَع هَاك الثّنَايا حَطِيْبَهْ

صِيْبَتْ وغَطّاهَا مْنَ المِلْحِ دَخّـــان
وَعــجٍّ كِثِيْر ولاَ نَشُوف الضّرِيْبَه
قَــال : إبْتجِيج بالنّصر يا بن زريْبّــان
والطّيْر يبْشِر بالعَشَا مِن عتَيْبَــه
يَا زِيْــن ذَبْحِه والمِلِح لَهْ ترنْــان
لابِـن مُحَيّـــا عِنْـد خَشْم الجذِيْبَه
ثُمٍّ ذَبَح عِنْدَكْ جُوَادِيْن وَحْصَان
وفَلاّجٍ في الدّشّـه وراهـا رمي بـــه
هــذا عَشاً للضّبْــع والذّيب سِرْحَان
أيّام (بالمَرّوْت) يَرْفَعْ قِنيْبَــــه

وفي (الحَرْمِلِيّة) ورد شعر لعنترة باسم (ذات الحَـرْمل) قال :

طـال الثواء على رسوم المنزل ... بين اللكيك وبين ذات الحرمل
فوقفت في عرصاتها متحيراً ... أسل الديار كفعل من لم يذهل
لعبت بها الأنواء بعد أنيسها ... والرامسات وكل جون مسبل

ومن مناهل هذا السهل التي يتركها الطريق يساره بعد أن يأخذ به قريباً من نصفه مناهل (نَفْجة) و (مُكَيْنَة) و (الشُّهَيّبية) متواليات حسب الترتيب أقربها مسافة سبعة أكيال وأبعدها مسافة خمسة وثلاثين كيلاً . وعلى يميننا ونحن نجتاز هذا السهل ماءة (خُفّ) واسمها قديماً (خُفّاف) بالضم فالفتح وهي لبني نمير .. قال الراعي النميري :

رعت من خفاف حيث نقّ عبابه ... وحل الروايا كل اسحم ماطر

وقال امرؤ القيس :

ثج حتى ضاق عـن آذيـه ... عــرض خــيم فخفاف فيسر

ويقال له ولمنهل عنده (خف والخفيفية) من الأسماء التي تنطق بصيغة واحدة كقولهم (شقراء واشيقر) و (قَرَيّة وقُرَيّة) و (عَفيْف وعُفَيْفة)

و (الشُّرَيْف والشَّرَفَة) وقد عمره حديثاً الرباعين (آل ربيعان) من عتيبة واصبح بلاد عامرة ذات زرع ومدر ..

وعندما نجتاز طريق – السر – القصيم – الذي يتشعب من طريقنا هذا بعد ما نجتازه بمسافة قليلة تعترض (صَفْرَاء السّر) يمين الطريق وصَفْرَاء (الدُمَيْثيَات) يساره ويأتي الطريق بينها عند مصب التسرير ومصب حمّيان واديان احدهما وهو التسرير الآتي من الناحية الشمالية الغربية وحميان الآتي من الناحية الجنوبية الغربية فيقترنان هنالك في مكان يسمى (القِرْنَة) ومن ثم ينحدران مشرقين ثم مشملين .

تأخذ صفراء السر في الامتداد من هذا المكان ذاهبة نحو الشمال جاعلة قرى السر يمينها ويضم شرقيها بعض هـذه القرى حتى تحاذي اقصى قرى السر – العمارة والمربع – فهنالك يلتقي غربيها بطرف كثيب (الشّقَيّقة) الكثيب الواقع جنوبي (وادي الرّمّة) بطرفـه الجنوبي الشرقي . ويمتد شرقي هذه الصفراء إلى محاذاة (عُنَيْزَة) شرقيها شماليها .. وبهذه الصفراء مناهل اهمها : منهل (مُغيْب) تضاف هذه الصفراء اليه احياناً فيقولون : (صفراء مغيب) وهنالك (الطّوِيْلة) و (الطّوْقي) و (العُمَيْشَا) و (الدّمْثِي) . . وخلفها من الغرب حزون متصلة توشحها الرمال يقال لها (الشّنْدُوَة) ..

ويسيل من (صفراء السر) شرقاً اودية كثيرة تنصب في رياض تقع بينها وبين (حبل السر) من اهمها روضة تدعى (مُطرِبة) اما صفراء (الدميثيات) فهي التي يتركها الطريق يساره قبيل (القرنة) وتتجه جنوبا .

ويمضي بنا الطريق حتى (القرنة) مصب (حُمَيّان) و (التّسْرِيْر) والقرنة لعلها التي يعنيها لبيد في قوله بيوم (القرنتين) وهو لغطفان على بني عامر بن صعصعة :

وغداة قاع القرنتين أتينهم   رهوا يلوح خلالهـا التسويمُ
بكتائب رجح تعود كبشها   نطح الكباش كأنهن نجـومَ

- ٧ -

ثابت قطنة

ما أعظم ما لقي العرب بعد الخليفتين أبي بكر وعمر من خلاف فرّق جماعتهم ومن حروب أفنت معظم أبطالهم، وحسبك أن الخليفة الثالث ذا النورين عثمان وأن الخليفة الرابع ابن عم رسول الله وزوج ابنته الطاهرة وأبا الحسن والحسين كرم الله وجهه قد صرع كلاهما بأيدي قوم ظنوا انهم بقتل كل من هذين الخليفتين يتقربون من الله . وهل من بلاء أعظم من أن يقتل الرجل أخاه ، وان يفتك المرء بابن عمه ؟ وان يلتقي علي بن ابي طالب والزبير ابن عمته في معركة الجمل حيث صرع من المسلمين ثلاثون الفا وان يلتحم مسلمو الشام ومسلمو العراق في

فارتث قتلاهم عشية هزمهم حتى بمنعرج المسيل مقيمُ

وقال في معجم البلدان : قال : القرنتان تنثية قرنة بين البصرة واليمامة في ديار تميم عندها أحد طرفي العارض جبل اليمامة بينه وبين الطرف الآخر مسيرة شهر . قال ابن الكلبي : ثعلبة بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة يعرف بالفاتك وهو الذي قتل داود بن هبولة السليحي وقال :

ونحن الأولى أردت ظبات سيوفنا داود بين القرنتين بحارب
وكذاك إنا لا تزال سيوفنا تنفي العدى وتفيد رعب الراعب
خطرت عليه رماحنا فتركنه لما قصدناه كأمس الذاهب

انتهى ما في المعجم . (للبحث صلة)

الرياض - عبدالله بن محمد بن خميس

صفين فيهلك منهم تسعون الفا ؟ نعم لقد كان هناك ما هو اعظم من هـــذا وأشد ذلك هو تفرق المسلمين الى فرق متعددة وأشياع لهذه الفرق متناحرة ظلت كالسوس تنخر في جسم الدولة الاسلامية حتى اسقطتهـــا أخيراً ، ثم انتقال الحكم من الشورى الى الوراثة ومن الخلفاء الراشدين الى عائلة الامويين حيث عادت العصبية الجاهلية تطل برأسها المشؤوم فأخذ العرب يفني بعضهم بعضاً حتى انتقل الحكم من أيديهم وصار لغيرهم من أتراك وديلم ومغول .

إن الامويين في بداية أمرهم وفي عهد الخلفـــاء أوائلهم ظلوا رافعين علم الجهاد، متصفين بصفات المسلمين الأخيار يصارعون خصومهم في الداخل ويرعون المجاهدين في الثغور فامتد سلطان المسلمين واتسعت رقعة الدولة في أيامهـــم ووصل العرب الى بلاد وممالك بعيدة ، من الاندلس غرباً حتى الصين شرقاً وظهر في عهد هذه الدولة ابطـــال كرام كموسى بن نصير وطارق بن زياد وعقبة بن نافع وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم من القادة والسادة الذين عز نظيرهم في تاريخ أعظم الامم الأخرى ولكنهم جميعاً خلا عقبة بن نافع الذي قتل في المعركة قتلوا وهم الفاتحون العظام بايدي بني قومهم أو لقوا الهوان والمذلة التي سببت موتهم في حزن وغم عظيمين .

إن العصبية الجاهلية والقبلية والمنجهية هي التي فعلت كل شر في عهـــد أوائل الامويين ثم انضم اليها في عهد أواخرهم الترف والفساد فصار الخليفة أسير مغنيتين في قصره حبابة وسلامة [1] أقـــام عليهما ليله ونهاره صبحه ومساءه فذهب الغزو المقرب للغنى ، وجمد العلم الذي ظل يرتفع على مدينة بعد مدينة ، وفقدت البطولة . ثم ملئت قصور العباسيين بحبابات وسلامات لا حصر لهن ولا عد فتقلصت الدولة وظلت تتقلص حتى لم يبق للخليفة سوى قصره تحكم فيه قهرماناته لا هو.

ان هذا الفدائي الكريم ثابت قطنة عاش في عهد الدولة الأموية واسمه ثابت بن كعب بن جابر العتكي الازدي فقد عينه في حروب الترك فكان

---

(١) مغنيتان كانتا للخليفة يزيد بن عبد الملك .

يضع مكانها قطنة فلقب بذلك اللقب :

كان فارساً شاعراً عاش حياته في خراسان وبلاد الأفغان بين كابل وكشغر وبخارى وسمرقند مرابطا مع اخوانه في صفوف المسلمين ضجيعه في ليله حسامه ورفيقه في نهاره حصانه ، عاش حياته كلها على هذا المنوال ، ثم مات شهيداً في ساحة القتال ، له شعر في كتب الأدب وأخبار في كتب التاريخ والسير وهو في شعره وأخباره مثل لعربي العصر الأموي المضطرب في حياته بين التعصب لقبيلته وبين الإعجاب بالأبطال والجاهدين من سواها ، بين المهاجاة للشعراء من قرنائه ، وبين الحرص على الدين ومقاومة المخالفين لقواعده . ولكن ثابتاً عاش حياته فدائياً يحرص على الموت، يطلبه ولا يخشاه، ويسعى اليه ولا يتوقاه ، واضطر أن يشترك مع بني عصره في تلك الصفات لأنه إنسان يتاثر بما حوله فيقاوم ويصاول ، ويخضع أحياناً ويهادن ، سنة الله التي لن تجد لها تبديلا .

وإليك صوراً لهذه الأمور في حياة ثابت .

١ — ثابت يتعصب لقبيلته :

الازد — قبيلة ثابت — توزن بتميم عدداً وأبطالاً ومن أعظم رجالها المهلب بن أبي صفرة القائد الموفق الشجاع الذي حنكته الحروب حتى صار رجلها غير مدافع، اعترف له بذلك العدو والصديق ، حارب الخوارج وقد كادوا يثلون عرش امية حتى خضد شوكتهم وفرق جماعتهم وقتل قادتهم وكان من قادة الفتوح في آسيا، وهو الذي حرص أبناؤه على الوحدة عند موته، وضرب لهم مثلاً بحزمة العصي تكسر واحدة واحدة، ويعز كسرها مجتمعة ، وبحرص شديد نفذ إبناؤه وصيته فلم يعرف عنهم مع كثرتهم وشهرتهم ومكانتهم سوى الحب لبعضهم ، وقد احتلوا مناصب عظمى في الجيش والحكم وكان الأمويون يرونهم أكفاء لهم اتخذوهم أصدقاء ، وجلساء . وكان أشهرهم يزيد بن المهلب الذي ورث أباه في ولاية خراسان ثم عزله الحجاج ثم أعاده

سليمان بن عبد الملك إلى خراسان ففتح مدناً عظمى كمدينة جرجان وكسب أموالاً طائلة وكتب إلى سليمان بن عبد الملك – وكان صديقه – يخبره بعدد تلك الأموال فلما مات سليمان وولى الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز طالب يزيد بهذه الأموال فأنكرها يزيد فسجنه عمر وكان يكرهه ويلقبه بالطاغية، وكان يزيد بدوره يلقب عمر بالمرائي، فلما مرض عمر وكانت ولاية العهد بعده ليزيد بن عبد الملك وكان عدو يزيد بن المهلب فر يزيد من سجن عمر وكتب إليه أنه لو لولا خوفه من يزيد لما فر من السجن. وقتل يزيد في معارك مع جيوش يزيد بن عبد الملك كما قتل كل محتلم من بني المهلب فتأثر لهذه النكبة التي أصابت رأس بني الأزد ثابت قطنة فقال يرثي يزيد :

ألا يا هند طال علي ليلي	وعـاد قصيره ليـــلا تماما
كأني حـــين حلقت الثريا	سقيت لعاب أسود أو سماما
أمر عليّ حـلو العيش يوم	مـن الأيام شيبني غلامـــا
مصاب بني أبيك وغبت عنهم	فلم أشهدهم ومضوا كرامـا
فـلا والله لا أنسى يزيداً	ولا القتلى التي قتلت حرامـا
فعلّني أن أبو بأخيك يوماً	يزيداً أو أبوء به هشاما [١]

وقال أيضاً :

أبى طول هذا الليل ان يتصرما	وهاج لك الهم الفؤاد المتيما
أرقت ولم تأرق معي أم خالد	وقد أرقت عيناي حولاً مجرماً
على هالك هد العشيرة فقده	دعته المنايا فاستجاب وسلما
أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهداً	تسليت أن لم يجمع الحي مأتما
وفي غيّر الأيام يا هند فاعلمي	لطالب وتر نظرة إن تلوما
فعلّني إن ما مالت الريح ميلة	على ابن أبي ذبان [٢] أن يتندما

١ – يقصد يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك .

٢ – أبو ذبان كنية عبد الملك بن مروان لأن الذباب كان يدخل فمه وهو نائم فقد كان واسع الفم .

قصاصاً ولا نعدو الذي كان قد أتى إلينا وإن كان ابن مروان أظلما
وإنا لمطافون بالحلم بعدمـــا نرى الجهل من فرط اللئيم تكرما
وإنا لحلالون بالثغـــر لا نرى به ساكناً إلا الخميس العرمرمـــا

وأين كان ثابت ؟ ولِمَ لمْ ينصر أقاربه بني المهلب ؟ لأنه حلال بالثغر لا يبرحه ، مجاهد لا يترك الجهـــاد ولكن قصائده في رثاء يزيد وآل المهلب كثيرة وكاد يلقي حتفه بسببها ولكن جهاده كان شفيعه الذي لا تخفر ذمته . فقد روى أن سعيد بن عبد العزيز الأموي لما جاء والياً على خراسان جلس يعرض الناس فلما دعي بثابت قطنة تقدم وكان تام السلاح جـــواد الفرس فارساً من الفرسان فسأل عنه ، فقيل له : هذا ثابت قطنة وهو أحد فرسان الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قيل له : هذا الذي يقول :

إنا لضَرّابون في حمس الوغى رأس الخليفةإن أراد صدوداً

فقال سعيد : عليّ به !! فردوه ، وهو يريد قتله ، فسأله عن الشعر فرواه له هكذا :

إنا لضرابون في حمس الوغى رأس المتوّج إن أراد صدوداً
عن طاعته الرحمن أو خلفائه إن رام إفساداً وكرّ عنوداً

فقال له سعيد : لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك

والحقيقة أن قصائده الكثيرة قد جاوزت آذان الأمويين حتى سمعها كل الناس فقد روى أن مسلمة بن عبد الملك سمع بقول ثابت — ومسلمة هو الذي تولى قتال يزيد بن المهلب :

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا كانوا ليومك يا يزيد شهوداً

فقال مسلمة لوددت والله أنهم كانوا شهوداً يومئذ فسقيتهم بكأسه .

إن ثابتاً حزين على يزيد وبني أبيه ويتمني أن لو شهد يومهم ليقاتل معهم عصبية منه لأنهم أقرباؤه وبنو قبيلته ولكنه يلومهم على أخطائهم فإن معاوية ابن يزيد بن المهلب قتل أسرى كانوا لديه فخاطبه ثابت بقوله :

ما سرّني قتل الفزاري وابنه عديّ ولو أحببت قتل ابن مسمع
ولكنها كانت « معاوىّ » زلة وضعت بها أمري على غير موضع

ثابت معجب بالأبطال من قبائل أخرى :

هذا تعصبه لقبيلته مجاراة لروح العصر ولكنه لشجاعته وبطولته كان يقدر البطولة ويحترمها ويمدحها حيثما وجدت بـــين زملائه وقادته في بلاد خراسان وصحاري ما وراء النهر .

وهذه بعض قصائده في أولئك الأبطال ترى فيها معارك الفتوح مصورة بفن ثابت وشعره الواضح الصادق :

كان في نواحي مدينة سمرقند قلعة تسمى « قصر الباهلي » نزلتهـــا مائة عائلة من العرب وأحاط الترك يوماً بهذه القلعة فاستغاث أهلها فخرج لنجدتهم المسيب بن بشر الرياحي التميمي من مدينة سمرقند باربعة آلاف جندي من جميع القبائل فلمـــا سار بهم قال لهم : إنكم تقدمون على حلبة الترك حلبة خاقان وأضرابه من شجعان الترك والعوض إن صبرتم الجنة والعقاب النارإن فررتم فمن أراد الغزو والصبر فليقدم . فانصرف عنه ألف وثلاثمـائة ثم سار فرسخاً فقال لهم مثل ذلك فاعتزله ألف من الباقين ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل مقالته الأولى فاعتزل ألف وسار بسبعمائة فدائي وثابت قطنة على ميسرته .

ووصلوا الحصن فوجدوا الترك قد أجروا الماء حوله ليمنعوهم من الخروج فقال المسيب لرجاله: ليكن شعاركم يا محمد، ولا تتبعوا موليا، وعليكم بالدواب فاعقروها وليست بكم قلة فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنوه وان كثر أهله ودنوا من الترك وقت السحر وحدث قتال شديد صبر فيه المسلمون ثم انهزم الترك لما قتل ثابت قطنة عظيما من عظمائهم ، ونادى منادي المسيب : لا تتبعوهم واقصدوا القصر ولا تحملوا إلا الماء ولا تحملوا إلا من لا يقدر على المشي ومن حمل امرأة أو صبيا أو ضعيفا حسبة فأجره على الله ومن أبى فله أربعون درهماً . ثم ساروا إلى سمرقند وجاء الترك في

اليوم التالي فلم يروا في القصر أحدا ورأوا قتلاهم فقالوا : لم يكن الذي جاءنا من الإنس . فقال ثابت :

فدت نفس فوارس من تميم ... غداة الروع في ضنك المقام
فدت نفسي فوارس اكنفوني ... على الاعداء في رهج القتام
بقصر الباهلي وقد رأوني ... أحامي حيث ضن به المحامي
بسيفي بعد حطم الرمح قدما ... أذودهم بذي شطب حسام
أكر عليهم اليحموم كرّا ... ككر الشرب آنية المدام
أكر به لدى الغمرات حتى ... تجلت لا يضيق بها مقامي
فلولا الله ليس له شريك ... وضربي قونس الملك الهمام
إذا لسمت نساء بني دثار ... امـــام الترك بادية الخدام
فمن مثل المسيّب في تميم ... أبي بشر كقادمة الحـــام ؟

وغزا أسد بن عبدالله القسري جبال هراة وجبال نمرون فقال ثابت يمدحه وقد صحبه في غزواته هذه :

أرى أسداً تضمن مفظعات ... تهيبها الملوك ذوو الحجاب
سما بالخيل في أكناف مرو ... توفزهن بين هلا وهـــاب
الى غورين حيث حوى أزبّ ... وصكّ بالسيوف وبالحراب
هدانا الله بالقتلى تراها ... مصلبة بأفواه الشعاب
ملاحم لم تدع لسراة كلب ... مهاترة ولا لبني كلاب
فأوردها النهاب وآب منها ... بأفضل ما يصاب من النهاب
ألم يزر الجبال جبال ملع ... ترى من دونها قطع السحاب
بأرعن لم يدع لهم شريداً ... وعاقبها المعض من العقاب

وكان من قادة العرب الذين غزوا في آسيا فاكثروا الغزو وحازوا النصر نصر بن سيار الذي أعجب به ثابت وثابت يماني ونصر مضري فقال يمدحه :

ما هاج شوقك من نؤي واحجار ... ومن رسوم عفاها صوب أمطار
لم يبق منها ومن أعلام عرصتها ... إلا شجيج وإلا موقد النار

ومائل من ديار الحي بعدهم مثل الربيئة في أهدامه العاري
ديار ليلى قفار لا أنيس بها دون الحجون وأين الحجن من داري؟
بدلت منها وقد شط المزار بها وادي المخافة لا يسرى بها الساري
نقارع الترك ما تنفك نائحة منا ومنهم على ذي نجدة شار
إن كان ظني بنصر صادقاً أبداً فيما أدبر من نقضي وإمراري
يصرف الجند حتى يستفيء بهم نهباً عظيماً ويحوي ملك جبار
لا يمنع الثغر إلا ذو محافظة من الخضارم سباق بأوتار
إني وإن كنت من جذم الذي نضرت منه الفروع وزندي الثاقب الواري
لذاكر منك أمراً قد سبقت به من كان قبلك يا نصر بن سيار

وغزا الحرشي وهو قائد آخر من قادة الفتوح – الصغد فقال ثابت قصيدة جاء فيها :

أقر العين مصرع كارزنج وكشدين وما لاقى بيار
وديواشتي وما لاقى جلنج بحصن خجند إذ دمروا فباروا

ثابت يخالف قادته في سبيل العدل والحق :

كان أعظم قادة العرب طراً الذين عرفتهم آسيا قتيبة بن مسلم الذي ركز أعلامه في أرض الصين بعد أن احتل الصحارى الواسعة والجبال العالية

وقد وصل مدينة كاشغر وهي أدنى مدائن الصين واحتلها وكان عازماً على التقدم لولا أن جاءه نبأ موت الوليد بن عبد الملك وهو خير خلفاء الأمويين فيما بنى وعمر، وفي حدبه وبره بالقادة المجاهدين ثم نبأ وفاة الحجاج بن يوسف الذي فرض الأمن والنظام وضمن للقادة تتابع الإمدادات واتصال المساعدات فتوقف قتيبة عن الغزو وتمثل بقول القائل :

فإن تحي لا املل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

وقد حدث إن هذا القائد الكبير غدر بقائد من قادة الترك ويسمى « نيزك » فإنه أمنه ثم قتله بعد أن استشار أصحابه ولأن نيزك هذا غدر

بعهده مع قتيبة قبل ذلك فكان قتيبة مغتاظاً منه ولم يعجب هذا الفعل من قتيبة ثابت قطنة فقال قصيدة حفظ لنا بها التاريخ هذا البيت يخاطب به قتيبة :

فلا تحسبن الغدر حزماً فربما ترقت بك الأقدام يوماً فزلت

هذه واحدة أما الثانية فإن والي خراسان أشرس بن عبد الله دعا أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية فأجابوا إلى ذلك ، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية وطالبهم بها فنصبوا له الحرب ذلك أن أشرس قال: ابغوني رجلاً له ورع وفضل أوجهه إلى من وراء النهر ، فيدعوهم إلى الإسلام . فأشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف ، فقال : لست ماهراً بالفارسية فضموا معه الربيع بن عمران التميمي ، فقال أبو الصيداء : أخرج على شريطة أن من أسلم لم تؤخذ منه الجزية ، قال أشرس نعم ، قال أبو الصيداء لأصحابه : فاني أخرج فإن لم يف العمال أعنتموني عليهم ، قالوا : نعم ، فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام فسارع الناس ، فكتب الدهاقين إلى أشرس إن الناس كلهم أصبحوا عرباً فممن نأخذ الخراج ، فأمر أشرس : بأخذ الخراج ممن أسلم فاعتزل من أهل البلاد سبعة آلاف وخرج إليهم أبو الصيداء ، وآخرون منهم ثابت قطنة مناصرين فأرسل أشرس المجشر بن مزاحم السلمي لحربهم. فكتب المجشر لأبي الصيداء أن يقدم عليه هو وأصحابه فتقدم أبو الصيداء وثابت قطنة فحبسهما. وقال أبو الصيداء : غدرتم ورجعتم عما قلتم .

ثابت يهاجي بعض الشعراء :

أكثر من جرى بين ثابت وبينه هجاء حاجب بن ذبيان المازني وقد لقبه ثابت بالفيل فصار يعرف بحاجب الفيل وسبب ما جرى بينهما أن حاجباً وفد على يزيد بن المهلب بقصيدة يقول فيها :

إليك امتطيت العيس تسعين ليلة أرجّي ندى كفيك يا ابن المهلب

فجد لي بطرف أعوجي مشهر سليم الشظا ، عبل القوائم سلهب
سبوح طموح الطرف يستنُّ مرجم أمر كإمرار الرشاء المشذب
طوى الضمر منه البطن حتى كأنه عقاب تدلت من شماريخ كبكب
وسابغة قد أتقن القين صنعها وأسمر خطي طويل محرّب
وأبيض من مساء الحديد كأنه شهاب متى يلق الضريبة يقضب
وقل لي إذا ماشئت في حومة الوغى : تقدم أو اركب حومة الموت ! اركب

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له : قد عرفت ماشرطت لنا على نفسك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، حجتي بيّنة وهي قول الله عزوجل : (والشعراء يتبعهم الغاوون) فقال له ثابت : ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة ، مدحت الأمير ببيتين وسألته حوائجك في عشرة أبيات ، حتى إذا أعطاك ما اردت حدت عما شرطت له على نفسك فأكذبتها كأنك تخدعه . فلج حاجب بعد ذلك في هجاء ثابت ومما قال فيه :

لا يعرف الناس منه غير قطنته وما سواها من الأنساب مجهول

استخلف ثابت مرة والياً على سمرقند فخطب الناس يوم جمعة فأرتج عليه فقال : سيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد عي بياناً ، وأنتم إلى امير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال :

إلا أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان فقال : والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه ولو أن كلاماً استخفني فاخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها . ولكن « حاجب الفيل » هجا بسبب هذه الحادثة ثابتاً فقال :

أبا العلاء لقـــد لقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق
أما القُران فلم تخلق لمحكمه ولم تسدد من الدنيـا لتوفيق
لما رمتك عيون الناس هبتهم فكدت تشرق ـ لما قمت ـ بالريق

تلوي اللسان وقدرمت الكلام به كما هوى زلق من شاهق النيق

ولثابت أهاجي في حاجب الفيل منها :

أحاجب لولا أن أصلك زيف وأنك مطبوع على اللؤم والكفر
وأني لو أكثرت فيك مقصر رميتك رمياً لا يبيد مدى الدهر
فقل لي ولا تكذب فإني عالم بمثلك: هل في مازن لك منظهر؟
فإنك منهم غير شك ولم يكن أبوك من الغر الجحاجحة الزهر
فلست بهاج ابن ذبيان إنني سأكرم نفسي عن سباب ذوي الهجر

ثابت القداني :

ما عرف ثابت إلا في خراسان حيث الجبال الشاهقة التي دونهـا قطع السحاب والفيافي المهلكة التي تلمع فيهـا سيوف الأعداء ، تلك البلاد التي لا يسكنها إلا الخميس العرمرم ، والفتى الذي صمم على الموت وأقدم ، امتلأت أفواء شعابها بأكوام القتلى واختلطت مياه أنهارها بالدماء الحمراء ، فمن أقام فيها إقامة ثابتة كثابت أقام في لهات الموت وبين فكي الأسد . فهي بلاد واسعة شاسعة ، الصين في شرقها والعراق في غربها ، فيها أمم وأجنـاس ذات لغات وعادات متعدد مختلفة ، تمسي قلاعها مصالحة موادعة ، وتصبح معادية غادرة ، وأشد من البلاد وأهلها ومن صحاريها وجبالها هؤلاء الولاة الذين يتبدلون كل مدة يسيرة ، ويتغيرون حسب هوى الخليفة ، اختلفوا في عصبياتهم وقبـائلهم يضعون من كان بالأمس رفيعاً ، ويرفعون من كان قبل أيام وضيعاً ، وإن كانوا جميعاً متفقين في شجاعتهم وحماسهم وجدهم في قتال عدوهم .

في هذه البلاد عاش ثابت لا ندري متى ورد اليها ، ولكنـه استشهد سنة مائة وعشر هجرية وفي هذه الأبيـات نرى كيف قدم ثابت إلى خراسان تاركاً أهله وراءه ثم نسيهم واتخذ بدلهم من الرماح والسيوف زوجـة وأطفالاً :

ما هاج شوقك من بكاء حمامة تدعوا إلى فنن الأراك حمامـا

تدعو أخا فرخين صادف ضاريا ذا مخلبين من الصقور قطامـــا
إلا تذكرك الأوانس بعدمـــا قطع المطي سباسبا وهيامـــا

لم تكن معركة في سمرقند أو بخارى أو هراة أو كاشغر إلا وشهدهـــا ثابت منذ سنة ثمانين هجرية حيث بدأ التاريخ يذكر اسمه حتى سنة مائـــة وعشر هجرية حيث استشهد وقد يكون ورد خراسان قبل ذلك بكثير .

نعم لقد شهد معارك خراسان كلها مع جميع امرائها في هذه الفترة ولقد شهدت ذلك في أخباره السابقة وفي قصائـده التي ذكرتها ، ولكنه ظهر يوم استشهاده فدائياً عظيماً قصر عن فعـله جميع الفدائيين من رفاقه ، وكان ما أبداه يوم « قصر الباهلي » شيئاً قليلاً الى جانب ما حققه هنا .

حدثتك من قبل أن ثابت سجن لاعتراضه على فرض الجزية على من أعان إسلامه ، ولما كان في السجن أقبـل أهل السغد وبخاري معهم خاقـان الترك فحصروا جيوش المسلمين فأخرج أشرس ثابت قطنة من السجن بكفالة عبدالله ابن بسطام ووجهه مع عبدالله بن بسطام في الخيل فاتبعوا الترك فقاتلوهم بأمل حتى استنقذوا ما بأيديهم ، ثم تقدم أشرس بالنـــاس الى « بيكند » فقطع العدو عنهم الماء ، فاصبحوا وقد نفد مـاؤهم فاحتفروا فلم ينبطوا وعطشوا فمات منهم سبعمائة عطشاً وعجز الناس عن القتال ، فمر ثابت قطنة بعبـد الملك بن دثار الباهلي فقال له : هل لك في الجهاد؟ فقـال : انظرني ريثما أغتسل وأتحنط ، فوقف له حتى خرج ومضيا ، فقال ثابت لأصحابـه : أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم ، وحضهم ، فحملوا على العدو واشتد القتال ، وقال ثابت قطنة : اللهم إني كنت ضيف ابن بسطام البارحة ، فاجعلني ضيفك الليلة فحمل وحمل أصحابه فكذب أصحابـه وثبت ثابت فرمي برذونه فشب ، وضربه فأقدم وضُرب فارتث فقـال وهو صريع : اللهم اني أصبحت ضيفاً لابن بسطام ، وأمسيت ضيفك فاجعل قراي من ثوابك الجنة .

إن ثابتاً مثل ونموذج وصورة صادقة لآلاف مؤلفة من العرب الذين عاشوا في هذه الأرض في أقصى الشرق وعـاش غيرهم في أقصى الغرب بعيدين عن

٢٠٩ – أللّي أوّله شرط آخره نور

اللي ، الذي ، وقد استعاضوا بها عن كلمة الذي في جميع كلامهم العامي. اذ لا يستعمل كلمة الذي الا من كان منهم متعلماً ، او في الامثال والاقوال التي تروى بما يقرب من صيغتها الفصيحة . والمعنى : ما كان في أوله شرط كان آخره واضحاً حتى كأن عليه نور فلا يكون فيه مجال للخلاف والنزاع. يضرب في الحث على الاشتراط في العقود والاعمال المشتركة قبل الشروع فيها قال الشاعر :

ما كان أوله على شرط فآخره سلامه [١]

وهو من الامثال التي تستعملها العامة في مصر بهذا اللفظ [٢] . كما سبق للعامة قولهم : (الشرط نور) في القسم الاول .

أرضهم وديارهم صابرين مصابرين حتى تمكنوا من نشر الاسلام واللغة العربية وجعلوا لهذه الأمة مكانة سامية بين الأمم ، وصفحات واسعة في التاريخ كما يفعل اليوم أبطال الفدائيين من إخوانك في فلسطين، فكأن ثابتاً وإخوانه من أبطالنا قد عادوا أحياء في أرض فلسطين يسطرون تاريخاً جديداً لشعبنا الكريم .

الكويت

محمد علي العبد

---

(١) مجمع الامثال ج ٢ ص ٢٠٩ وفرائد الخزائد ورقة ١/٨٤ ومواسم الادب ج ١ ص ١٤٧ وهو كذلك في امثال عوام بغداد لابن الطالقاني

(٢) امثال المتكلمين ص ٣

٢١٠ — اللّي بلاش ، مايَسْواش ...

اللي : الذي ، وبلاش : كلمة منحوتة من كلمتي بلا شيء ، ويسواش ، كلمة منحوتة — ايضاً — من كلمتي يساوي شيئاً ..

والمعنى : ان الشيء او المتاع الذي تحصل عليه بدون مقابل لا يساوي شيئاً في الغالب لانه لو كان فيه ما يرغب به لما ترك لك . ولذلك قالوا في مثلهم السابق في القسم الاول : اشترد طيب تردّ بفلوسك .

يضرب في النهي عن شراء المتاع الرديء استرخاصاً له .

٢١١ — اللّي بالقَلب كافي .

اللي : الذي ، وهذا المثل في المعنى كالمثل السـابق في القسم الاول : الشاهد عندي ، الا انهم يخصصونه في الغالب للاخبار عن البغض ، يريدون ان ما في قلبي من البغض لك ، او من عدم الثقة بك كاف من التماس الدليل على ذلك . أو كاف لرد ما تزعمه من حبك لي .

٢١٢ — اللـي بْقَلبيه عَلىَ لسَانِه ..

اللي : الذي . أي ما في خاطره من الافكار ، يظهره على لسانه ، وذلك أنه لا يخفى منه شيئاً .

يضرب لمن لا يكتم سرّاً من خلجات نفسه . وسيأتي للعـامة في معناه قولهم : ما جاء على قلبه هذى به لسانه ، في حرف الميم من هذا القسم .

هذا المثل موجود لدى العامة في مصر بلفظ : اللي في قلبه على طرف لسانه [1] وكذلك في لبنان [2] .

---

(١) امثال المتكلمين ص ٣١

(٢) الامثال العامية ج ص ١ ص ٨٥

٢١٤ – اللي ما عنده فْلوسْ ، يَقْعِد يحُوسْ :

اللي : الذي . والفلوس يريدون بها النقود عامة ، ويحوس : من حاس . عندهم معناها اكثر التردد في مكان مُعَيّن لا يستطيع ان يبرحــــه ، ولا يستطيع ان يستقر فيه ويطمئن ، وأصل الكلمة فصيح ففي لسان العرب . التحوس : الاقامة مع ارادة السفر ، كأنه يريــد سفراً ولا يهيأ له لاشتغاله بشيء بعد شيء [١] ، وذكر الزمخشري من المجاز قولهم : حـــاستهم السنة ، وأصابتهم سنة تحوسهم ، وتدوسهم [٢] .

وقولهم : يقعد ، أي يظل ويمكث .

ومعنى المثل : من لم يكن عنده نقود فإنه كالرجل الذي يظل متحيراً في مكان معين ، لا هو يستطيع الجلوس جلوس الاطمئنان والراحــة ، ولا هو يستطيع البعد عنه أو السفر سفر المرء القاصد الى هدف معين .

يضرب في بيان أهمية النقود،وقد سبق في هذا المعنى قولهم: الدراهم يجيبن بنات الرجال .. وسبق في القسم الأول ويقول ابن فارس [٣] :

قد قال فيما مضى حكيم: ما المرء إلا بأصغريه
فقلت قول امرىء لبيب: ما المرء إلا بدرهميه

٢١٥ – اللي ما فيه خير ، فراقه خير ..

وبعضهم يرويه : فراقه أخير ، أي أكثر خيراً ، والــــلي : الذي ، أي الشخص الذى ليس في وجوده خير فراقه فيه خير ، أو فراقه أكثر خيراً من وجوده وهذا كالمثل العربي : خلْ من قلَّ خيره ، لك في النـــــاس غيره [٤] ..

---

(١) مادة : ح ، و ، س .
(٢) أساس البلاغة : ج ١ ص ١٣٥ .
(٣) معجم الادباء ج ٤ ص ٩٣ .
(٤) المستقصى ج ٢ ص ٧٦ . ومنتخبات التمثيل والمحاضرة ص ٧ .

٢١٦ – اللّي ما له دارْ ، كل يومٍ له جار ..

اللي : الذي . معناه ان الشخص الذي لا يملك داراً للسكنى يظل يتنقل في دور الأجرة يكون له في كل يوم جار جديد ، لا يعرف أخلاقه ، ولا يطمئن اليه ، وهذا مبالغة ، في كثرة تنقله .

يضرب في الحث على تملك دار للسكنى .

٢١٧ – اللي ما له لسان ، ياكله الخنفسان

اللي : الذي ، والخنفسان : الخنافس : جمع خنفساء .

ويريدون باللسان هنا : اللسان السليط .

والمعنى من لم يكن له لسان سليط يدافع عن حقه اكلته الخنافس التي هي من أكثر الحشرات هوانا ، وأقلها قدرة على الأكل .

يضرب في بيانه أهمية الحجاج والخصام بالقول في الحصول على الحق أو توقي الضرر . وسيأتي في هذا المعنى في امثالهم قولهم : الحقوق تبي حلوق في حرف الحاء من هذا القسم

٢١٨ – اللّي ما هوبْ لِكْ ، مَا يَنْفَعْك ..

اللي : الذي . وما هوب لك : ما هو لك . والمراد ما هو بملك أو بمال لك .

أي : إن الذي لا تملكه ، لا ينفعك ، ولو كان في متناول يدك . وقد سبق بهذا المعنى قولهم : مال الناس عاريّة .. في القسم الأول وذكرنا عنده قول العرب : ما سدّ فقرك إلا ملك يمينك ، ويروى : مثل ذات يدك : بدل : ملك يمينك ..

٢١٩ — ألّلي ما يَاطا على مُخّ يتعثر ..

اللي : الذي . وياطا : يطأ من الوطء حذفوا منه الهمزة كعادتهم . والمعنى : ان الحيوان الهزيل الذي لا يطأ الأرض والمراد يمشي برجل فيها مخ فإنه يتعثر إذا مشى ، لا يستطيع مواصلة المشي .

يضرب في أن الشخص لا يستطيع الاستمرار في النفقة من دون دخل ، كما يضرب للشخص الذي ليس له ظهر شديد من قومه .

هذا ولعل لأصله علاقة بما نقل عن أكثم بن صيفي من أمثاله : أشراف القوم كالمخ من الدابة ، وإنما تنوء الدابة بمخها [١] ..

٢٢٠ — اللي ما ياكلك كِله .

اللي : الذي . والمعنى : أي شيء لا يأكلك — بمعنى أنك تقوى عليه ، كُلْهُ ، ولا تنظر الى حرمة عملك هذا أو حله . وهذا من أمثال اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا كثيرين في عهود الإمارات في نجد ، ولم يعد لهم وجود فيها الآن ، ولكن بقي المثل حياً في أفواه الناس ، يضرب للتهكم بمن لا يفرق بين الحرام والحلال . وقد سبق من امثالهم ما معناه : الحلال ما حلّ باليد في القسم الأول . ونظيره من الأمثال العامية المصرية : حلال كلناه ، حرام كلناه [٢] .

المدينة المنورة — محمد العبودي

---

(١) المعمرين ص ١٥ .
(٢) الأمثال العامية ص ٢٠١ .

الحجاز في القرن السابع الهجري
على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي

- ٨ -

فائدة : جرى لي مع الشيخ الامام أبي محمد بن الزجاج – رضي الله عنه – في حالة سماع هذا الجزء عليه في الليلة المذكورة أني رمقت الشيخ وهو قد ضعف عن القعود ، فإنه كان غاية في ضعف البدن ، قد نهكه السن والمرض ، والسفر ، وكان لي وعاء أحمل فيه كتبي ، فقدمت ركبته به ، فنظر إليّ نظر المغضب، واشار إلى أن استعمال مثل هذا امتهان ، وأبى من تلك، رضي الله عنه .

رؤيا رأيتها صادقة : رأيت في بعض هذه الليالي الكريمة ، فيما يرى النائم كأني التقط حول الكعبة في المطاف ، في جهة الركن الأسود وزمزم ، ياقوتاً ودُرّاً وبعضه أشرف وأفخر من بعض ، فكان تصديق ذلك يوم أتيت المسجد الحرام فوجدت أبا محمد وابا القاسم ابني الزجاج قد جلسا أمام قبة زمزم يُسْمَع عليهما الحديث فسمعت عليهما جزء أبي العالي ، وفيه الصحيح من الحديث وما دونه ، وفيه شيء من الشعر ، فكان تأويل [......] ذلك الواقع هناك .

[١٠٢] ذكر رؤيا رأيتها (١) ، هي من المبشّرات ، وهي عن رجاء السعادة من المعبّرات :

رأيت فيما يرى النائم بمكة أو متوجهاً إليها ، في الطريق اليها كأني أحفر قبر النبي ﷺ ، فهبت هذه الرؤيا ، إلى أن عرضتها على بعض الأصحاب فقال لي : هي رؤيا خير – إن شاء الله – هي طلبك حديث النبي

---

(١) خبر هاتين الرؤييين ملحق في الهامش وفي ورقتين غيره .

ﷺ ، وبحثك عنه . فسررت بذلك ، فلما عدت إلى المغرب اتفق ان طالعت كتاب « الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء » لأبي عمر ابن عبد البر – رحمه الله – فوجدت فيه في (باب جامع فضائل أبي حنيفة وأخباره) أن أبا حنيفة – رحمه الله – رآى نحواً من هذه الرؤيا ، وإن لم أبلغ انا ما بلغه ابو حنيفة في رؤياه ، فتضاعف سروري بذلك ، وأرجو أن تكون كناية عن حال الوقت ، وأنال – ... الله – بعد حظاً مما ناله بعد الاستقبال ورؤيا أبي حنيفة هي ما أنبأنا به اجازة مشافهة وخطا أبو الحسن عبدالله بن أحمـــد بن عبد الله الفرضي ، وابو محمد عبد الله بن احمد بن عبد الله النفري (؟) قالا : انا أبو القاسم احمد بن يزيد بن بقي (؟) إجازة قال : انا ابو الحسن شريح بن محمد بن شريح بكتابه ، أنا خالي انا عبدالله بن احمد بن محمد الخولاني ، اخبره اجازة إن لم يكن سماعاً قال : انا الفقيه الحافظ أبوعمر ابن عبد البر ، الذي اجازني في جميع تصانيفه وفي رواياته ، قال ابو عمر – رحمه الله – : انا حكيم بن منذر (؟) قال انا ابو يعقوب : يوسف بنأحمد – وذكر جملة أخبار ، ثم قال – قال ابو يعقوب : وقال احمد بن الحسن الدينوري قال : انا القاسم بن عبّاد قال انا صالح بن محمد بن يوسف بن رزين عن ابي حنيفة قال : رأيت في المنام كأني نبشت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجت عظامه فاحتضنتها ، قال : فهالتني هـــذه الرؤيا فرحلت الى ابن سيرين فقصصتها عليه فقال : إن صدقت رؤياك لَتُحْيِيَنّ سنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . وانا احمد بن المنذر قال انا القاسم بن عبّاد قال : ذكر لي عن محمد بن شجاع نحو هذا الخبر في الرؤيا إلا انه قال فيه : فجعل يؤلف عظامه ويقيمها – ثم ذكر مثله – وانا أحمد بن الحسن قال انا شعيب بن أيوب قال : نا عبد الحميد بن يحيى الحماني ، قال نا يوسف بن عثمان الصباغ قال : قال لي رجل : رأيت كأن أبا حنيفة ينبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألت عن ذلك ابن سيرين ولم اخبره عن الرجل فقال : هذا رجل يحيى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو عمر : وحدثنا حكم بن منذر بن سعيد قال : نا ابو يعقوب يوسف بن أحمد قال : نا محمد بن علي السمغاني (؟)

قال : نا أحمد بن محمد بن العباس بن يزيد قال : نا القاسم بن عباد . قال محمد ابن عبد العزيز بن ابي رزمة قال : قال ابو يوسف : كنا نختلف في المسألة [٣٠٣] فنأتي أبا حنيفة فكأنها يخرجها من كمه ، فيدفعها الينا . اه . قلت هذا من تأويل رؤياه الصادقة .

ونحو من هذه الرؤيا ما اخبرنا الشيخ الاديب الحسيب اللغوي ابو محمد القاسم بن محمد الهوزني (؟) الاشبيلي في غرناطة قدمهـــا علينا من افريقية ، كان جزلاً حظه من تعبير الرؤيا ، يأتي من ذلك بدقائق غرائب وعجائب ، ولم يكن تمكنه في العلم بذاك . فقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال لي : كنت رأيت باشبيلية ، وأنا صبي صغير نحيف ، أحمـل على عنق الغلام ، فيا يرى النائم ، كأني في روضة النبي ﷺ ، ورأيت في جانبها طاقاً أتقاصر عن إدراكه ، والناس يتواردون عليه فيدخلون أيديهم في ذلك الطاق ، ويخرجون نعما يلتقمونها ، فرمت ذلك فلم تدركه يدي ، فاخذت قصبة وجعلت أبـلُ أسفلها بريقي وأدَلـِّيها من ذلك الطاق ، ثم أخرجها ، فأجد في أسفلها تراباً قد علق بهـا فابتلعته (؟) ثم أعيد تلك القصبة ، فعلت ذلك الفعل مرات ، واستيقظت ، وقـــد وعيت الرؤيا فقصصتها على أبي فقال: هل أعلمت أمك بذلك؟ قلت: لا . قال : واستدعى غلاماً لنا فحملني على عنقه مع أبي – رحمه الله – إلى المعَبّر المشهور باشبيلية المعروف بالحنتمي ، وكان يأتي في التعبير بأمور يُعجز عن إدراك فهمها ، فقصصت عليه . فقال يا بني : التراب تراث ، وهذا القدر الذي نلت مـن تراثه ﷺ نزر يسير ، وأرى ذلك أنك تؤتى حظاً من علم التعبير ، فصدق تأويله – رحمه الله –.

ومن غريب ما جرى للشيخ أبي محمد – رحمه الله – من التعبير الغريب وأنا بغرناطة أنـــه جلس في بعض العشيات مع قاضي الجماعة أبي بكر الاشبرون (؟) الأشبيلي وكان بينهما صحبة وصداقة ببلدهما اشبيلية فقال له القاضي : إني رأيت البارحة أني أقرأ من أول (ياسين) إلى قوله تعالى : (والقمر قدّرْناه منازل ، حتى عاد كالعرجون القديم) فقال له أبو محمد :

تعيش من ليلة الرؤيا ثمانياً وعشرين ليلةً ، أو مثلها جُمَعاً ، أو مثلها شهوراً. فقال له القاضي — وكان قد نيّف على الثمانين — : أو مثلها سنين ؟ فقال : لا يحتمل عمرك ذلك ، ثم قطع الخصوم بينهما الكلام ، فلما كان في الثامنة والعشرين حكم في الجامع الى أن غربت الشمس ، وكان قوياً صحيحاً ،وتوجه الى منزله ، فمات فجأة ، بعد العشاء الآخرة — رحمه الله —

فائدة أخرى [١] : لقيت بالحرم الشريف بعض العلماء الوافدين في الركب، وأخبرني باسمه فأنسيته ، ولم أره قبل ، ولا بعد ، فجرى الكلام معه في الطواف بالبيت لم شرع فعله على اليسار ؟! فذكرت بعض ما قيل فيه فقال : إنما ذلك لأن الطائف بالبيت مُصَلٍّ مؤتمّ بالكعبة ، ومن شأن الامام إذا ائتمّ به المفرد أن يقف عن يمين الامام ، وهو يسار المأموم ، وهذا الذي قاله هذا الفاضل — ذكره الله في الصالحات — حسنٌ جميل ، ويحتمل عندي أن يكون ذلك لأن يكون ابتداء حركة الطائف على يمين نفسه ، بخلاف لو جعلها على يمينه ، فإنه يكون ابتداء حركته على يساره ، وقد وقع لبعض الصوفية في ذلك إشارة حسنة ضمّنها شعراً ، وهو ما أخبرناه [١٠٤] أنا الشيخ الصالح المقرىء أبو عبد الله محمد بن عياش القرطبي نزيل مالقة ، معينا (؟) لما اشتمل على هذا القصيد ، قال : أنا القاسم بن الطيلسان سماعاً عليه ، قال : أنشدنا سماعاً عليه الفقيه الحاج الزاهد الورع الصوفي العابد أبو جعفر أحمد بن غالب البياني (؟) في الجامع بقرطبة قال : أنشدنا الواعظ الحافظ أبو بكر الاطرابلسي على منبره ، بحرم الله الشريف تجاه الكعبة المعظمة سنة ثمان وثمانين وخمس مائة ، لنفسه ، وقد سأله سائل : لم كان الطواف بالكعبة على الشمال ، والسنة في العبادات التيمن [٢] ، وكان رسول الله ﷺ يحب التيمن في شأنه كله ؟ فأنشد — مجاوباً له بعد يوم — :

إنما الكعبة في ضرب المثال ... كعروس جُلِيَتْ بين رجال

فاستحت منهم ،فغطّت وجهها ... بأكفٍّ وخمار ، ودلالْ

---

(١) بقية الصفحة التي أولها (عبيد بن محمد الحافظ) وقد ألحق بها حواش وصفحتان نقلناها.

(٢) في الهامش : (المعروف : التيامن) .

وثيابٍ كُحْلٍ ، نوريّــة		دَلّلوها ، فتناهتْ في الدّلالْ
وادي[1] ابراهيمَ كرسيٌّ لها		ثم نصّوا شخصها بين الجبالْ
تاجُها ميزابها ، إكليلها		ما علاها من بهاءٍ وجمالْ
زمزمٌ خادِمُها زمّلها		مشمل الحسن فتاهت في الكمالْ
وإذا طاف بها عاشقُها		ردّها من مرح (؟) على الشمال
فيه سِرٌّ ، ليكون قلبه		أقرب الأشياء منها للوصال
هي أمُّ الحج ، لا شكٌّ ولا		ريب في الحج ، ولا فيه جدال
هي أمُّ الخلق ، منها وُلِدوا		وهي لا حمل لها ، ولا فصال

ولما اكملنا حجنا وعمرتنا طفنا طواف الوداع ، داعين الله تعالى أن لا يجعله آخر العهد بتلك الأماكن الشريفة ، والعرصات المكرمة المنيفة ، وكنت حين القدوم أردت دخول البيت — شرفه الله — فنعني حجبته إلا بعد إعطاء ما يرضيهم ، مما يبذل لهم ، فكان قــد حضرني بعض الشيء ، فما طبت نفساً بإهدائه لهم ، فأبوا قبوله ، استنزاراً منهم له ، فرأيت ألا أعينهم على اتخاذ بيت الله مغرما ، وأن لا أشاركهم فيما ارتكبوه [2] مأثما ، فلما حان الرحيل وزُمّت المطايا ، ولم يبق من السّفْر إلا القليل ، كنت فيمن تأخر ، فألفيت البيت قد تركوه مفتوحاً [١٠٥] فاغتنمت دخوله وأنلت القلب من ذلك سُوله ، اللهم أتمم علينا نعمتك ، وابسط علينا رحمتك ، وودعت البيت ، واخذنا في الرحيل ، راغبين الى الله في التيسير والتسهيل .

ذكْر بدعة عظيمة أحدثتها العامة ،قد عاينّا بعضها ، وعلمنا ما لم نعاين .

وقد بيّن ذلك الامام ابو عمرو بن الصّلاح —رحمه الله تعالى— فقال: وقد ابتدع من قريب بعض الفجرة الختالين في الكعبة المكرمة أمرين باطلين: أحدهما ما يذكرونه من العروة الوثقى ، واوقعوا في [...] العامة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى ، فأحوجوهم إلى ان يقاسوا إليها شدّةً وعنتا ، ويركب بعضهم فوق بعض ، وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ، ولابست الرجال ،

---

(١) في الهامش : (أراد به صحن المقام ، وفوق كلمة وادي (صح) .
(٢) في الاصل : (اتخذوه) وفي الهامش : (ارتكبوه) .

أو لابسوها، فلحقهم بذلك أنواع من الضرر ديناً ودنيا. والثاني : مِسْمَارٌ في وسط البيت ، وسَمّوه سُرّة الدنيا . وحملوا العامة على أن يكشف أحـــدهم عن سُرّته ، وينبطح بها على ذلك الموضع ، حتى يكون واضعاً سُرّته على سُرّة الدنيا، قاتل الله واضع ذلك ومختلقه !!وهوالمستعان قلت : ومن الحوادث الشنيعة . طواف النساء ليلاً بالشمع في أيديهن سافرات عن وجوههن ، عاينـّا من ذلك ما يُحزن ، وغيرنا منه المستطاع باطفائها في ايديهن ، والله تعالى المسؤول ان يمنّ على المسلمين بمن يدفع البِدع ، ويحيي من الدين ما انكسر ، ويلم منه ما انصدع ، بمنّه وكرمه . اللهم أوزعنا شكر نعمك ، وأفض علينا واكب كرمك ، واصحبنا في سفرنا ، وكن معنا ، ولاتكلنا الى حولنا وقوتنا طرفة عين ، انك المنعم الكريم الوهاب .

وحين أُثيرت الجمال ، وتنادى الناس بالترحال - وكان قـــد خرج معنا عازما على السفر صاحبنا وأحد رفاقنا الفقيه الفاضل الصوفي الاديب (؟) المتخلق أبو محمد عبدالله بن عمران البسكي - نفع الله به - وكان قد أنفق ما عنده جوداً وسخاء ، حتى لم يبق الا مصحف يقرأ فيه ، وأثواب[١٠٦] ليس لها كبير قيمة ، وسليخة يفترشها - نشأت عنده - نفع الله به - عزيمة امضاها، وسعادة قضيت له في الأزل فقضاها، في المقام في تلك المشاهد الكريمة، والمعاهد العظيمة ، وكان أيسر شيء عليه النظم فأخذ بعض الاصحاب في كسر عزيمته عليه وتصعيب المقام دون سبب يرجع اليه - فارتجل جملة أبيات سمعناها منه ، فعلق بحفظي منها :

عليكم سلام الله ، إني عائد الى حيث لا أخزى ، ولا أتندّمُ
الى حرم فيه لقوم هداية وفيه لأرباب المطـــالب زمزم
ومن عرف الرزاق سكن سره (؟) ودرّ عليه الرزق من حيث يقسم

ثم ودّعناه ، وعاد الى خير معاد ، وهو الآن مقيم بها ، مغبوط الحال محمود الخلال ، تقبل الله جواره ، وأجاب في تلك المعالم الشريفة جؤاره ، وكان - نفع الله به - قد ركب البحر معنا من حضرة تونس - حماها الله

تعالى — ومن نظمه ما أنشدناه بعض أصحابنا عنه ، ان لم يكن سمعناه منه :

أمَلْتُ رؤيتكم ، وكانت مقلتي ترنو الى شيء من الاعراضِ
فأبتْ جلالة قدركم ما رُمْتُهُ حتى تطهّرها يَدُ الأمراضِ

خاطب بهذين البيتين صاحبنا ورفيقنا أيضاً في هذه الوجهة ، الأديب الصوفي المحقق ، الفقير المتخلّق ، أبا محمد عبد الله بن الوزير أبي عبد الله الطيروي (؟) الشريشي المولد ، السبتي المنشأ ، ثم التونسي ، وكان قد [١٠٧] قدم تونس — حماها الله — وأراد رؤيته ، فاعتراه رَمَدٌ منعه عن رؤيته ، فلما عوفي من مرضه وتلاقيا قال هذين البيتين ، وأنشدني له بعض أصحابنا :

أهلاً وسهلاً بالذين أحبّهم وأحِلُّهم مني بمنزل ناظري
قوم إذا ذكروا حديث نبيّهم لم يخرجوه عن المراد الظاهر

رؤيا صالحة ، تدل على أعمال له ناجحة :

أخبرني رفيقي الوزير أبو عبد الله ابن أبي القاسم قال : كنّا بمكة جلوساً مع صاحبنا أبي محمد البسكري ، وأبي محمد الطبري ، قال : فأغفى الطبري فاستيقظ متعجباً فقال : رأيت الساعة عيناً تنبع في بيتنا ، أو عندنا في الارض ، وقطر ينزل عليها من السماء مسامتاً لها قال : فمدّ أبو محمد البسكري يده من كمّه وأخرج وانشمه (؟) في يده وهو يحركها فقال : هذه هي العين النابعة . صدق صلى الله عليه : « إنه لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل الصالح ، أو تُرَى له » .

ذكر سفرنا من مكة شرّفها الله ، قافلين الى طيبة ، زادها الله طيبا

رحلنا من ظاهر مكة — شرفها الله — بعد ظهر يوم الاثنين الخامس عشر لذي حجة ، راغبين الى الله تعالى في القبول ، مزمعين بمشيئة الله على العود إلى حضرة الرسول ، داعين ببلوغ السول ، فما زلنا نسير منزلا منزلا ، متعرضين

للبركة في كل إقامة وحركة ، إلى قريب الفجر من الليلة الخامسة والعشرين ، وقد شارفنا المدينة – شرفها الله – فنزل مطر وابل ، ولمعت بروق ملأت ما بين السماء والأرض ، وعَشيت الجبال ، وماد بعضها على بعض ، حتى انقطعت الأنساع ، وتكسرت الهوادج ، وعاينّا أمراً هائلاً ، كهول البحر حالة اغتلامه ، فوقف الناس ساعة عن المسير ، ثم أديل من العسر اليُسر ، وأشرق الفجر ، وسرنا – حامدين الله شاكرين – إلى أن وافينا المدينة – على ساكنها الصلاة والسلام – عشي يوم الخميس ، من صبيحة اليوم الخامس والعشرين .

ولما وصلنا ذا الحُليفة أو نحوها نزلنا عن الأكوار ، واحتدم الشوق لقرب المزار ، وكان صاحبي ورفيقي الوزير الفاضل ، الاديب الحافل ، الماجد الكامل ابو عبدالله – منحه الله العافية ، ومسح عليه يمينه الشافية – قد أصابه رَمَدٌ ، فعند معاينة تلك المعاهد الكريمة أحسّ بالشفاء من ألمه ، فبادر الى المشي على قدمه ، احتساباً لتلك الآثار ، وإعظاماً لمن حلّ تلك الديار ، وأنشدنا لنفسه في وصف الحال ، وكتبه لي – بَعدُ – بخطه :

ولمّا رأينا من ربوع حبيبنا ... بيثرب أعلاماً أثرن لنا الحُبّا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا ... شُفينا ، فلا بأساً نخاف ولا كربا
وحين تبدّى للعيون جمالها ... ومن بُعدها عنا أُديلت لنا القُربى
نزلنا عن الأكوار ؛ نمشي كرامة ... لمن حلّ فيها ان نلمّ بها رَكْبَا

ولما قضينا واجب السلام على خير الأنام ، وصاحبيه المعظمين المقدمين في الصحب الكرام ، المخصوصين بما لم يخص به أحدٌ من أهل الاسلام ، [١٠٨] عدنا الى رحالنا .

وكانت إقامتنا هناك بقية يوم الخميس ، ويوم الجمعة بعده ، ويوم السبت ، وصدر يوم الأحد ، نتردد إلى الصلوات ، وإلى تحيته – ﷺ ، وصاحبيه – رضي الله عنهما – بأكرم التحيات .

---

(١) في الهامش فوق كلمة أديلت : (صح) .

- ٣ -

تمهيد :

منذ بدأ اتجاهي لدراسة كتاب « الأغـــاني » لأبي الفرج الاصبهاني .. والاطلاع على ما يقع تحت يدي من كتب أو دراسات عنه .. وجدت نفسي في خضم متلاطم الأمواج من الآراء عن هذا الكتاب الخالد .

وهي آراء .. يمسك بعضها برقاب بعض .. حيناً في لطف وهـدوء .. وحيناً آخر في قسوة وعنف .. !!

ورأينا من فعل الوافدين أنهم إذا فرغوا من الصلاة أدارت الصفوف كلها أعناقها الى أيسارها ، وقالت برفيع من أصواتها : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ولم نرَ من ينكر ذلك الفعل ، ولا بلغنا أيضاً فعله عن السلف – رضوان الله عليهم – فأنا لا أنكر ذلك ولا أراه (؟) .

ذكر بعض ما جرى لي هنالك :

قرأت مكتوباً في وجه الخزانة الكريمة، التي تقابل المتوجه إلى الروضة الكريمة ، وهي التي يضع الناس فيها الكتب الواردة بالتسليم عليه ، ﷺ – هذين البيتين :

سعدتم به ، يا زائرين ضريحه　　أمنتم به يوم المعاد من الرِّجْس
سلمتم وأضحيتم بأكناف (طيبة)　　فطوبى لمن يضحي بطيبة ،أو يُمسي

وبلغني أن هذين البيتين من كلمة لمحمد بن رشيد – بفتح الراء وكسر الشين – البغدادي الواعظ ، وهذه الخزانة الموضوعة في هذا الموضع كأنها قصد بها ألا يستقبل المصلي شيئاً من الروضة الكريمة ، ولذلك بنيت من الجهة الجنوبية على زاوية حادة لئلا يستقبل المصلي منها شيئاً . والله أعلم .

(للبحث صلة)

لقد وجدت بعض الباحثين ممن تصدوا للتأليف أو الكتابة عن كتاب « الأغاني » وصاحبه يغالون مغالاة شديدة في تقويمهم للكتاب وصاحبه.

ووجدت الآخرين يميل منهم فريق الى العنف والقسوة على ابي الفرج .. وفريق آخر يميل الى الاتزان والعدل .. أو بالاصح يميل الى البحث العلمي المجرد.

والحق يقال انني وجدت — خير ما وجدت — مما وقع تحت يدي من مؤلفات عن أبي الفرج الاصبهاني، وكتابه الاغاني .. كتاب الدكتور محمد أحمد خلف الله « صاحب الاغاني : ابو الفرج الاصبهاني الرواية » خير كتاب، وخير مؤلف، وخير باحث ودارس لهذا المؤلف الخالد .. ودعك من انه لم يستوف بحثه كاملا .. فهو — مثلا لم يتعرض لمصادر أبي الفرج إلا من نواح غير كافية أو غير مستوعبة كما لم يتعرض لها — أي المصادر — أي كاتب او مؤلف ممن قرأت لهم، ولكن بصرف النظر عن ذلك يعتبر — من وجهة نظري — احسن كتاب إطلعت عليه عن كتاب الأغاني وصاحبه .. لأن شخصية مؤلفه واضحة بارزة — وكدت أقول طاغية — من خلال النصوص التي أوردها، ومن خلال فهمه لهذه النصوص .. ومن خلال تعليله لها أيضاً.

ان الرجل قادر قدرة طاغية من خلال تصديه لهذا الموضوع .. فهو تصدى لو بعث الاصبهاني لراعه منه ما راعني ..

وعلى هذا الكتاب اعتمدت بقدر وافر من الاعتماد في سبيل التأكد من وجهات النظر التي كونتها عن أبي الفرج وكتابه الأغاني من قبل !!

وكنت قبل ذلك قد اطلعت — مثلا — على كتاب « أبو الفرج الاصبهاني وكتابه الأغاني » للاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعي .. المصحح بدار الكتب المصرية، وهو كتاب على غاية كبيرة من الجودة . من حيث الجمع .. أقول من حيث الجمع، ومن حيث الجمع فقط .. إذ قد جمع طائفة لا يستهان بها من النصوص والآراء لقدماء ومحدثين عن كتاب الاغاني .. وقد راجعت بعض ما يهمني من تلك النصوص في مظانها فوجدت الرجل دقيقاً أميناً في النقل.

أما من حيث شخصية المولف ، وبجمل رأيه .. فهو على ناحية من الضعف مؤسفة .. إذ ما كنت أتصور ان من يستطيع القدرة على هذا الجمع يكون بهذا القدر من الضعف والخذلان في رأيه !!

ولقــــد اطلعت أيضاً على كتاب « أبو الفرج الأصبهاني » للاستاذ شفيق جبري وهو كتيب صغير من سلسلة (نوابغ الفكر العربي) وهي في رأيي — مع احترامي للقائمين على شؤونها وللاستاذ شفيق جبري أيضاً — سلسلة غايتها التجارية ، أو على الأقل الشعبية ، واضحة جداً .

واقل ما يدل على رأيي هذا ضآلة حجم الكتاب — سواء كتاب شفيق جبري أو غيره من السلسلة - في نفس الوقت الذي تتصدى فيه كتب هـذه السلسلة لموضوعات هامة؛ ولكن لا شك ان هذه السلسلة تؤدي دوراً لا بأس به على مستوى الثقافة الشعبية .. أو الثقافة العاجلة .

أما على صعيد البحث فذلك ما لا ترقى اليه هذه السلسلة (نوابغ الفكر العربي) !. وقرأت أيضاً كتاب « علوم الحديث ومصطلحه » للدكتور صبحي الصالح .. وهذا الدكتور يبدو لي شديد الاختصاص بموضوعه .. أو بموضوع كتابه هذا .. فانني سبق أن درست — على طريقتنا .. القديمة — علم مصطلح الحديث ...

وبقدر ما كانت دراستي لهذا العلم دراسة قديمة — وان كنت ما أزال في مستهل شبابي .. — كان اعجابي فائقاً بالدكتور صبحي الصالح . لا لشيء الا لأنه يعرض علم (مصطلح الحديث) بأسلوب عصري جذاب .. لا يستغنى عنه القدامى .. ولا يملك الشبان أمثالي إلا التطلع اليه !!

وهذه ليست كل مصادري عن كتاب « الأغــــاني » .. فبالاضافة إلى الكتاب نفسه الذي قرأته مرات لا تقل عن اصابع اليد الواحدة، ولا تزيد .. فضلاً عن مقالات ودراسات . وعن أخبار مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ العربي .

ولست أدري ما الذي دعاني إلى الاستطراد في هذه المقدمة بهذا الشكل . إذا لم يكن الشأن هو انني من الذين لا يحملون درجات علمية – كماجستير ، ودكتوراه .. و . والخ – وأن هؤلاء الذين يحملون هـــذه الدرجات لا يؤمنون – أو لا يكاد بعضهم – يؤمن بغيرهم من خلق الله الذين ابتلاهم – سبحانه وتعالى – بحب الاطلاع والقراءة !!

وذلك بحجة إن الذين ليست لديهم مؤهلات أو شهادات لا يستطيعون الخوض في البحوث بطرق علمية ومنهجية ..!!

وأما بعد : فإنني سأتجه فوراً الى موضوعي « الأغاني وصاحبه في ميزان الرأي بين قدماء ومحدثين . »

يذهب بعض الأدباء بكتاب « الأغاني » مذاهب بعيدة حيث يعتبرونه حجة من الحجج المطلقة .. وخاصة فيما يسنده من الروايات .. فإن الروايات المسندة شيء فاتن ، في نظر كثير من أغبياء الباحثين . أو المتأدبين .. أو ادعياء البحث والأدب ..

ومن ذلك قول صاحبنا المشار اليه آنفاً الاستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي في كتابه « ابو الفرج الاصفهاني ، وكتابه الاغاني » ص ١٠٩ : (والاغاني لا يعتبر اهم مرجع للتـــاريخ الأدبي إلى القرن الثالث الهجري ، فحسب ، بل يعتبر كذلك اهم مصدر لتاريخ الحضارة الاسلامية للدولتين الأموية والعباسية)

وهذا القول من الأقوال التي ظاهرها الرحمة ، وباطنها العذاب .. فانه من الصحة بمكان ان يكون كتاب الأغاني من أهم مصادر تاريخ الحضارة الاسلامية للدولتين الاموية والعباسية .

ولكن – وهنا مربط الفرس – لا يمكن لكتاب « الأغاني أن يرقى الى هذا المستوى بشكله الحاضر ، او بنصوصه أو رواياته المسندة أو غير المسندة.. فان ذلك كله مما يشول في كفة البحث المجرد .. وإنمـــا يستطيع الباحث الحديث أن يرقى بكتاب « الأغاني » الى أكثر من هذا المستوى .. إذا هـو

تصدى لقراءته ، وفهمه ، ومقارنة نصوصه بغيرهـا .. وألم بمصادره وميوله واتجاهاته .. يستطيع من ثم ان يستخلص لنا منه العلم الجزيل بشكل يلائم الذوق العصري الحديث .

وارجو الرجوع الى ص ١٧٥ من نفس كتاب الاستاذ عبد الجواد الاصمعي إذ إن ما أسلفته هو بالقرب من رأي الدكتور طه حسين الذي يقول عنـه الاصمعي في نفس الكتاب :(أدامه الله ذخراً للعلماء والادباء) ويقول الدكتور طه حسين ايضاً : أما نحن فأشد من هؤلاء القدمـاء طمعاً ، وأكثر منهم تحفظاً .. ولا تكفينا أسماء الثقات من الرواة [فما بالك بغيرهم ممن ليسوا من الثقة في شيء ؟] ولا يكفينا جمال القصيدة وجودة المقطوعة ، وإنما نريد ان نتخذ كل شيء موضوعاً للبحث والنقد والتحقيق والتحليل ، ولا نكاد نفرق في ذلك بين الأدب والعلم ، ونحن محقون لأننا لا نبتغي من الادب والتـاريخ رواية الاعاجيب والعظات ، ولا ارضاء الذوق والميل الفني ، وإنمـا نتخذ الأدب والتاريخ مرآة للأمم وسبيلاً الى فهم حياتنا العقلية والشعرية والى فهم ما خضعت له من ألوان النظم المختلفة [١] .

أجل هذا هو الرأي .. ولا يمكن بدون ذلك ان يعتبر كتاب الأغاني : (أهم مصدر للحضارة الاسلامية للدولتين الأموية والعباسية) كما يقول الأستاذ الأصمعي ..

ثم هو نفسه ايضاً يضيف في كتابه – ص ٢٨٠ – قوله : (ويعتبر كتاب الاغاني أول المراجع التاريخية والادبية الكبيرة التي تغلب عليها صحة النقل ، وتحري الصواب) .

انني لا أملك ، ولا استطيع ان املك إلا العجب من أمثال هذه الاقوال (صحة النقل وتحري الصواب) مع ان مؤلف « الاغاني » نفسه لا يزعـم لنفسه .. هذه الصحة ولا ذلك التحري .. بل هو – أي الاصبهاني نفسه – قد نبه وأكد على أنه يحرص في كتابه على جمع كل ما قيل في بابة كتابـه ..

(١) راجع نفس الكتاب ص ١٧٦ .

لا يكاد يهمه صدق ما يجمع من كذبه .. فانما هو راوية .. ولم يكن له شأن المؤرخ في (صحة النقل وتحري الصواب) ..

وقد نص في أكثر من موضع من كتابه أنه يكره أن يخلو الكتاب من شيء قد رواه ودونه الناس [1] .

ونص على انه : (يكره أن يؤثر عنه في هذا المعنى ما يبقى على الأيام مخلداً ، واليه على تطاولها منسوباً ، وان كان مشوباً بفوائد جمة ، ومعان من الآداب شريفة [1])

وإذا كان ينبه أحياناً إلى أن هذا الخبر أو ذاك : (الصنعة فيه واضحة أو مكذوب) فقد قلنا في بحث سابق: انه انما يفعل ذلك لا لغاية التحقيق ، وتحري الصواب بقدر ما هو إبراز لمكانته في علم الرواية – وهو محق كذلك – ولكن لم يكن من غايته في كتاب الأغاني سوى (الامتاع والمؤانسة) وان ما يأتي : (في كل فصل من ذلك بنتف تشاكله ، ولمع تليق به ، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها من فائدة إلى مثلها ، ومتصرفاً فيها بين جد وهزل ... الخ [3])

وأشار كذلك في مقدمته انه يعرف أن : (فى طباع البشر محبة الانتقال من شيء إلى شيء، والاستراحة من معهود إلى مستجد، وكل منتقل اليه أشهى إلى النفس من المنتقل عنه ، والمبتكر اغلب على القلب من الموجود [4])

وارجو ان تضعوا خطاً تحت العبارة الأخيرة وهي (والمبتكر أغلب على القلب من الموجود) ضعوا خطاً ... ثم اقرأوا معي هذه الفقرة من كتاب « تأريخ الأدب العربي » للمرحوم مصطفى صادق الرافعي ص ٢٨٣ ج ١ –:

---

(١) راجع مثلا ص ١٧ ج ١ من الاغاني .
(٢) ج ١٨ ص ١٦١ الاغاني
(٣) من مقدمة الاصبهاني .
(٤) ج ١ ص ١٥ الاغاني .

(أما القصاص فإنهم كانوا يميلون وجوه القوم اليهم ، ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغرائب والأكاذيب من الاحاديث ... وللقوم في هذه الفنون الاكاذيب العريضة ، والاخبار المستفيضة)

وان الذي لا شك فيه ان الاصبهاني قد حاول جاداً أن يميل وجوه القوم اليه – خاصة وان باعث تأليف كتابه كان بطلب من رئيس – واتى بمناكير وغرائب واكاذيب من الاحاديث .. ينص هو نفسه على كذب بعضها .. ولكنه يوردها لا لشيء إلا لأنها قيلت.. وإلا لأنه يحرص الا يفوته أي شيء مما قيل ، وان كان كذباً .. ذلك لأنه يحرص ان يستدر ما عند القوم – على طريقة القصاص – ولو بالأكاذيب العريضة والاخبار المستفيضة . !!

وهل هناك أكثر استفاضة من روايات ابي الفرج وأخباره ؟

ثم ان ابا الفرج من المتفوقين في الاسلوب ، والحبكة ، والابداع الفني والادبي لذلك أجد نفسي ملزماً بالاشتراك في الرأي مع الدكتور أسد رستم حيث يقول : (ولا نرى بدأ في هذه المناسبة من مصارحة المؤرخ المستجد بأن شكنا في عدل الراوي يتناسب أحياناً كثيرة مع تفوقه في الإبداع الفني والادبي .. فكلما ازداد الراوي ابداعاً في اسلوبه الادبي ازددنا شكاً في عدله [1]) !!

ترى من من الرواة يملك الابداع في الاسلوب الادبي كما يملك الاصبهاني؟؟

والحق انه لا يمكننا مؤاخذة الاصبهاني بسبب ذلك .. فهو قد تبرأ .. بل طالبنا بعدم مؤاخذته بهذه الأسباب ، ما دام قد نبه الى طريقته في جمع الكتاب وتأليفه .

ولكننا نورد هذه النصوص ، والأقوال ، والآراء بقدر ما نريد أن ننظر

---

(١) كتاب مصطلح التاريخ ص ٦٥ .

في كتاب « الاغاني » نفسه .. كأثر بارز من تراثنا الضخم .. تلزمنا دراسته ولا شيء يمنعنا من ابداء الرأي فيه .

وبين ايدينا الآن - بالاضافة الى ما تقدم - طائفة من الآراء لقدمـاء ومحدثين ممن لهم ثقل في ميزان الرأي .. وسأحاول ابداء رأيي متى لزمني ذلك ، في سبيل المقارنة والاستنتاج والحصول على نتيجـة تستوجب إبـداء الرأي .

١ - قال النوبختي فيه ، وهو من معاصريه : (كان أبو الفرج الاصفهاني أكذب الناس . كان يدخل سوق الوراقين ، وهي عـامرة بالدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها [١]) .

وقد علق شفيق جبري على ذلك بقوله : - (يسلخ صاحب الأغاني خمسين سنة من تأليف كتاب الأغاني .. ويتبع فيه الصدق ، وشدة التوقي على قدر الامكان . فيجهد نفسه في البحث عـن أصح الأخبار والروايات والأحاديث ، ويتبرأ فيها من كل عهدة ، ويحاسب الرواة على الأكاذيب والخطأ .. يؤاخذهم بكل تحامل وحمق وسب وشتم وتجهيل . فيجيء أحد النقاد فيقول : انه أكذب الناس دون أن يكلف نفسه بيان موطن من مواطن هذا الكذب [٢]) .

فأما قول النوبختي : (كان أبو الفرج أكذب الناس) فإننا لا نملك من الأدلة ما يدحض هذا الزعم أو يثبته بشكل قاطع ،وأما أن روايات الأصبهاني كلها من الصحف التي يشتريها من الوارقين المملوءة دكاكينهم بالكتب الخ .. فهو قول يكاد يمس أنف الحقيقة .. وذلك لأسباب أقلها أننا أثبتنا فيما سبق من هذا البحث ان الأصبهاني كان يحرص الحرص كله ألا يفوت شيئاً مما قبل من بابة كتابه عن صدق أم كذب .. ولهذا لا يمكن أن يضيره - وهـــو

(١) ص ١٤ - ١٥ كتاب (ابو الفرج الاصفهاني) لشفيق جبري .
(٢) المصدر السابق نفس الصفحات .

بجوار الصاحب بن عباد – شراء الصحف الكثيرة .. وأن ينقل من رواياتها الشيء الكثير .. فتلك هي عادة القوم يومئذ .. ولم تنشط سوق الوارقين إلا من هذه المادة . وذلك وبعد أن استفاض تدوين الرواية .. وأصبحت تقدم على أطباق من ذهب فنون الأسالب والتنميق والتزويق للخلفاء ، والرؤساء ، وسراة القوم !!

ثم ان الأصبهاني نفسه يشير في كتابه أكثر من مرة بقوله : (نقلت من كتاب كذا .. أو نسخت من كذا) ليس في كتاب الأغاني فحسب بل في كتابه « مقاتل الطالبين » أيضاً يقول الاستاذ السيد احمد صقر محقق وشارح هذا الكتاب في المقدمة : (وقد أتى أبو الفرج بروايات مدخولة وأحاديث موضوعة لم يعقب عليها . ولكنه أمر نقده على بعضها الى أن يقول : وكنت إذا ما رأيت أبا الفرج ينزع نزعة مسرحية نقلت من أقوال ثقاة المؤرخين ما يرجع الحق إلى نصابه ، ويرد التاريخ إلى محرابه [1])

ونحن الآن بين أمرين أهونها شرّ ، الأمر الأول : ان يأتي الأصبهاني بهذه الروايات المدخولة من عنده فيكون إذن كما قال عنه النوبختي . والأمر الثاني : أن يأتي بهذه الروايات المدخولة من سوق الوارقين .. وهذا ما يؤيّد قول النوبختي أيضاً بأن معظم روايات الاصبهاني من الكتب التي يشتريها من سوق الوراقين ..

وأما تعليق شفيق جبري الذي أوردناه انفاً فإنه لو لا أن مثله وأمثاله من الآراء من الحوافز التي دفعتني لكتابة هذا البحث .. إذ وجدت لشفيق جبري أضراباً وأشباهاً من اخواننا الأدباء .. ويذهبون بكتاب الأغاني مذاهب بعيدة لو بعث الأصبهاني من قبره لهالة منها ما هالني !!

لو لا ذلك .. ولو لا ما يقتضيه البحث لما أوردت رأي شفيق جبري

---

(١) من مقدمة احمد صقر لكتاب (مقاتل الطالبيين) طبع دار احياء الكتب العربية .

فإن فيه مغالاة شديدة بغير قليل من التسرع .. فالاصبهاني نفسه لم يقل قط أنه تتبع الصدق وشدة التوقي .. بل قال انه يحرص على جمع كل ما قيل ، لا يهمه صدق ذلك من كذبه .

أما أنه يحاسب الرواة والأكاذيب على الخطأ .. فإن ذلك لم يحصل إلا في مناسبات معينة من كتابه ورواة بذاتهم .. ومع ذلك مع نقده ومعرفته لهذه الروايات الكاذبة الزائفة يوردها في كتابه لا لشيء الا لأنه يحرص على جمع كل ما قيل ..

أما أن يفاخر شفيق جبري بأن الأصبهاني كان يؤاخذ الرواة بكل تحامل وحمق وسب وشتم وتجهيل .. فإن ذلك ليس من التبرئة في شيء للاصبهاني .. بل هو الادانة . كل الادانة .. والافدح كان التحامل والحمق والسب والشتم والتجهيل مما يؤخذ به في مجال النقد ؟ ومتى كان التحامل والحمق والسب والتجهيل من وسائل البحث ؟ أو من أدوات النقد ؟!

ومما هو أطم في رأي شفيق جبري انه لم يورد مثلاً واحداً على حكاية (تتبع الصدق وشدة التوقي) عند أبي الفرج .. الأمر الذي لا يمكن معه الأخذ برأيه .. ولكن لا شك أن في مثل هذه الآراء المتسرعة فتنة كبيرة على عامة كبيرة من القراء .. فإنه ما دام أن الأصبهاني على درجة من تتبع الصدق ، وشدة التوقي .. يجب أن تكون جميع المهازل التي وردت كتابه صحيحة دون أن نبحث عن أصلها وفصلها . فضلاً عن ظلها وذلك ما لا يقول به باحث .

٢ – يقول ياقوت الحموي [١] : (لعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر ، جم الفوائد ، عظيم العلم جامع بين الجد البحث ، والهزل النحت الخ) .

والحق أن ما قاله الحموي يضرب في منطقة موغلة من كبد الحقيقة .. ويهمنا بصورة خاصة – قوله : (جامع بين الجد البحث ، والهزل النحت)

(١) ج ١٣ ص ٩٨ معجم الأدباء ط مصر (دار المامون) .

فأما الجد البحت فلو توفر باحث أو أكثر على دراسة الجوانب الجدية في كتاب « الأغاني » ، ومقارنتها بما ورد في كتب ثقاة المؤرخين ، أو ثقاة الرواة .. أو عن طرق أخرى ليس أقلها مصادر الكتاب ، أو تحري النص .. أو عدل الراوي .. وهل أجاز أحد من رجال الحديث روايته أم لم يجزوا .. فضلاً عن وسائل كثيرة لا يعنينا هنا ذكرها .. وبهذا وحده نستطيع التثبت من (الجد البحت) في كتاب « الأغاني » .

أما (الهزل النحت) في كتاب الأغاني .. فحدث ولا حرج .. فهـــو سداة الكتاب ولحمته .. ومع ذلك فإنه — أي الهزل النحت — يمثـــل في الواقع — شئنا أم أبينا — ظلاً من ظلال الحقيقة يجب ألا يستهان به ..

ان الأساطير نفسها — وهي مجرد أساطير — لها في كثير من المواقف ظل حقيقة .. فما بالك بروايات مسندة — ودعك من أهمية الاسناد — لا بد أن يكون لها نصيب من ظل الحقيقة أكثر ..

هذا النصيب من ظل الحقيقة : يجب أن يكون أكبر دافع لرجال البحث في لغة الضاد لاستقصائه وتمحيصه ، وإدارة الرأي فيه .. ولكن وأسفاه : ان هناك وفرة من المفاهيم (القمقمية) تحـول دون كثير من ذلـــك .. وان كان الرأي المعتدل والحجة المنطقية متزنة .. لا بد أن تحطم شيئاً من ذلك !!

واننا لفي أمس حاجة إلى دراسة تراثنا ، وتقديمه لأجيالنـــا بصورة صحيحة صريحة منقحة .. مجردة تجريداً علمياً بعيداً عن قصور الأفهام ، وانغلاق العقول .. فإن تراثنا لم يبق منـــه إلا الصورة التاريخية المجردة — وهي صورة مشرفة والحمدالله — ولكن قبل أن نقنع غيرنا بقالبها المنطقي الحديث .. يجب ان نصنع نحن هذا القالب ونؤمن به !!

٣ — يرى العلامة ابن خلدون — وانا هنا — انقل هذا النص عن كتاب محمد عبد الجواد الاصمعي « أبو الفرج الأصبهاني وكتابه الأغاني » — ص ١٦٨ :

(يقول العلامة ابن خلدون : ولعمري انه ديوان العرب ، وجامع اشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ ، والغناء ، وسائر الاحوال ، ولا يعدل به كتاب في ذلك ، فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ، ويقف عندها)

ورأى ابن خلدون له ثقل كبير في ميزان الرأي وان كنت – شخصياً – لا أذهب مع الذاهبين بابن خلدون أيضاً إلى بعيد .. فإنك تلمس في مقدمته وغيرها .. ، ما لو أخضع لصهر البحث الحديث لوجد انه يحتاج – بدرجة لا تقل شأناً – إلى إعادة النظر في أرائه – ولا أقصد رأيه في أبي الفرج فذلك شيء آخر – !!

ومع ذلك فأنا لا يهمني الآن سوى النظر في رأيه في أبي الفرج ، وكتابه « الأغاني » .. فذلك هو موضوع بحثي هذا .. فأن يكون كتاب الأغاني (ديوان العرب) و جامع واشتات المحاسن ، التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ ، والغناء ، وسائر الاحوال) لا شك ان في ذلك مبالغة كبيرة .. أقول كبيرة ..

والا فان كتاب « الاغاني » يحتوي على نصيب لا يستهان بـه من كل ذلك – وهذه حقيقة – ولكن ان يكون كتاب الاغاني وحده (ديوان العرب) فأنا اتساءل : أين يجب أن يوضع من التراث العربي – شعراً أو نثراً – ما لم يرد في كتاب الأغاني ؟.

وكتاب الأغاني – كما هو معروف – لم يحو كل الشعر العربي في الجاهلية وصدر الاسلام .. أي قبل تأليف الأغاني نفسه .. ذلك الشعر الذي هو (ديوان العرب) وذلك ما لا تحتويه كلمة ابن خلدون بأنه – أي كتاب الأغاني – (ديوان العرب) .. فتلك أولى المبالغات التي لا تخلو منها مؤلفات القدماء وتعبيراتهم . !!

وأما ما يراه ابن خلدون من أن كتاب الأغاني : (جامع اشتات المحاسن

التي سلفت لهم – أي ، العرب – في كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ) فذلك مما ينطبق عليه ما قلناه آنفاً .!!

وأما قوله (والغناء) فذلك ما لا أملك الا أن أثبته كما هو لأنني لا أجد بين يدي من الأدلة ما يدحضه أو يثبته .!!

وأما قوله – أي ابن خلدون – (وسائر الأحوال) فتلك مبالغة مفرطة .. وإلا فأين نذهب بالمؤلفات التي وصلت إلينا مطبوعة أو مخطوطة.. أو التي لم تصل في (سائر الأحوال) تلك – لا شك – مبالغة مفرطة ، وغير متحفظة نربأ بابن خلدون عنها ولكنها صدرت منه مع ذلك كغيره من المفرطين ، والمفرطين – بتشديد الراء وكسرها – من القدماء والمحدثين !!

قد يقول قائل : إن هذا تطاول مني على ابن خلدون وامثاله . أما أنا فأقول انه لم يقتلنا في دراسة تراثنا وتاريخنا الا شيوع تهمة (التطاول) بيننا .. وإلا فما قيمة الرأي إذا لم يقف موقف النقاش مع ابن خلدون أو غيره ؟ .

ثم يهمني بعد – نزولاً عند باية هذا البحث – أن نقف عند قول ابن خلدون : وهو – يقصد كتاب الأغاني طبعاً – (الغاية التي يسمو اليها الاديب ، ويقف عندها) .

والشيء الذي يهمنا بالدرجة الاولى من وقفتنا هذه عند قول ابن خلدون هذا .. هو انه – وهو المؤرخ المشهور – لم يقل ان كتاب الاغاني هو الغاية التي يسمو اليها المؤرخ ويقف عندها .. بل قال . انه الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها ..

ولا شك ان الغرض معروف بين ما يجب أن يقف عنده المؤرخ .. وبين ما يجب أن يقف عنده الاديب .. وفي ذلك ما يؤيد رأي الدكتور زكي مبارك الذي سنعرضه فيما بعد من بحثنا هذا..وهو رأي يبحث عن الاجابة على السؤال التالي : (كتاب الأغاني . هل هو كتاب تاريخ أم كتاب ادب ؟) .

(للبحث صلة)

علي العمير

حديث الكتب

تاريخ العرب قبل الإسلام

للدكتور جواد علي

الحق أن أقول ان الدكتور جواد علي قد هيأ لدراسي التاريخ القديم ومحبيه فرصة الاطلاع على ما كتبه المستشرقون في تاريخ العرب قبل الاسلام ولا سيما الألمان منهم فقد اعتمد المؤلف كثيراً على ما كتب هؤلاء . على أني استكثر أن يكتب عن أحقاب ما قبل الاسلام ثمانية أجزاء كبيرة إذا علمنا ان المواد الأولية المعتمدة هي النقوش وان الأعاجم المستشرقين قد استبعدوا ما كتبه المؤرخون المسلمون الأقدمون عن هذه الفترة .

والآن وقد صدر الجزء الأول من « تاريخ العرب في الاسلام » فلا بد من من أن أفيد منه وذلك لأنه يؤرخ لفترة الاسلام الأولى التي خضعت لعلم التاريخ المدون الصحيح .

وقد دعا المؤلف في المقدمة بلهجة مخططة إلى النقد فقال : « ونقد الناس مهما كانت أهدافه وأغراضه هو في نظر كاتب هذه الصفحات حكمة وتعليم وتقويم ودرس لمن اعتبر ... » .

وعكفت على الكتاب وهو يشتمل على السيرة النبوية من المولد إلى بدء انتشار الدعوة فأفدت من المؤلف وحمدت له جهده رسعيه .

على انني أخذت عليه ألملاحظات وددت أن أنشرها لعل فيها غناء وجدوى للدارسين .

أشار المؤلف في الصفحة « ٥١ » إلى (الأحابيش) فقال : وقد تكدس في مكة عدد كبير من (الأحابيش) أي الرقيق الأسود المستورد من افريقية من الحبشة وغيرها . وقد عرف هؤلاء بالأحابيش ، لصلة الحبش

بجزيرة العرب قبل الاسلام بزمان طويل ، ولحكم الحبش لبقعـــة كبيرة من الساحل المقابل لبلاد العرب ، ولكونهم المستوردين لهؤلاء الى اسواق النخاسة في ساحل افريقية ...

ولم يشر المؤلف الفاضل الى المصدر الذي اعتمد عليه في إثبات هـــذه الفوائد . ومع أني لا أنكر أن قد كان في مكة عبدان وان منهـم من كانوا حبشاً ، وان ننس لا ننس بلالاً الحبشي فإني أجد الاستاذ المؤلف قـد وهم فتصور « الأحابيش » الذين يتردد ذكرهم كثيراً في تاريخ مكة قبل الاسلام عبيداً أحباشاً بسبب ان الكلمتين تؤلف مادة لغوية معجمية واحدة .

ولو رجع المحقق الى المعجمات اللغوية لبدا له وجه الصواب فقـــد ذكر المجد الفيروز آبادي في القاموس المحيط ان « حُبْشي ّ بالضم جبل بأسفل مكة ومنه أحابيش قريش لأنهم تحالفوا بالله أنهم ليد على غيرهم ما سجا ليل،ووضح نهار وما رَسَا حُبْشي » .

وفي «اللسان» ان الاحابيش أحياء من القارة انضموا الى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الاسلام ، فقال إبليس لقريش : إني جـار لكم من بني ليث ، فواقعوا دماً ، سُمّوا بذلك لاسودادهم ، قال :

ليث وديل وكعب والذي ظأرت   جمع الأحابيش لما احمرت الحدق

فلما سميت تلك الأحياء بالأحابيش من قِبَلِ تجمعهـــا صار التحبيش في الكلام كالتجميع .

وحُبْشي : جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش ، وذلك ان بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده فحالفوا قريشاً ، وتحالفوا بالله انا ليداً على غيرنا ما سجا ليل،ووضح نهار،وما أرسى حبشي مكانه،فسُموا أحابيش قريش باسم الجبل ...) وجاء في الصحاح : « والحباشة (بالضم) الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة وكذلك الأحبوش والأحابيش ..
وحبشي جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش وذلك ان بني

المصطلق ...

وهكذا نجد الخبر نفسه الذي أشرنا اليه نقلاً عن « اللسان » .

وقد نبه لامنس اليسوعي الى المـــراد بـ (الأحابيش) كما أشار إلى ذلك المستشرق « مونتغمري وات » في كتابه « محمد في مكة » .

وتبين من هذا الذي عرضنا له ان « الأحابيش » ليسوا أحباشاً عبيداً كما ذهب الأستاذ الدكتور المؤلف الفاضل .

وقد استوقفني في (ص ٩٦) من الكتاب قول غريب هذا نصه :

وأما أمه فآمنة بنت وهب من بني زهرة من بني النجار من مدينة يثرب . تزوجها عبدالله ، وهو في الرابعة والعشرين » وأشار المؤلف في الحاشية إلى ما يحملنا نفهم انه اعتمد سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد .

ثم قال : « وكان بنو زهرة من الأسر الشهيرة في المدينة . وكانت تتعاطى التجارة فتذهب إلى بلاد الشام . وهي تشبه في ذلك بني هاشم بمكة ولعل التجارة هي التي ربطت أواصر الأسرتين برباط المصاهرة والدم » .
وقد أغفل المؤلف الإشارة إلى مصادره .

وهذه المسائل مما تجعل القارىء اللبيب في حيرة ، فالذي نعرفـه أن بني زهرة من قريش وان سعد بن أبي وقاص زهري من أقارب آمنة وكان يدعى خال رسول الله (ص) وانه كان أحد الستة الذين رشحهم عمر للخلافة فلو لم يكن قرشياً لأثارت هذه المسألة انتباه المؤرخين ولأشير إلى ذلك .

وفي « جمهرة الأنساب » ص ١١٩ لابن حزم ان « بني زهرة بن كلاب : ولد زهرة بن كلاب : الحارث وعبد مناف فولد عبد مناف بن زهرة وهباً ووهيباً فولد وهب آمنة أم رسول الله (ص) ...

و « هؤلاء ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان (وهم قريش) لا قريش غير ولا يكون قرشي الا منهم ... ولد فهر بن مالـك : غالب ... فولد غالب بن

مع القراء.. في أسئلتهم وتعليقاتهم

حول التراث الشعبي

في مقدمة الجزء التاسع من المجلد الثالث (ربيع الأول ١٣٨٩ ص ٧٦٩ – ٧٧٣) أثرتم قضية العناية بالتراث العامي – أو الشعبي كما سميتموه وما أدري كيف تصح هذه التسمية – وكان من رأيكم أنها أمر لازم لكل أمة يهمها معرفة تاريخها وماضيها ، واستشهدتم واحتججتم واستأنستم ..

فهد لؤي بن غالب فولد لؤي بن غالب كعب بن لؤي ... وأما كعب بن لؤي فولد مرة – فولد مرة بن كعب بن لؤي كلاب بن مرة... فولد كلاب ابن مرة قصى بن كلاب وفيه البيت والشرف وزهرة بن كلاب (ص ١١ – ١٢) .

غير ان المؤلف قد نقل عن السيرة والطبقات ان بني زهرة هم من بني النجار !!!

والذي أراه أنه قد وقع في وهم ينبغي الرجوع عنه والاشارة إلى الصحيح. وعبارته كما يأتي في ص ١٠٠ : « أرادت آمنة زيارة أهلها لعرض غلامها عليهم وكانت وقد وعدت أهلها مراراً بزيارتهم وذهبت بـه وبأم ايمن جاريتها التي خلفها لهـا زوجها عبدالله ، وبتيت وبقي ابنها معها شهراً في أهلها... الخ » وأشار المؤلف إلى المصادر في الحاشية .

وأرى ان تعاد كتابة العبارة فيكتب : «أخوال زوجها» مكان «أهلها» . هذه نبذة يسيرة وددت أن أسجلها للفائدة من هذه السفر الجليل .

بغداد   زهير سالم

ومع أني أتفق معكم إلى حد كبير في هذا الرأي فإن لي رأياً فيما أوردتموه حججاً وشواهد على وجوب العناية بذلكم التراث ، وما جرّأني على أن أكتب إليكم بما أرى إلا ثقتي برحابة صدركم .

وقبل أن أقصد إلى ما أنا بسبيله ألاحظ اعتمادكم – في تعزيز ما تورونه على رأي الدكتور طه حسين ، ومهما يكن طول باع الدكتور في الأدب فإن طول باعه في معرفة أدب لهجة موضع شك كبير [1] . والحق – من قبل ومن بعد – لا يعرف بالرجال .

١ – وأول ما لاحظته رأيكم أن إحياء تراث الأقطار الأخرى – غير الجزيرة – مضعف لتراث العرب ؛ لأن الكثير منه موروث عن أمم بعيدة عن العرب وعن عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ، فيجب أن يحذر منه ، بل يجب أن يقضى عليه » . ولا أجد معنى لهذه التفرقة ؛ فإن إحياء تراث العامة في الجزيرة – على هـذا القياس – مضعف للتراث العربي الفصيح ، لكنني أعتقد أن التراث العربي أرسخ وأعمق من أن يؤثر فيه دراسة وإحياء غيره من تراث الحضارات السالفة ، ومعاذ الله أن يدعو أحد إلى الحدّ من دراسة وإحياء تراث الحضارات القديمة ما كان هذا الإحياء والدرس لوجه العلم ذاته، إنما المحذور هو الدرس المغرض المقصود به الدعوة إلى تقليـد ذلكم التراث لأنه من تراث الأمة فحسب بصرف النظر عن قيمته الذاتية :

٢ - ثم قلتم إن أول مظاهر فائدة دراسة تراث العامة يتمثـل في أن تفسير العامة بعض الأمثال يعيننا على تفسير تلك الأمثال الواردة في مظانهـا من التراث الفصيح. وهذا أمر فيه نظر ؛ فمن المعلوم أن تفسير الأمثال يضطرب اضطراباً كبيراً ، ونظرة مقارنة عجلى إلى كتب الأمثـال [2] تكشف عن هذا أوضح كشف ، فكيف بما يتناقله العامة مما تجرّمت عليه القرون !

(١) يقوّي من هذا الشك أن يقارن من شاء بين كتاب الدكتور « في الأدب الجاهلي » والجزء الاول من كتابه « حديث الاربعاء » ، وأن يقرأ من شاء كتابه « مع المتنبي » ومقدمة كتـابه « من حديث الشعر والنثر » .

(٢) « الفاخر » للمفضل بن سلمة و « جمهرة الأمثال » لأبي هلال و « مجمع الأمثال » .. الخ.

٣ – ورأيتم أننا « لا نستطيع » فهم ما يرد في كتب النحو واللغة من من مظاهر اللهجات العربية القديمة إلا بملاحظة لهجات العامة التي يمثلها التراث العامي [٣] . وهذه الطريقة – طريقة قياس الماضي على الحاضر – طريقة معروفة في علم اللغة [٤] ، ولكنها طريقة كثيرة المحذورات إذا مرّ في خَلَدِنا ما هو معلوم من تطور اللغات ، خاصة لهجات الخطاب التي لا يحدها ضابط ولا يحوي نحوها وصرفها كتاب ، وإذا لاحظنا الاضطراب الكبير في توضيح تلك اللهجات في الكتب التي ذكرتها [٥] .

٤ – ورأيتم أن هذا التراث بما حواه من أسماء المواضع يعين على إيفاء تحديدها الناقص في معجمات المواضع ، واستشهدتم بشعر أحد شعراء القرن الثالث عشر . ولكن الناظر يرى في هذا الرأي مغالاة شديدة ، فكيف يمكن الاستعانة بشعر قيل في القرن الثالث عشر على تحديد موضع ورد في خبر عن القرون الأولى للهجرة ، مع ما تعلمونه من اشتراك كثير من المواضع في أسمائها مع اختلاف أصقاعها مما هو مبسوط في كتب المشترك والمؤتلف والمختلف والمتفق والمفترق مما أنتم أدرى به من سواكم ، ومع ما تعلمونه من عيش البدو – وهم أغلب سكان الجزيرة – الذي لا يستقر في مكان ، بل يسيّره الخصب والجدب وما يقتضيانه من استقرار أو نجعة . أجل ، يفيد هذا التراث علماً بالضرورة لو تهيأ لنا من النصوص ما يتيح متابعة هذه المواضع منذ الجاهلية حتى يومنا . وأنّي ! ولا أنكر – بعد – ما لتراث العامة من قيمة في الاستئناس ما قدُم عهده ووثق سنده .

٥ – ورأيتم أن هذا التراث مفيد للمؤرخ بما دوّنه من الحوادث التاريخية . وأنا أتفق معكم في أن التراث الأدبي مصدر – لا مرجع – للتاريخ ، لكنه

---

(٣) من قبل سلك نحواً من هذا المسلك المرحوم حفني ناصيف في كتابه « مميزات لغة العرب » ، وقفا أثره الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه « في اللهجات العربية » .

(٤) علم اللغة للدكتور وافي ص ٤٤ – ٤٥ (ط ١٣٨٢) .

(٥) المزهر ج ١ ص ٢٢١ (ط الحلبي) فقه اللغة (الثعالبي) ص ١٧٣ (ط الاستقامة) مجالس ثعلب ٨١ (ط هارون) جمهرة الاشعار ص ٨٦ (ط بيروت) ، اللسان « ع ن ن » ، الكامل (ط شاكر) ... الخ .

مصدر ظنين ؛ فإن الأدب – خاصة أدب الأمم المتأخرة في سلم الحضارة – كثير التشويه للحقائق التاريخية ، إذ يندفع الأديب – عن قصد أو غير قصد – الى المبالغة في كل ما فيه رفع لتقديره أو هدير قبيله، وتهوين من قدر عدوه ، وقد يضطر الى الكذب وتغيير الحقائق دفاعاً عن موقفه وموقف قومه وتسويغاً لهزيمتهم أو تملقاً لشعور قرائه ، يعينه على ذلك التعريف الواسع للأدب وآراء الناقدين منذ أيام اليونان إلى يومنا وتساهلهم في المبالغات الأدبية مما تجلى أثره في آثار قدماء الأدباء ومحدثيهم منذ أيام هيرودوت وقاسيت الى عهد دوما وشرقي . فالأدب مصدر للتاريخ، لكن بالشهادة الخارجية وحدها دون الشهادة الداخلية النصية [1] .

وبعد ، فهذا ما رأيته في مقالكم موضعاً للتعليق ، وباصطحاب هذه الحدود والتحفظات في درس وإحياء التراث العامي أتفق معكم في الدعوة إلى هذا الإحياء وإلى وضع الكتب المفصلة في تاريخه وتطوره ، ونحوه وصرفه ، ومتن لغته ومظاهر بلاغته ؛ لألاّ تذهب به صروف الأيام كما ذهبت بتراث العامة في العصر العباسي وما تلاه من عصور ، فلم يبق منه إلا إشارات مقتضبة في أثابيش الكتب التي قصد بها الى التسلية مؤلفوها ككتاب الفرج بعد الشدة و « أخبار الحمقى » و « المستطرف » وبعض فصول « اليتيمة »، أو التي قصدها أصحابها من تدوين اللهجات العامية – وهي قلة – مثل « المجانة » و « رفع الامير » .

الرياض　　　　　　　　عبد العزيز بن حمد العويشق

العرب

تبادر إلى ذهني وأنا أقرأ هذه الرسالة ذكر ابني الكريم (ع. ن) وذكر

---

(١) في النقد التاريخي للانجلوا وأسيزبوس ص ٢٣٢ – ١٣٣ (ط ترجمة د. عبد الرحمن بدوي)، « منهج البحث التاريخي » للدكتور حسن عثمان ص ١٢٧ (ط دار المعارف) عرض لهذا الرأي لا يروى غلة .

المثل النجدي (أظنك يا عيد الضاوي أو القعيد !) ومع ذلك فليكن ما يكون ، ولنتجه إلى التعليق على رسالة الكاتب الكريم .

١ ـ هناك فرق بين التراث العربي الأصيل وتراث الأقطار الذي كانت في القديم تحت نفوذ أمم أعجمية ، فجزيرة العرب هي مهدهم وتراثها تراثهم بخلاف الأقطار الأخرى ، وليس معنى هذه الدعوة إلى عدم العناية باحياء تراث أية أمة أرادت احياء تراثها ، ولكن الموضوع موضوع ناحية خاصة كثر الاختلاف بين الباحثين حول احياء تراثها ،

٢ ـ اما عن موضوع ادراك الدكتور طه حسين لمعرفة ادب نجد ، والشك فيه ، وذلك الشك الناشىء عما كتبه الدكتور عن الشعر الجاهلي القديم ، فإن الأمر يتضح عندما نفرق بين الشعر القديم والشعر الحديث فالشعر القديم يرتكز على الأدلة التاريخية الموغلة في القدم ، والشعر العامي الحديث يقوم على أساس التذوق والفهم المجرد وفرق بين الامرين ، واستشهادنا بكلام الدكتور طه حسين هو الامر الثاني ، وهذا يدركه كل من له المام وفهم .

٣ ـ اما عن الاضطراب في تفسير الامثال ، فمتى وجدنا في نصوصنا القديمة ، وفي لغتنا العربية الواسعة وفي بيئتنا ولهجتنا الحاضرة ، ما يقرب لنا معنى المثل ، فما الداعي إلى التعمق بالدرجة التي تصل بنا إلى سفسطات من المتحذقين والمتمعلمين في بابي النحو والصرف من وجد العرب ، ووجدت لغتهم قبل وجودهم .

٤ ـ ويقال هذ بالنسبة للهجات العربية التي لا تزال باقية ، منذ أقدم العصور إلى العصر الحاضر .

٥ ـ ومن أغرب الآراء عدم استساغة الاستدلال بالشعر العامي الحديث على تحديد أمكنة عرفت منذ أربعة عشر قرناً أو أكثر ، فهل إذا وجدنا في شعر شاعر اليوم اسم مكة ؟ يصح القول بأننا لا يجوز لنا أن نستدل به على تلك المدينة المقدسة المعروفة منذ عشرات القرون .

٦ ـ ولتطور اللهجات باب واسع ولا يعنينا إذا وجدنا اضطراباً كبيراً

بين المتقدمين في تحديد تلك اللهجات ما دمنا نسمعها ، وندركها أكثر مما أولئك الذين عاشوا بعيدين عن العرب وعن بلادهم وعن جزيرتهم ممن كان تأثرهم بما درسوا اكثر تأثرهم بما سمعوا وعلموا وشاهدوا .

٧ – ونكرر القول بأن تراث العرب لا يمكن فهمه الفهم الكامل إلا لمن عايش العرب وساكنهم ، وخالطهم في بلادهم مدة طويلة ، وليس ذلك مما تقتصر دراسته على ما خلفه لنا سلفنا الصالح من العلماء ، وقديماً قالوا : كل احـد يؤخذ من قوله ويترك . وللأخ الكاتب أطيب تحية .

قبيلة الرشائدة

[جاءنا من الأخ خلف بن مسعد من الرياض مقال ننشره فيما يلي]

اذا أردنا البحث الوافي عند قبائل الرشائدة فانه يجب ان ابحث عن الأصل الأول الذي منه العرب جميعاً وإذا عدنا الى ذلك سوف نتطرق الى أن العرب في الماضي كانت على قسمين : العرب البائدة الذين هلكوا وبادوا ولم يعرف التاريخ عنهم شيئاً يذكر والقسم الثاني العرب الباقية : التي قسمها التاريخ الى قسمين هما العرب العاربة والعرب المستعربة وربما كانت لفظة المستعربة من الالفـــاظ الدخلية ولكن على الارجح ان نقول قسمين كبيرين عرب الشمال وعرب الجنوب فاللغات بين الشماليين والجنوبيين متقاربة اللهجات في الجاهلية ثم جاء القرآن الكريم بلغته العربيــة الفصحى فوحّد اللغة بين القسمين .

إذا أردنا النسب الى الأصل الأول للرشائدة (بني رشيد) فسوف نرجعهم الى سلالة : معد بن عدنان الذي من سلالته غطفان ومن غطفان عبس وذبيان ورشيد الجد الأول للرشائدة هذا في عصر الجـــاهلية ولبني رشيد في ذلك العصر صولات وجولات مذكورة في شعر شعرائهم ومن أشعارهم ما حدث لهم وبني عمومتهم في الجاهلية في حرب داحس والغبراء وذلك على أثر السباق الذي سبب الحـــرب بينهم وكانت مساكنهم آنذاك أواسط نجد ولكنها لم تكن مساكن إقامة بل كانوا بدواً أهل رحلة

ينتقلون حيث يكون الماء والكلأ ولم تكن لهم حاضرة معروفة لكثرة تنقلاتهم بل كانت لهم منازل وقت الربيع معروفة ومن منازلهم وقت الربيع (ذات الإصاد) و (المباءة) وقد استشهد بعض شعرائهم بذلك .

والرشايدة منهم من بقي على بداوته الأولى ينتقل حيث كان الماء والكلاء في أواسط نجد عائشين في أمن الاسلام وعقيدته وناعمين في إيمانهم وعقائدهم الدينية وسائرين على الكتاب والسنة ومنهم من دخل في مدن المملكة لطلب العيش من أعمال وتجارة ولا يزال لهم فروع عديدة معروفة من أهل القرى ومن سكان المدن ومن أهل البادية و من بني رشيد في عصرنا الحاضر :

(١) البراك : ومنهم من سكن المدن في المملكة العربية السعودية ومنهم الباقون على بداوتهم يتنقلون بنجد حيث الماء والكلأ .

(٢) القلادان : وهم فصائل منها الحد والحود وكذلك نجد منهم من سكن المدن ، ونجد منهم من لا يزال في البادية ومنهم من سكن القرى كقرية الروض والحليفة بين مدينة حائل وبين المدينة المنورة .

(٣) العوامرة : وهم سكان الحرة ، ومنازلهم بين قرية الحائط وخيبر من جهة الغرب ومنهم من سكن المدن .

(٤) الشرارات : منهم الحاضرة ، الآن والبادية ومنهم قسم يسكن وادي السرحان في الشمال وقسم بين سكاكا والجوف وتيما .

(٥) ومن قبائل بني رشيد : العوازم ، والنوامسة ، والزبون ، والمجاورنة ، والفيدة ، والخلوية ، والشوالمة ، والرويضات ، والمضابرة ، والعايضات ، والقعابيب ، والمكالحة ، والفرادسة ، والخيارات والوهادين ، والمراعرة والمهامزة .

(الرياض) خلف بن مسعد العباد

حول بلدة « تادق »

كتب الأخ الأستاذ محمد الماجري من « الرياض » يقول :

جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي عند الحديث عن اسم تادق أورد هذه الابيات :

لعقبة بن السوداء قال :

الا يا لقومي للهموم الطوارق وربع خلا بين السليل وتادق

وقال :

سقى الاربع الأظآر من بطن تادق هزيم الكلى جاشت به العين املح

وقال عبد الرحمن بن دارة :

نفى مالك ما قد قفى ثم قلصت به في سواد الليل وجناء عرمس

فأضحت بأعلى تادق فكأنها عسالة غرب تستمر وتمرس

وفي معجم ما استعجم للبكري : عند ذكر اسم تادق : انه ماء لبني فقعس قبل القنان قالت ليلى الأخيلية :

وحلأها حتى إذا لم يسغ لها حلى بجنبي تادق وجفيف

وقال الشماخ :

فصد بها عن تادق وحسائه وصد بها عن ماء ذات المشائر

وقال زهير :

فهضب ، فرقد، فالطوي فتادق فوادي القنان ، حضبه فداخله

فما هو المقصود باسم تادق في هذه الابيات ؟ وهل هو تادق المعروفة الآن بالمحمل بنجدوهل تادق هذه معروفة فيالقديم؟وهل منها اناس مشهورون؟

« العرب » تادق المذكور في النصوص المتقدمةواد يقع في اعلى القصيم ، وهو من روافد وادي الرمة ، ولا يزال معروفاً ، غير ان بعضهم يبدل القاف جيا فيقول تادج ، وقد حدد هذا الوادي صاحب كتاب « بلاد العرب » [1].

---

(١) ص : ٤٠ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٨٤ والكتاب من منشورات دار اليمامة .

أما البلدة الواقعة في اقليم الحمل ، فأنا لم أر لها ذكراً فيا بين يدي من من المصادر ، ولكنني أعتقد بانها قديمة لأن اسم ثادق من الاسماء القديمة ، وليس من الأسماء الحديثة ، وقد اختلف اللغويون في معناه ، قال ابن دريد في « جمهرة اللغة » : سألت الرياشي عن اشتقاق اسم ثادق ، فقال : انكم - يا معشر الصبيان تتعمقون في العلم !! وقلت انا - ابن دريد - يحتمل ان يكون اشتقاقه من ثدق المطر من السحاب ، اذا خرج خروجا سريعاً ، وسحاب ثادق ، وواد ثادق اي سائل .

ونقل صاحب « اللسان » و تاج العروس » عن ابن دريد : سألت أباعثمان الاشناندالي فقال : ثدق المطر من السحاب ، اذا خرج خروجاً سريعاً ،انتهى واذن ، فالاسم قديم ، ولكن ليس كل اسم بلد قديم يكون مذكوراً في معجمات الامكنة ، وفي الكتب التي وصلت الينا، فقد أغفل المتقدمون الكثير من ذلك ، ومن الامثلة اسم جلاجل ، فنحن لا نجد في الكتب التي بين أيدينا سوى جلاجل اسم نقا من انقية الدهناء ، ولا تذكر الكتب اسم جلاجل الواقع في اقليم سدير الا عرضاً ، كما ذكر ياقوت بان وادي المياه يسقي جلاجل وهو هنا يقصد البلدة التي في سدير ، ولكنه لم يفرده في الذكر في « معجم البلدان .

واعتقد ن اسم ثادق كان يطلق على الوادي ، ثم لما عمرت البلدة سميت باسمه ، أما تاريخ عمران بلدة ثادق ، فأقدم من رأيته ذكر ذلك هو عمر بن محمد الفاخري ، ثم من بعده الشيخ عثمان بن بشر والشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى ، فقد ذكروا انه في سنة ١٠٧٩ عمرة بلدة ثادق عمرها آل عوسجة ، من الدواسر وغرسوها[١]

بقيت الإجابة عن مشاهير أهلها ، فلا شك انه خرج منها رجال عرفوا بكثير من الخلال الحميدة ، وهذا ما أرجو ان يتصدى له أحد ابناء تلك البلدة فيكتب لها تاريخاً يوضح فيه تراجم مشاهيرها .

وللاخ السائل الكريم اطيب تمنياتي

---

(١) كتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٦٢ من منشورات « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر »

الشيخ حسين بن محمد آل سليمان

لعل أعمق الاصدقاء صداقة للمرء هو المشارك له في آرائه ، وفي اتجاهاته وميوله ، وكل ما قويت هذه المشاركة ، توطدت عرى الصداقة وازداد تقارب روحي الصديقين ، تقـــاربا يصل إلى درجة الاتفاق في المشاعر ، وفي مختلف الاحساسات النفسية ، ولهذا يحس المرء عندما يفقد صديقاً بأنه فقد شيئاً من حياته ذا صلة عميقة بالروح ، أو جزءاً من نفسه ، فيدركه من الأسى والحزن ما لا يدركه عند فقدان قريب ، ذلك ان الصداقة ترتكز على أعماق نفسية صلتها بالروح أكثر من صلتها بالجسد .

وهذا ما أحسست به منذ شهر(ربيع الثاني سنة ١٣٨٩ ﻫ) عندما سمعت من إحدى الاذاعات نبأ اغتيال أحد أصدقائي الشيخ حسين بن محمد آل سليمان.

والشيخ حسين هذا عرفته قبل أربعين عاماً ، حينما كان وكنت طالبين في المعهد السعودي في مكة المكرمة ، فقويت الصلة بيننا على أساس اتفاقنا في كثير من الميول والاتجاهات، ثم طوحت به الاسفار حتى ألقى عصا التسيار في بلاد الهند ، وعاش هناك قرابة أربعين عاماً غريباً عن وطنه واخوانه ، فهو من قرية المفيجر من الحريق من بلاد نجد ، ومن اسرة كريمة لمحتد ، غير ان متطلبات الحياة حملته على أن يألف بلاد الغربة وان يقيم هناك .

ولكنه كان أثناء اقامته يقوم بعمل جليل ذي صلة عريقـة بأمته وبلاده فقد عرف فيمن عرف هناك نخبة من الأثرياء، من العرب المقيمين في تلك البلاد، فكان يقوم بتعليم اللغة العربية لأبناء بعض من عرفهم ، كما كان ذا صلة قوية

بأفاضل علماء الهند اكتسب صداقة كثير منهم وتقدير كل من كانت له به صلة، لما يتصف به من العلم ، ودماثة الاخلاق وسجاحة النفس .

وممن قويت به صلته هناك عين اعيان التجـــار العرب ، الثري الكريم الشيخ عبدالله آل فوزان الدوسري القحطاني ، من أهل بلدة ثادق من اقليم المحمل بنجد . وهذا الرجل الشهم كان ذا أيادي بيضاء على بـلاده ، وذا صلة بالمنفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، وبمشورته ونصحه أمر – رحمه الله – بإبتعاث أول بعثة سافرت إلى القاهرة لتلقي العلم ، فقد كان الشيخ عبدالله – رحمه الله– يحرص أشد الحرص على توجيه ابناء بلاده وجهة تمكنهم من خدمة امتهم على اسس قوية من العلم والمعرفة ، وكان ذا حرص شديـد على ان يثقف ابناءه تثقيفاً يؤهلهم لما فيه خير تلك البلاد ، وحسبنا ان نشير إلى ان ممن حظوا بتوجيهه الشيخ عبدالله السليمان اول وزير للمالية في بلادنا ، والاستاذ سليمان الدخيل أول صحفي عرف من نجد ، ثم لا ننسى ابنه الشهم المفضال الشيخ يوسف الفوزان ، الذي تقلب في وظائف في الخارجية آخرهـا وظيفته الآن حيث اصبح سفيراً لبلاده في لندن .

عاش الاستاذ حسين السليمان هناك ، والحق بوظيفة في سفارة بـلادنا في الهند ، وكان خير مثال للموظف العالم ، الذي ينظر الى الوظيفة باعتبارهـا وسيلة من وسائل العمل النافع الشامل، لا أداة من أدوات الكسب فحسب، ولهذا بقي سنين طويلة منخفض الرتبة والراتب ، بينما قفز آخرون أقل منه إدراكاً وعلماً واخلاصاً فتجاوزوه الى مراتب عليا ، ولكن حسينا – رحمه الله – وان فاته ما يطمح اليه من وسائل الحياة ، فقد نال بكريم خلقـه ، وطيب ذكره ما يبقى أثره ، وقديماً قيل :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمـا وعى

لقد وافته المنية شهيداً بطعنة من غادر ، فاجأه هو وخادمه اثناء الليل فقضيا نحبهما – رحمة الله عليهما .

محمد سعيد باغفار

وهذا صديق حميم عرفته أول ما عرفته بطريق المصادفـــة ، في مطار البحرين سنة ١٣٧٦ ، وكنا مسافرين اليها ، ومع ان زمن الالتقاء كان قصيراً جداً ، الا ان ما ادركته من لطف الرجل ودماثة خلقه ، حملني على ان احرص على الاجتماع به في الرياض عند العودة ، فكان ذلك ووجدت فيه من الصفات الكريمة ما قوى أواصر الصداقة بيننا طيلة حياته :

والاستاذ محمد سعيد باغفارمن اسرة كريمة معروفـة بالثراء ، وقد أكمل الاستاذ محمد سعيد دراسته في كلية التجارة في جامعة القاهرة ، .وبعد ذلـك رغب عن الوظائف وفضّل الاشتغال بالتجارة ، وقام بنشاط واسع ، اتخـذ مدينة الرياض مركزاً له ، الا انه مع ذلك ، لم يهمل جانباً هاماً من جوانب الحياة ، وهو جانب التوجيه ونشر الآراء النافعة مما يتصل بحياتـه العلميه ، وهو الجانب الاقتصادي .

وقد اتخذ من الصحيفة التي التي اصدرتها في الرياض (اليمامة) مجالاً لنشر كثير من ابحاثه الاقتصادية، وهي أبحاث تدل على عمق معرفة وحسن توجيه، وقد كان لكثير منها من الأثر الطيب ما دفع الى تحقيق كثير من اقتراحاته وآرائه، كإنشاء مصرف زراعي وغرفة تجارية في الرياض وغير ذلك من الآراء الاقتصادية الصائبة، التي اصبحت بلادنا تسير عليها ، ويمتاز الاستاذ محمد سعيد ـ رحمه الله ـ بصفات حببته إلى نفوس جميع عارفيه، من أبرزها طهارة قلبه بحيث لا يحمل أية صفة ليست حسنة حتى لعدوه ، مع انه بهذه الصفة لا عدو له، بل اصبح صديقاً لكل أحد ، واصبح بيته ملتقى لكل عارفيــه ، على اختلاف ميولهم ، واتجاهاتهم ، حتى كانوا يطلقون عليه اسم (بيت الأمـــة) وعلى الاستاذ محمد سعيد (ابن الشعب البار) ، وكثيراً ما كان أصدقاؤه يتندرون عليه بهذا اللقب في صحيفة اليمامة ، فكان يقابلهم بضحكة مدوية تحمـل كل معاني الطيب ، ونظافة القلب ، وسماحة النفس .

[لا تتحدث العرب في هذا الباب الا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

ولعلماء العراق وباحثيه اتجاه حميد نحو إحياء تراثنا ، أشارت « العرب » إلى جوانب من ذلك الاتجاه ، ومما وصل الينا أخيراً .

● — ديوان بن هرمة .

الاستاذ محمد جبار المعيبد ، من أبرز الباحثين في العراق المتجهين لدراسة

كان الاستاذ سعيد — رحمه الله — قد عاش في أول حياته عيشة ترف ونعومة واحب ان يسير على ذلك في كل حياته ، غير أنه اصيب قبل بضع سنوات بمرض في المعدة سبب له كثيراً من الآلام ، وأرهق جسمه وغير لونه ، بسبب التزامه حمية خاصة في أكله ، ولازمه ذلك حتى أوهى قوته ، فصار اصدقاؤه عندما يشاهدونه وقد عرفوه شاباً ممتلىء الجسم ، صافي اللون ، يرونه قد تغير فجأة ، وأصبح كثير الشكوى ، كثير الذهول ، شاحب اللون ، ولكنهم يشفقون عليه ، فيدفعهم اشفاقهم الى ان يصفوه بمنتهى الصحة والعافية ، فتسيل الابتسامة الطاهرة من شفتيه باسترخاء ، ولا يكاد يجيب أكثر من ذلك .

وفي أول هذا الشهر (جمادى الآخرة ٣٨٩) يفاجأ اخوانه بخبر مقتضب في جريدة الاهرام ينبىء عن نعيه ، وكانت اسرته — والدته واخواته — تقيم في القاهرة ، وكان براً بها الى منتهى البر ، فوافته المنية أثناء زيارته لتلك الاسرة الكريمة ، وعاجله الحمام عندما تناول كوباً من عصير (المانجا) فما استقر في جوفه حتى بادر إلى الاستغاثة بطلب الطبيب ، ولكن الامر اسرع من ذلك ، ومضى مأسوفاً عليه من كل من عرفه ، فرحم الله سعيداً وعوض اسرته واخوانه وعوضه هو خيراً ، و (انا لله وانا اليه راجعون) .

حمد الجاسر

الشعر القديم ، وإحيائه بالبحث والتحقيق والنشر ، وقــد صدر له ديوان ابراهيم بن هرمة الشاعر المدني (ولد سنة ٩٠ هـ ، وتوفي سنة ١٧٦)في المدينة ، وقد جمع الاستاذ المعيبد شعره من مختلف المصادر ، وحققه وشرحه ، فجاء في ٣٥٢ صفحة بطباعة حسنة ، وفهارس مفصلة ، والذي يدهش القارىء في عمل الاستاذ المحقق ، ويعجبه كثرة مصادره ، ممـا يدل على تعمق بحث ، وقوة صبر وجلد وسعة اطلاع .

● — « ثمن الكفاح »

هذه قصة طريفة سجلها أخونا وشيخنا الاستاذ عبد المحسن بن عثمان أبا بُطَيْن ، تصور جوانب من حياته الخاصة ، وعبد المحسن كان في اعتقادي ذا أثر طيب في الوعي الثقافي في بلادنا ، فقد كان من أول من أنشأ مكتبة لبيع الكتب في الرياض ، وأول من تصدى لنشر المؤلفات المتعلقة ببلادنا تاريخية ودراسية ، وكنت أدعوه ويدعوه غيري (شيخنا) عندما كنت أشتغل ببيع الكتب ، كانت عندي مكتبة دعوتها (مكتبة العرب) وقصته « ثمن الكفاح » تصور جوانب حياته ، كتبها بأسلوب يتلاءم مع فهم أكثر القراء الذين كتبت القصة لهم ، هم وحدهم . فجاءت القصة في ١٥٤ صفحة ، وقد كرم بإهداء نسخة منها إلى العرب التي من عاداتها أن ترحب بكل ما يقدم لها . فشكراً للمهدي ، ومزيداً من كل ما يتصل بالثقافة في بلادنا .

● — « أحلام لا تكذب »

الأستاذ عزة محمد ابراهيم شابٌ عرفته بما قرأت له في صحفنا ، وقــد نشر هذه الأيام قصة دعاها « أحلام لا تكذب » تقع في ٣٢٣ صفحة بطباعة حسنة ، وهي تصور حياة شاب متطلع إلى الحياة ذي مثل عليا ، تصدم بما تزخر به المدينة التي عاش فيها من مظاهر الترف والمدنية الحديثة ، فيصارع تلك المظاهر وتصارعه ويبقى سادراً من أثر ذلك الصراع .

● — « ديوان عدي بن زيد العبادي » .

وعدي هذا كما هو معروف شاعر جاهلي تميمي ، عاش في الحيرة ، في كنف امرائها ، وقد بقي ديوانه إلى هذا العهد ، فحققه الاستاذ محمد جبار المعيبد ، وأضاف اليه ما لم يكن مذكوراً فيه ، وزينه بتحقيقاته وفهارسه الواسعة فجاء في ٢٢٩ صفحة .

● — « شعر الاحوص الانصاري » .

وقام الاستاذ المحقق الدكتور ابراهيم السامرائي بجمع شعر الأحوص الأنصاري المدني الشاعر الاسلامي ، جمعه من مختلف المصادر ، وحققه وشرحه بعد أن أرجع إلى ما يقرب من مئتي مصدر من كتب اللغة والأدب والتاريخ، فجاء الديوان في ٣٢٠ صفحة، بفهارسه الواسعة، في طباعة جيدة .

● — « ديوان الحارث بن حلزة »

الحارث بن حلزة البكري الوائلي شاعر جاهلي صاحب معلقة معروفة وقد سبق للاستاذ الطيب الذكر سالم الكرنكوي (فريتس كرينكو) أن نشر ذلك الديوان قبل خمسين عاما وقام الأستاذ هاشم الطعان من علماء العراق وباحثيه ، ومن المعنيين بإحياء الشعر القديم ، قام بإعادة طبع هذا الديوان بعد أن أضاف اليه الملقة ، وهو ديوان على صغر حجمه ، حيث لم يتجاوز مع حواشية وتعليقاته ٣٤ صفحة — ومع ذلك فهو مصدر من مصادر دراسة الشعر الجاهلي — .

● — « شرح القصائد العشر »

القصائد العشر هي المعروفة باسم (المعلقات السبع) يضاف اليها ثلاث قصائد للاعشى ، والنابغة ، وعبيد بن الأبرص ، والشارح هو الامام ابوزكريا يحي بن علي الخطيب التبريزي ، العالم الجليل المعروف ، ومع أن هذا الكتاب طبع سبع مرات إلا أن الاستاذ الدكتور فخر الدين قباوة مدرس الأدب القديم في جامعة حلب ، رأى أن تلك المطبوعات لم تستطع على ما بذل فيها من جهد وعناية ، ان تعطي الكتاب حقه في العمل العلمي ، فكان أن قام بذلك معتمداً على الأصل الذي كتب في عهد المؤلف نفسه ، مضيفاً اليه شروحاً وزيادات ، وتحقيقات علمية اكسبت الكتابة قيمة كبيرة لدى الباحثين مع ما

أضاف اليه من فهارس وافية ، فجاء الكتاب في ٥٢٣ صفحة ، بطباعة حسنة ، وتحقيق يدل على الجهد الكبير الذي بذله الدكتور فخر الدين بحيث اصبح به الكتاب وافياً معتبرا من أهم مراجع الباحثين في الشعر العربي القديم

● – « مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي »

قليلون أولئك الذين يعنون بالدراسات العميقة عن أصول تاريخنا العربي ، ومنهم الدكتور عبد العزيز الدوري ذو المباحث المعروفة في هذا المجال ، ومن آخر ما أتحف به الباحثين هذا البحث الممتع الذي دعاه « مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي» ومن فضول القول التحدث عن طول باع الدكتور الدوري في هذا المجال ، الا أن هـذا الكتاب يضيف جديـداً إلى أبحاث الدكتور المتعمقة في دراسة تاريخ العرب دراسة عميقة . وقد جاء هذا البحث في ١٧٤ صفحة بطباعة حسنة . وهو مما لا غنى عنه لكل من يعنى بالأبحاث العميقة في تاريخ العرب .

● – « بدر شاكر السياب »

أستاذنا العلامة الجليل الدكتور إحسان عباس من مفاخر الأمة العربية في عصرنا الحاضر ، بسعة اطلاعه وتنوع ثقافته ، وبضربه بسهم وافر في كل جانب من جوانب المعرفة قديمها وحديثها ، لا نقول هذا لنعرفه ، فهو أجل من أن يجهل – ولكن ليدرك بعض قراء هذه المجلة – ومنهم من هو محدود الثقافة – شيئاً مما يجب ان يعرفوه عن هذ العالم الجليل ، وكان آخر ما اتحف به الخزانة العربية هذه الدراسة الواسعة عن الشاعر العراقي « بدر شاكر السياب ، دراسة في حياته وشعره » . ومع أن هـذا الشاعر لا يزال مجهولاً عند بعض القراء في بلادنا ، فإن هذا الكتـاب يعتبر أوفى – ان لم يكن أوفى – ما كتب عنه ، فقد جاءت الدراسة في ٤٢٦ تنـاولت كل الجوانب الشعرية لهذا الشاعر ، فأصبحت أساساً قوياً لا عن دراسة الشاعر نفسه ، بل عن دراسة تطور الشعر العربي المعاصر مما يعتبره كل باحث مصدراً ثقافيـاً واسعاً في الثقافة الشعرية الحديثة .

● – مختارات من الامثال العامية التونسية .

والغريب في أمر الأمثال أنها تشبه أن تكون متماثلة أو متقاربة التماثل في مختلف الأقطار العربية ، في شرق البلاد العربية وغربها ، مع اختلاف يسير في لهجات التعبير ، وبين يدي هذا الكتاب اللطيف الحجم الذي قام بتأليفه العالم الباحث التونسي الدكتور الطاهر الخيري ودعاه بذلك الاسم ، وطبع طباعة حسنة في تونس فجاء في ٣٣٧ صفحة فلولا تأثر القطر الحبيب التونسي في بعض كلمات دخيلة على العربية ، من جرّاء التقائه بأناس غريبين عن العرب والعروبة ، لأصبحت تلك الأمثال على الصيغة التي كان يلفظها العرب الأقحاح في قلب جزيرة العرب في نجد ، ومع ذلك فإن الأفكار والآراء هي بدون تغيير !

● – « التراث الاسلامي في بيت المقدس »

أخونا وصديقنا الشيخ طه الولي ذو عناية بالدراسات بما له صلة بالتراث الاسلامي في شمال البلاد العربية ، ورسالته التي دعاها (التراث الاسلامي في بيت المقدس وفضائله الاسلامية) تدل على هذه العناية بهذه النواحي ، وهي خلاصة موجزة للآثار الاسلاميـــة في بيت المقدس من مدارس وزوايا وتكايا وغيرها رجع إلى كثير من المؤلفات التي عنيت بهذه الناحية ، وجاءت هذه الرسالة في ثمانين صفحة بطباعة أنيقة فليزده الله توفيقاً وتحقيقاً .

● – « زفرات »

ابننا الاستاذ عبد العزيز التويجري مدير (دار العرب) في الرياض عمل في الصحافة زمناً ونشر مقالات كثيرة بمناسبة وغير مناسبة، ولخص مما نشره حينما كان يتولى التحرير في جريدة « الرياض » مجموعة اختارها من مقالاته ودعاها بإسم « زفرات » وما هي سوى نبضات قلب ، وخطرات فكر، لا ترتبط بزمان أو مكان ، جاءت في مائة صفحة تنم عن وعي وإدراك وفهم ، وتتصل بموضوعات حيّة مما يختلج في نفوس كثير من القراء في بلادنا .

المغانم المطابة من معالم طابة

تأليف: مجد الدين الفيروزآبادي (٧٢٩ ٨١٧ هـ)

تحقيق حمد الجاسر

مجد الدين الفيروز آبادي صاحب « القاموس المحيط » وغيره من المؤلفات أشهر من ان يُعرَّف .

وقد تنقل في الحجاز بين الطائف ومكة والمدينة فألف ، عنها ، مؤلفات منها :(مُهيج الغرام إلى البلد الحرام) في تاريخ مكة المكرمة .

و « أحاسنُ اللطائف » في محاسن الطائف » و « فصلُ الدُّرَّة من الخَرَزَة في فضل قرية السلامة على الخبزة » — عن الطائف .

و « المغانمُ المطابة » من معالم طابة » عن المدينة الشريفة .

وكتابه هذا يعتبر من أهم المصادر في دراسة تاريخ المدينة القديم ، وفي خططها ، وفي مساجدها وآثارها الاسلامية .

وتقوم دار اليمامة بنشر هذا الكتاب في أجزاء ، تولى تحقيق كل جزء باحث أو عالمٌ مختص بموضوعه .

منشورات دار اليمامة
- ٩ -

كتاب «المناسك» وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة

[من أهم المؤلفات الجغرافية القديمة]

تحقيق

حمد الجاسر

س

منشورات دار اليمامة

- ٨ -

أبو علي الهجري
و
أبحاثه في تحديد المواضع

بقلم حمد الجاسر

- — علم من أعلام الجزيرة في القرنين الثالث والرابع تصدى لتدوين أدبها وثقافتها .
- — أكثر ١٣٥٠ موضعاً في الجزيرة العربية ومنها ما لم تذكره الكتب المعروقة .
- — هذا ما تجده في هذا الكتاب الذي يقع في ٤٥٠ صفحة بطباعة حسنة

الثمن { ١٠ عشرة ريالات (مجلد) / ٨ ثمانية » (غلاف)

حسم ٢٥٪ للمشتركين في مجلة العرب

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

- ٧ -

بلاد العرب

تأليف

الحسن بن عبد الله الأصفهاني

تحقيق

حمد الجاسر و الدكتور صالح العلي

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
- ٦ -

البرق اليماني في الفتح العثماني

(تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر)

تأليف

قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي
(٩١٧ - ٩٩٠هـ)

أشرف على طبعه
حمد الجاسر

منشورات دار اليمامة
- ٥ -

رحلة إلى بلاد نجد

PILGRIMAGE TO NEJD

بقلم

الليدي آن بلنت

LADY AN BLANT

ترجمة محمد أنعم غالب

الثمن : ٧ ريالات (للورق الأبيض الصقيل)
٥ « (« العادي)

وللكمية : تخفيض خاص

منشورات دار اليمامة
- ٤ -

نُبذة تاريخية عن نجد

أملاها

الأمير ضاري بن فهيد الرشيد

(.... - ١٣٣١ هـ)

مع ملخص :

القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد

تأليف

سليمان بن صالح الدخيل

(١٢٩٠ - ١٣٦٤ هـ)

الثمن : ٥ ريالات (للورق الأبيض الصقيل)
٤ ريالات (» » العادي)

وللكمية : تخفيض خاص

منشورات دار اليمامة
- ٣ -

بلاد ينبع

لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة

بقلم : حمد الجاسر

الثمن | ٥ ريالات (للورق الابيض الصقيل)
٤ » (» » العادي)

وللكبية : تخفيض خاص

منشورات دار اليمامة

- ٢ -

مدينة الرياض

عبر أطوار التاريخ

بقلم: حمد الجاسر

ملحق به :

١ – مجموعة من الصور الأثرية للمدينة
٢ – خارطة كبيرة مقاس ٥٦ × ٤٨ س م

الثمن ٦ ريالات (الورق الأبيض الصقيل)
٥ ريالات (» » العادي)

وللكمية : تخفيض خاص

منشورات دار اليمامة
- ١ -

تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد
ووفيات بعض الأعيان وانسابهم
وبناء بعض البلدان
(من ٧٠٠هـ الى ١٢٤٠هـ)

تأليف
ابراهيم بن صالح بن عيسى
(١٢٧٠هـ - ١٣٤٣هـ)

اشرف على طبعه
حمد الجاسر

الثمن ٧ ريالات (الورق الأبيض الصقيل)
٦ ريالات (الورق العادي)

وللكمية : تخفيض خاص

فهرس هذا الجزء

الموضوع	الكاتب	الصفحة
● – بلاد العرب في بعض مؤلفات علماء المغرب	حمد الجاسر	٦٧٣
● – حروب الردة في صدر الاسلام	هشام ابن أبي حاكمة	٦٧٧
● – المجاز بين اليمامة والحجاز	عبد الله بن خميس	٧٠٨
● – مع المجاز بين اليمامة والحجاز	سعد بن جنيدل	٧١٧
● – الأمثال العامية في نجد	محمد الناصر العبودي	٧٣٤
● – من اسمه عمرو من الشعراء		٧٣٩
● – استدراكات على المعجم الجغرافي (مقاطعة جازان)	محمد بن أحمد العقيلي	٧٥٧

مكتبة العرب : ٧٦٦ – ٧٦٨

● – جبل طارق والعرب – ● من مشارف القمم – ● مصور الخط العربي – ● شعراء اليمن المعاصرون – شعراء معاصرون – ● تحفة أولي الألباب – ● – شرح ابن الوحيد لرائية(*) ابن البواب – .

(*) وقع ص ٧٦٨ : لرائيه خطأ .

العرب

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥٠ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات خارج الجزيرة العربية
المراسلات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء السادس – السنة الرابعة – ذو الحجة ١٣٨٩ شباط (فبراير) ١٩٧٠

بلاد العرب في بعض مؤلفات علماء الأندلس والمغرب

– ١ –

أحاول في هذه الكلمات إيراد بعض النصوص الواردة في مؤلفات الرحالة والجغرافيين من علماء المغرب، بما في ذلك الأندلس، والهدف من هذا هو ابراز جانب من جوانب الصلات العلمية بين الأقطار العربية في العصور القديمة.

ولئن كان علماء المشرق – فيما كتبوا عن البلاد العربية (جزيرة العرب)– على جانب كبير من ايفاء الموضوعات الجغرافية حقها، وكان ما كتبوه أوفى وأكثر دقة من غيرهم لصلتهم القوية، ولكتابة بعضهم في وصف هذه البلاد عن مشاهدة، فإن مؤلفات علماء المغرب ذات قيمة يجب ألا تجهل بالنسبة لبلاد العرب، يوضح هذا أمران:

١ – إن علماء المغرب والأندلس منها، كانوا على صلة قوية بالمشرق وكانوا يتخذون من رحلاتهم إلى بلاد العرب – فضلاً عن تأدية فريضة الحج – يتخذون من ذلك وسيلة اتصال بالثقافة الاسلامية العربية في تلك البلاد ويرون الرحلة إلى المشرق من متممات الثقافية لديهم، وهم لا يكتفون بتأدية الواجب الديني بل يعود كثير منه بذخيرة طيبة من المعرفة إما بنقل بعض المؤلفات المشرقية، أو بالاتصال بالعلماء هناك وتلقي قدر كبير من طرق المعرفة التي تتلاءم مع كل عالم وافد.

وحسبنا دليلاً على هذا، ان مؤلفات بعض علماء الجزيرة عرفت في المشرق عن طريق علمـــاء المغرب ، مثل مؤلفات أبي علي الهجري [١] ، ومؤلفات لسان اليمن وعالمه أبي محمد الهمداني [٢] ، فلولا علماء الاندلس لأصبح الكثير من أحوال هذين العالمين ، وكثير من مؤلفاتهم مجهولة .

٢ – ان علماء المشرق وان حاولوا الاستقصاء والشمول ، فقد فاتهم الشيء الكثير ممـــا يتعلق بتحديد مواضع جزيرة العرب ، وسبب ذلك ان جلهم – إن لم يكن كلهم – يكتبون وهم بعيدون عن الجزيرة ، وحسبنا أن نشير إلى أوفاهم باعاً وأعظمهم مؤلفاً ، وهو ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ، فمع كونـــه قد اطلع على مؤلفات الهمداني اليمني ، ونقل عن بعضها ، فقد فاته الكثير مما في تلك المؤلفات من أسماء المواضع ، كما فاته ذكر أسماء كثيرة في الجزيرة وغيرها ، ومنها أسماء أمكنة ، مرّ بها وشاهدها ، ومع ذلك لم يذكرها في معجمه العظيم ، منها مثلاً الزعقة ، وهي محطة واقعة في الطريق بين غزة ومصر مر بها ياقوت نفسه ، وأكمل فيها كتابة نسخته من « جمهرة النسب » [٣] وذكرهـــا كثير من الجغرافيين والمؤلفين كصاحب « صبح الأعشى » وغيره ، ومع هذا فاته ذكرها ، ومثل (تاروت) الجزيرة الأثرية المتصلة بالقطيف ، التي ذكرها غيره من معاصريه ومن بعدهم مثل أبي الفداء في « تقويم البلدان » ، ووصفها وصفاً دقيقاً ، وليس المقـــام مقام ذكر المواضع والأمكنة التي فاتت ياقوت وغيره من جغرافيين المشرق ، وإنما المقصود الاشارة إلى أن بعض المؤلفات الجغرافية التي الفها علماء بعيدون عن جزيرة العرب قد تحوي ذكر مواضع لا نجد لها ذكراً في مؤلفات علماء المشرق ، وهذا ما ينبغي ان يلاحظه الباحثون في تحديد المواضع الواقعة في الجزيرة ، ويمكن القول بأن الرحالين من المغاربة لا يكتفون بالاخذ من المؤلفات ، وإنما

---

(١) أنظر كتاب « أبو علي الهجري » ص ٦٦ وما بعدها .
(٢) أنظر عن ذلك كتاب « طبقات الامم » لصاعد الاندلسي .
(٣) أنظر مخطوطة راغب باشا رقم ٩٩٠ من مختصر هذا الكتاب .

يتصلون ببعض علمـــاء الجزيرة ، وبعض أهلها ، فينقلون أشياء لا توجد في المؤلفات المشهورة .

ولقد قلت في كتابي عن الهجري ان علماء المغرب ، وفيهم الأندلسيون كانوا من رواد الثقافـــة العربية في بلاد العرب ومن حملتها إلى الجزء الغربي البعيد من بلاد العرب ، ولهذا حفظوا لنا جانباً كبيراً من مصادر الثروة الثقافية العربية فيما بقي من مؤلفاتهم .

وجانب مهمٌ من جوانب ثقافتنا العربية هو أن علمـــاء المغرب بما فيه الأندلس امتازوا على المشارقة بكثرة مؤلفاتهم في ميدان الرحلات وبقي لنا من ذلك تراث ضخم في هذه الناحية . فقد اطلعت أثناء زيارتي للمغرب على مجموعة كبيرة من الرحلات لم أرَ مثلها في أية خزانة كتب زرتها، رأيت ذلك في (الخزانة العامة في الرباط) وفي مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني منها، ولا أطيل الحديث عن الرحلات فزميلي في (مجمع اللغة العربية في القاهرة) الأستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة الرباط في المغرب ، ووزير المعارف هناك سابقاً من المختصين في هذا الجانب ، وقد نشر الكثير عن الرحلات المغربية في مجلة (معهد المخطوطات العربية في الجامعة العربية بالقاهرة) ، وفي مجلة (البحث العلمي) التي تصدر في الرباط ، ونشر بعض تلك الرحلات ، وأصبح بحق من أخص المعنيين بها الجانب الثقافي الذي يكون ناحية هامة في ثقافتنا العربية لا تزال بحاجة إلى الاتجاه القوي من الباحثين المعنيين بتسجيل النواحي الثقافية العربية المختلفة وقد حاولت مجلة «العرب» الاتجاه في هذا السبيل ، فنشرت القسم المتعلق بالحجاز من رحلة العلامة ابن رُشيد الفهري الأندلسي .

وهي رحلة واسعة حقاً تقع في خمسة مجلدات ، علمت حينما مررت بمدينة (تطوان) الجميلة من بلاد المغرب ، وزرت (معهد مولاي الحسن) بأن القوم يقومون بأعداد الرحلة كلها للنشر .

حقاً ان الثقافة العربية لا تتـكامل أجزاؤها إلا بتكامل العناية بنشر كل ما له صلة بنواحي الثقافة العامة ، في شرق البلاد وغربها ، ومـــا التراث

العربي المغربي سوى جزء متمم ومكمل للتراث العربي .

نعود للموضوع فتناول الآن كتاباً ذا قيمة جغرافية عظيمة عند جميع الباحثين من عرب وغيرهم ، وذلك لاحتوائه وشموله على أشياء لا نجدها في غيره ، ذلك المؤلف هو كتاب : « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للسيد الادريسي الذي وصفه أستاذنا العلامة الخير الزركلي في « الاعلام » بقوله : (هو أصح كتاب ألفه العرب في وصف بلاد أوربة وإيطاليا، وكل من كتب عن الغرب من علماء العرب أخذ عنه ، وقد ترجم إلى الفرنسية ترجمة كثيرة الخطأ ، وترجم إلى اللاتينية والانـكليزية والألمانية ، وطبعت منه بالعربية خلاصات[1]) .

لقد علمت حينما مررت بمدينة رومة (قاعدة بلاد إيطاليا) بأن العلماء المستشرقين هناك يريدون اعادة طبعه بطريقة محققة ودعيت من قبل (المعهد الشرقي للدراسات العربية) سنة ١٩٦٠ ، الذي ترأسه الآنسة ماريا نلينو ابنة العالم الجليل الذي ألف أوفى كتاب عن « علم الفلك عند العرب » — علمت بأن القوم هناك جمعوا من مخطوطات هذا الكتاب ١٧ نسخة . وطلبوا مني أن أتولى تحقيق القسم المتعلق ببلاد العرب ، ووعدوا بإرساله مصوراً من أوثق النسخ ، ويؤسفني انه لم يصل إلي .

حاولت في رحلتي التي قمت بها في خلال شهر رمضان المبـــارك ١٣٨٩ (ديسمبر سنة ١٩٦٩ م) ان أطلع على مخطوطات هذا الكتاب في مكتبات اصطنبول ، فوجـــدت هناك مخطوطتين أوثقها وأقدمها مخطوطة مكتبة (أياصوفيا) ، وفي مكتبة (نور عثمانية) نسخة منقولة عنها ، فـكان ان قرأت ما كتبه هذا العالم المغربي عن بلاد العرب فوجدت أمرين جـــديرين بالاهتمام بما كتب، أحدهما يبرز في المصور الجغرافي (الخارطة) والثاني في ذكر بعض المواضـــع التي لم يذكرها غيره ، وفضلاً عن هذين فقيمة الكتاب العلمية لدى علماء الغرب والشرق جديرة بأن ينجه الباحثون إلى عمله ، وهذا ما أحاول الاشارة إليه فيما يلي بعد إيراد طرف عن حياة هذا العالم .

(للبحث صلة)

---

(١) : « الاعلام » ٢٥٠/٧ .

المرَقِّشُ الأَكْبَر

أخبَارهُ وَشِعْرهُ

القسم الأول : حياته

المرقش الأكبر شاعر متقدم ، وشعره سليم ونادر ، وهو أحد المُعْرقين في الشعر ، لأنه من أهل بيت عُرف بهذه الصنعة ، ولكنّ أخباره قليلة ، حفظت لنا منها المصادر شيئاً قليلاً ، وضنّتْ علينا بأضعاف ما قدّمت . اختلف القُدامى في اسمه ، وأظن أن البعد الزمني بينه وبين المؤرخين كان سبباً من الأسباب التي أدّت إلى هذا الاختلاف وربما كان الشاعر يحمل اسمين أطلق عليه أحدهما في فترة من حياته ، ثم سمّي بآخر لسبب من الأسباب . فهو عَمْرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة [1] ، واسمه فيما ذكر أبو عمرو الشيباني — عمرو . وقال غيره : عوف بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن ابن عكابة [2] . وزعم قوم أنه كان يسمى قبل ذلك ربيعة بن سعد بن مالك [3] والمرقش لقب غلب عليه بقوله [4] :

(١) جمهرة النسب لابن الكلبي — مخطوطة المتحف البريطاني - ٤٢٢ - . الشعر والشعراء ١٣٨/١ والمؤتلف والمختلف / ٢٨١ .

(٢) الأغاني ١٢٧/٦ (دار الكتب) وشرح ما يقع فيه التصحيف / ٤٦٠ والسمط ٨٧٣/٢ والخزانة ٥١٤/٣ ولطائف المعارف /٢٥ . وقيل سمي عوفا باسم عمه أبي أسماء .

(٣) الشعر والشعراء / ١٣٨ ومعجم الشعراء / ٢٠١ والسمط ٨٧٣/٢ - ٨٧٤ .

(٤) ألقاب الشعراء لابن حبيب /٣٢٠ والشعر والشعراء / ١٤٠ والأغاني ١٢٧/٦ وشرح ما يقع فيه التصحيف /٤٦٠ ولطائف المعارف /٢٤ واللسان (رقش) وشرح الشواهد / ٨٨٩ والمزهر ٤٣٥/٢ والخزانة ٥١٤/٣ . ولم يكن المرقش الوحيد من الشعراء الذي عرف بذلك وإنما هناك طائفة من الشعراء نطقوا بالشعر في ألفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها ، وألقاباً يُدعون بها فلا ينكرونها (ينظر في ذلك ألقاب الشعراء لابن حبيب ولطائف المعارف للثعالبي والعمدة لابن رشيق والألقاب الشعرية للدكتور سامي مكي العاني) على أن ابن الكلبي ذكر أن ربيعة اسم المرقش الأصغر . نسب معد واليمن الكبير - مخطوطة الاسكوريال - ص ٣٤ .

الدار قفــرٌ والرسوم كما رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديم قَلَمْ

وكما اختلف المؤرخون في اسمه فقد اضطربوا في نسبة بعض الأبيـــات فنسبوها له مرة وللمرقش الأصغر أخرى ، واكتفوا بنسبتها إلى المرقش بلا تحديد في المرة الثالثة . وقد أدّى ذلك إلى خلط عجيب في أشعارهما .

أما ابوه فهو سيد قومه في حرب البسوس ، وامه قِلابة بنت الحارث بن قيس بن ذُهل ، من بني يشكر ، تزوجها سعد بن مالك بن ضبيعة فولدت له مرثداً وكهفاً وقَمِيّة ومرقشاً [1] وعلاقته بالمرقش الأصغر مضطربة عند بعض المؤرخين . فقد ذكر ابو الفرج ان المرقش الاكبر عم الأصغر ،والأصغر عم طرفة بن العبد [2] . وقال العسكري ان : المرقش الأصغر ابن خال المرقش الاكبر [3] ، على ان الصلة الأولى اقرب واصح ، وعليها اجمع الكثير من الرواة .

وللمرقش اخوان هما أنس وحرملة ، اشار اليهما في قوله :

يا راكباً إما عرضتَ فبلغن أنسَ بنَ سعدٍ إنلقيتَ وحَرْملا

ونجد ذكراً لحرملة مرة اخرى في اخبار المرقش ، عندما يعود الغُفَلي الى اهله ، ليحمل لهم نهاية المرقش [4] .

وينحدر المرقش من عائلة مرموقة ، لها مركزها الحربي المرموق ، فقد كان عوف بن مالك بن ضبيعة عم المرقش من فرسان بكر بن وائل . وكان

---

(١) – جمهرة النسب لابن الكلبي – ٤٢٢ – شرح القصائـــد السبع الطوال – ١٢٨ والمفضليات – ٤٥٧ .

(٢) – الاغاني ٦ – ١٣٦ والسمط ٢ – ٨٧٣ وشرح شواهد المغني ،

(٣) – شرح ما يقع فيه التصحيف – ٤٦٠ على ان ابن الكلبي في كتابيه يَعُدُّهُ الرقشَتَيْن أخَوَيْن : نسب معد واليمن الكبير – مخطوطة الاسكوريال ٣٣ والجمهرة ص ٤٢٢ .

(٤) – الاغاني ٦ – ١٣١ .

عمه الثاني عمرو بن مالك من فرسان بكر ايضاً ، وهو الذي أسر مهلهلاً بعد ان انهزمت خيل مهلهل فأحسن اساره [١] .

وكان للمرقش موقع من بكر بن وائل في حروبها مع بني تغلب ، وبأس وشجاعة ونجدة ، وتقدم في الحروب ، ونكاية في العدو . فقد اصاب أموال تغلب ، واسر رجالهم ، وجالد ابطالهم [٢]، وقد اشار الى ذلك في قصيدته :

أتتني لسان بني عامرٍ فجلّى أحاديثها عن بصر

وتتضح معالم هذه الشخصية ، وتبرز في الأخبار القليلة التي تزودنا بها المظان القديمة ، فقد ذكر أبو الفرج أن أسماء – التي اشتهر بحبها المرقش – عندما أراد أبوها تزويجها للمرادي كان يخشى أن يهتديها ، فكان والدها يتربص بها حتى عزب المرقش في إبله ، فاحتملها المرادي إلى بلده [٣] . وقد حفل شعره بكثير من المفاخر التي يشيد فيها ببطولته ونجدته وكرمه . منها أبياته التي تظهر حدته في الحرب ، وسرعته إلى الأعداء ، وكثرة قومه عند الفزع والشدة حيث يقول :

هلّا سألت بنا فوارسَ وائلٍ فلنحن أسرعُها إلى أعدائها
ولنحن أكثرها إذا عُدّ الحصى ولنا فواضِلها ومجدُ لوائها

نشأتـــه :

من الصعوبة أن نحدد المنطقة التي كانت تسكنها قبيلة الشاعر ، لأن المعلومات التي تمدنا بها المصادر غير ثابتة ، وقصيرة وناقصة ، إلى جانب حركة التنقل المستمرة ، والترحال المستديم الذي لازم كثيراً من القبائل ، بحيث أصبح من العسير تثبيت الأمكنة التي تستوطن فيها . وهي مشكلة عسيرة تواجه الباحثين ، وتسد أمامهم بعض المنافذ التي يمكن أن تكون كوىً تنبعث من

---

(١) الاغاني ٦ – ١٣٣ .
(٢) الاغاني ٦ – ١٣٤ .
(٣) الأغاني : ٦ / ١٢٧ .

خلالها أشعة المعرفة ، لتساهم في التحديد القبلي للأرض التي شهدت استيطان كثير من القبائل . ومع هذه الصعوبة فقد استخلصت من بعض الحوادث التي ألمت بالشاعر ، والمواضع التي ارتادها ، وتنقل فوقها ، جانباً من المعلومات التي تساعدني في تحديـــد الأرض – ولو بشكل تقريبي – التي عاش فيها ، وتحرك فوقها ، وشاهدت حياتـــه الأولى ، وعرفت الأبعاد الحقيقية لمأساة حبه ، ونهايته المؤلمة فهو يذكر قرى نجران، وبطن الضباع، وحمير وجمران ، ومراد وغيرها من المواضع ، ومعظم هذه المواضع تتقارب من أرض حمير ، ومخاليف اليمن من ناحية مكة ، إن هذه الفسحة كانت المكان الذي قضى فيه الشاعر أيامه ، فلا غرابة إذا طالعتنا أخباره وهو يشد الرحال إلى ملك من الملوك ، ويكون عنده ويمكث زماناً يمدحه فيجيزه هذا الملك . ويذكر أبو الفرج قصة هلاكه فيقول : وكان مرقش يكتب ، وكان أبوه دفعـــه وأخاه [1] حرملة – وكانا أحب ولده اليه – إلى نصراني من أهـــل الحيرة فعلمهما الخط . ويعرض طرفة لاخبار المرقش في إحدى قصائده ، ومن خلال هذه الأخبار يسرد قصة حبه فيقول [2] :

توصّل من أرض العراق مرقش	على طرب تهوي سراعاً رواحله
إلى السرو ارضٌ ساقه نحوها الهوى	ولم يدرِ أن الموت بالسرو غائله
فغودر بالفردين أرضٍ نطيّةٍ	مسيرة شهر دائب لا يواكلـــه

فطرفة يذكر ان المرقش ترحل من أرض العراق . وإن مسيرته كانت شهراً دائباً . فهل يعني هذا انه قضى حياته في العراق، وعندما عَلِم بالمرادي وسفره ترك العراق ليذهب وراء المرادي . كل هذه الفروض محتملة ، وإننا في ضوء هذه المعلومات نستطيع أن نقول ان الأرض الواقعة بين نجران

(١) أبو الفرج . الأغاني ٦ / ١٣٠ ،

(٢) طرفة : الديوان . ١٣٨ [ضمن مجموعة دواوين علقمة وعنترة] بيروت – دار الفكر – ١٩٦٨ والإكليل ٢/٣٤٨ وفي القصيدة اشارات كثيرة إلى تعلق المرقش بأسماء وما صاحب حبه من فواجع ، يمكن الاستدلال بها على صحة الواقعة وسلامة الأخبار .

والحيرة – على الرغم من اتساعها – تشكل المكان الذي تنقل فيه ، وشهد بقاعه وعرف مواضعه ، وضم رفاته بعد هلاكه .

أما أوصافه فقد وردت عرضاً في بعض اخباره ، فقد اشار الأصمعي الى زرقة عيون المرقشين من بني قيس بن ثعلبة (١) . والعرب – كما هو معلوم – يتشاءمون من الزرق العيون ، وذكر الثعالبي انـــه كان اجدع (٢) . وتظل اخباره الاخرى مجهولة لم تحدد معالمها ، ولم تتوضح جوانبها ، وتبقى حياته الطويلة ، الحافلة ، شاحبة لم تبرز إلا هذه العلامات المتباعدة .

زمنه :

يُعدُّ المرقش الاكبر من أقدم الشعراء الذين رويت لهم الاشعار ، فقـد قال الأصمعي : المرقش الاكبر قبـــل الإسلام بثلثمائة سنة (٣) . واشار اليه طرفة ، وفصل في سرد حكاية حبه (٤) ، ويبرز لبيد قدم المرقش والمهلـل ويعدُّهما من اقدم الشعراء الذين أتى عليهم الدهر فذهبا كما ذهب لبُد النسور وآل مُحرق وتبّع وهرقل فيقول (٥) :

والشاعرون الناطقون اراهُمُ سلكوا سبيلَ مُرقّشٍ ومُهلهل

وقال المرزباني (٦) : إن المرقشين كانا على عهـــد مهلهل بن ربيعة وشهدا حرب بكر وتغلب . وذكر السيوطي (٧) : ان شعراء الجاهلية في ربيعة اولهم المهلهل والمرقشان ثم قال نقلاً عن عمر بن َشبّة َ في « طبقات الشعراء » قوله : للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه ، وقد اختلف في ذلك العلماء ،

---

(١) – فحولة الشعراء – ٣٦ ، وينظر الحيوان للجاحظ ٥ – ٣٣١ .
(٢) لطائف المعارف – ٢٥ .
(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف – ٤٢٥
(٤) الديوان – ١١٨ .
(٥) لبيد : الديوان – ٢٧٦
(٦) معجم الشعراء – ٢٠١ ، ٢٧٦
(٧) المزهر – ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

وادّعت القبائل كل قبيلة لشاعرها انه الأول ، ولم يدعوا ذلك لقائل البيتين والثلاثة ، لأنهم لا يسمون ذلـــك شعراً ، فادّعت اليمانية لامريء القيس ، وبكر لعمرو بن قَمِيئَة والمرقش الأكبر .

ولا بد أن تكون هذه الاشارات القصيرة دليلاً يثبت لنـــا بعد فترته وشهرته ، الى جانب اتفاقها في التحديد التقريبي للفترة التي عاش فيها هـذا الشاعر مع الشعراء المعاصرين له ، أو القريبين من عصره . وهي الفترة التي سبقت الإسلام بما لا يقل عن مائة سنة والتي تمثل لنا بداية النضوج الشعري ، ومرحلة التكامل الفني لبناء القصيدة العربية ، ان اهمية البحث في فترةالمرقش والقصائد التي وصلت الينا سليمة وبطريق موثوق تمثل الجانب السليم للتطور الشعري ، لأن بعض هذه القصائد حملت جانبـــاً من خصائص تلك الفترة العروضية واللفظية .

قصة حبه :

ظل اسم المرقش اجيالاً طويلة يتردد في اسماع الناس ، لأنه بطل قصة من قصص الحب التي يبرز فيها نموذج شيّق من نماذج الصراع العاطفي ، وقـد مثلت شخصية المرقش العاشق الذي لم يوفق في حبه ، لأن عوائق كثيرة حالت دون تحقيق رغبته في الزواج من اسماء،ولم يستطع تذليل تلك العقبات على الرغم من ركوب المخاطر ، وتجشّم الأهوال ، ومن الجائز ان تكونأيدي الرواة قد ساهمت في نسج بعض جوانبها المؤلمة ، فأضافت اليها من المشوقات والعواطف ما جعلها تقارب الأساطير في صياغة حوادثها ،وافتعال مصادفاتها الا ان هذا النسج وهذه الزيادات لا يمكن ان تحول دون وقوعها ، ولم تكن سبباً في ابعاد هذه القصة ودفعها عن حياة الشاعر ، لأن الاجماع على كثير من وقائعها ثابت عند الرواة الثقاة .

ومتفق عليه فيما ذكروه عن الشاعر ، وقد وجدت ان رواية ابي الفرج لهذه القصة من اكملها نسجاً ، واجمعها صياغة وأتمها احاطـــة وشمولاً قال أبو عمرو – ووافقه المفضل الضبي – وكان من خبر المرقش الأكبر انه

عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك وهو البُرك [١] ، عشِقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها ، فقال : لا أزوجك حتى تـُعرف بالبأس — وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن — وكان يَعِده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه . وأصاب عوفاً زمان شديد ، فأتاه رجل من مُراد أحد بني غُطَيْف ، فأرغبه في المال ، فزوّجه أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنحّى عن بني سعد بن مالك ورجع مرقش ، فقال اخوته : لا تخبروه إلا انها ماتت ، فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ، ودفنوا عظامه ، ولفّوها في مِلْحفة ثم قبروها . فلما قَدِم مرقش عليهم أخبروه انها ماتت ، وأتوا به موضع القبر ، فنظر إليه وصار بعد ذلك يعتـــاده ويزوره ، فبينما ذات يوم مضطجع وقـــد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب ، فقال أحدهما : هذا كعبي اعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا: إذا جاء مرقش أخبرناه انه قبر أسماء . فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام — وكان قد ضني ضناً شديداً — فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المرادي أسماء، فدعا مُرقش وليدة له ولها زوج من غُفَيلة [٢] ، وكان عسيفاً لمرقش فأمرها بأن تدعو له زوجها فدعته ، وكانت له رواحل فأمره باحضارها ليطلب المرادي عليها فأحضره اياها ، فركبها ومضى في طلبه ، فمرض في الطريق حتى ما يُحمل إلا معروضاً وأنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران ، وهي أرض مراد ، ومع الغفـليّ امرأته وليدةُ مرقش ؛ فسمع مرقش زوج الوليـــدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضُرّاً وجُوعاً . فجعلت الوليدة تبكي من ذلك ، فقال لها زوجها : أطيعيني ، وإلا فإني تاركك وذاهب [٣] قال :

وكان مُرقش يكتب ، وكان أبوه دفعه وأخاه حرملة — وكانا أحبّ ولده

---

(١) سمي بذلك لأنه برك يوم قِضَة يقاتل ، فـكان لا يمر به رجل من بكر بن وائل منهزماً إلا ضربه بسيفه .

(٢) اختلف فيها .

(٣) وهذه القصة شبيهة بقصة مهلهل بن ربيعة عندما أجمع عبدان كان يغير بهما على قبائل بكر على قتله (ينظر السمط ١/٢٧) .

إليه – إلى نصراني من أهل الحيرة فعلمها الخط ، فلما سمع مرقش قول الغفليّ للوليدة كتب مرقش على مؤخرة الرحل هذه الأبيات [١] :

يا صاحبي تلبثا لا تعجـــلا   إن الرواح رهينٌ ألا تفعلا

الخ ...

قال : فانطلق الغفلي وامرأته حتى رجعا إلى أهلها ، فقالا : مات مرقش ونظر حرملة إلى الرحل ، وجعل يُقلّبه فقرأ الأبيات . فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بأن يَصدُقاه ففعلا ، فقتلهما وقد كانا وصفا له الموضع ، فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره فعرف ان مُرقشاً كان في الكهف ، ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها ، فلما بَصُرَ به قال له : من أنت وما شأنك ؟ فقال له مرقش : أنا رجل من مُراد ، وقال للراعي : من أنت ؟ قال : راعي فلان ، وإذا هو راعي زوج أسماء . فقال له مُرقش : أتستطيع أن تكلم أسمـــاء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريتُها كل ليلة فأحلب لها عنزاً فتأتيها بلبنها ، فقال له : خذ خاتمي هذا ، فإذا حلبت فألقهِ في اللبن ، فانها ستعرفه ، وانك مُصيبٌ به خيراً لم يُصبهُ راعٍ قط ان أنت فعلت ذلك . فأخذ الراعي الخاتم ، ولما راحت الجارية بالقدح ، وحلب لها العنز أخذته فشربته ، وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثنيّتها ، فأخذته واستضاءَت بالنار فعرفته ، فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ قالت : ما لي به علم ؛ فأرسلتها إلى مولاها وهو في شرَف بنجران ، فأقبل فزعاً : فقال لها : لِمَ دعوتني؟ قالت له: ادعُ عبدك راعي غنمك فدعاه ؛ فقالت: سَلْه أين وجد هذا الخاتم ؟ قال: وجدته مع رجل في كهف خُبّان [٢] – قال ويقال كهف جبار

---

(١) أشك في صحة خبر الكتابة على الرحل لأمور كثيرة . منها انعدام وسيلة الكتابة بالنسبة للمرقش ، وعدم القدرة عليها وهو في الحالة التي صور فيها ؛ وضعف الحجة في استخدام الكتابة في نقل الشعر الجاهلي لأن اعتماد الشعر في النقل كانت وسيلته الرواية الشفهية في أغلب الأحيان.

(٢) انظر عن هذه القصة وعن تحديد الموضع « الاكليل » ٢ / ٣٤٨ .

فقال : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسمـــاء فانك مصيب به خيراً ، وما أخبرني مَنْ هو ، ولقد تركته بآخر رمق . فقـــال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خـــاتم مرقش ، فاعجل الساعة في طلبه . فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرقاه من ليلتها فاحتملاه الى أهلها فمات عند أسماء وقال قبل أن يموت :

سرى ليلاً خيالٌ من سليمى فأرقـــني وأصحابي هجود
فبتُّ أديرُ أمري كل حالٍ وأرقبُ أهلها وهمُ بعيـــدُ
على ان قد سما طرفي لنـــارٍ يُشبّ لها بذي الأرطى وقود
حواليها مَهـــاً جُمّ التراقي وآرامٌ وغزلان رقود
نواعم لا تعالج بؤس عيشٍ أوانسُ لا تراحُ ولا تروود
يَرُحنَ معاً بطاءَ المشي بُدّاً عليهنّ الجاسد والبرود
سكنّ ببلدةٍ وسكنت أخرى وقُطِّعت المواثق والعهود
فما بالي أفي ويُخان عهدي وما بالي أُصادُ ولا أصيدُ ؟!
الخ ...

ثم مات عند أسماء فدفن في أرض مراد .

وروى أبو الفرج الخبر بشكل آخر نقلاً عن غير أبي عمرو والمفضل [١] .

واختلفت نهاية المرقش في رواية جزء من الخبر عند البكري [٢] .

والذي يبدو من خلال الخبر ان المرقش انتهى في أرض مراد ، وكان قد قصدها بحثاً عن أسماء وهو يؤيد ما ذهب اليه طرفة في أبياته . ويبدو أيضاً من خلال السياق والتآلف والمصادفات ان القصة قد دخلها بعض الحوادث ، ولعبت في فصول من مشاهدها الايدي ، فأعطتها الشكل المتكامل ،ومنحتها الاطار القصصي المنسق ، وأبرزتها بهذا المضمون الجميل الرائع .. ولكنها ،

---

(١) الاغاني ١٢٩/٦ - ١٣٣ وينظر في رواية الخبر الشعر والشعراء / ١٣٨ والخزانـــة ٥١٥/٣ .

(٢) معجم ما استعجم ١٢٥/١ والسمط ٢٨/١ .

وكما ذكرت ان القصة ببعض أجزائها وجوانبها قد وقعت ، لأن المجتمع العربي زاخر بأمثال هذه الصور والحوادث ، وانها تمثل واحدة من الوقائع الذاتية التي طوت الارض العربية كثيراً من أمثالها وحفل التاريخ بشبيهات لها في كثير من حوادثه وأخباره .

شاعريته :

المرقش من الشعراء المرقين في الشعر ، فهو عم مرقش الاصغر ، والاصغر هذا عم طرفة بن العبد ، وأخت طرفة الخرنق شاعرة مشهورة ، ومن رهط طرفة عمرو بن قمئة ، وقيل ان المرقش الاكبر خال عمرو بن قمئة . وهكذا تتصل العائلة بوشائج الروابط الشعرية اتصالا متسلسلا مكونة عائلة شعرية – وليس ذلك غريباً في الشعر العربي – تتألق في أطرافها أسماء الشعراء المبرزين ، وتبرز في جوانبها قرائح شعرية ، وقابليات فنية كان لها شأن في الحياة الأدبية في العصر الجاهلي . وقد أهلته هذه القدرة لأن يجد مكانة مرموقة عند القدامى من المؤرخين واللغويين والشعراء . فالفرزدق عدّه من الذين وهبوا له القصائد فقال [1] :

وهب القصائدَ لي النوابغُ إذْ مضوا وأبو يزيدَ وذو القُروح وجَرْوَلُ
والأعشيان كلاهما ومرقش وأخو قضاعة قوله يتمثل

ومنحه ابن قتيبة الاسبقية في استحداث بعض المعاني ، وتأثر القدامى من الشعراء بها فقال : ومما سبق اليه قوله [2] :

يأبى الشبابُ الاقورين ولا تغبط أخاك أن يقالَ حَكَمْ

واختار له المفضل الضبي أكبر مجموعة شعرية في مفضلياته [3] ، ويقول

---

(١) الديوان ٢/١٥٩ (بيروت) والنقائض ١/٢٠٠ .
(٢) الشعر والشعراء ١/١٦٤ (احمد شاكر) القاهرة ١٣٦٤ .
(٣) تنظر المفضليات من ص ٤٥٧ – ٤٩٣ .

عن ميميته أبو العلاء ـ وانها عندي لمن المفردات »[1] . وقلّ أن نجد كتاباً من كتب الادب أو اللغة لا يستشهد بشعره ، أو يتمثل بأبياته ومقطعاته وإن كان هذا الاستشهاد قليلاً ومحدوداً .

وعلى الرغم من ان قصائد المرقش التي وصلت الينا قليلة إلا ان ظاهرة غريبة تبدو في بعضها ، وهي ظاهرة استخدامه لبحر الخفيف الذي قلّ استخدامه عند بقية الشعراء أو انعدم عند كثير منهم . وقد عرف استخدام هذا البحر عند الشعراء الذين عاشوا في المنطقة الشمالية الشرقية من جزيرة العرب ، ويدل هذا الاتجاه على تأثره بمدرسة شعرية بالغة التطور ، متميزة عن غيرها بتنوع الاوزان والتعابير ، وربما أثارت بعض قصائده التي خرجت عن الاوزان الشعرية المعروفة بعض التساؤلات عند كثير من المؤرخين، ولكن أهميتها التاريخية وقيمتها الفنية ، وإدراك الرواة لهذه الظاهرة وتركهم لها دون تغيير أو تبديل ، تبرز لنا نموذجاً من النماذج النادرة ، وظاهرة جلية من آثار قليلة وقديمة لمرحلة من النمو لم نقف على كنهها بعد ، ولم تصل الينا منها إلا مقطعات قليلة . ومن هنا كانت قصائد المرقش تمثل جانباً مهماً من جوانب الشعر الجاهلي الذي يختلف في بنائه عن القصائد الجاهلية ، وكانت حياته امتداداً طبيعياً لانسياح الشعراء بين شمال الجزيرة وجنوبها . وكانت قصص حبه تصور الطبيعة الاصيلة لمشاعر الانسان العربي الصادقة في حبه وإخلاصه وعفته . وبذلك تكون قصة المرقش النواة الحقيقية للحب العذري في القصيدة العربية .

شوال ١٣٨٩

الدكتور نوري حمّودي القيسي

نزيل مكة المكرمة

---

(١) رسالة الغفران / ٤٥٦ .

- ٨ -

الخُنْفُسِيّات : وبقرب (شِعْر) مما يـلي الطريق هضيبات يسمين (الخنفسيات) وبعضهم يفردها فيسميها (الخنفسية) وقـد ذكر ياقوت (الخنافس) فقـال : هي أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار من ناحية البردان تقام فيه سوق للعرب أوقع عندها بالمسلمين في أيام أبي بكر رضي الله عنه .. وأورد شعراً لأمير المسلمين هنالك أبي ليلى بن فدكي وكانت بها وقعة أخرى في أيام عمر رضي الله عنه في إمارة المثنى بن حارثة كانت الكرة فيها للمسلمين وقال المثنى في ذلك شعراً ..

والملاحظ أن ابن بليهد ـ رحمه الله ـ لما ذكر (الخنفسيات) في الجزء الثاني من كتابه « صحيح الأخبار » أورد شاهدين من شعر أبي ليلى بن فـدكي ومن شعر المثنى المقولة في (خنافس) العراق أوردها شاهـداً على (خنفسيات شعر) بينما هو قد أورد هذا الشعر وكلام ياقوت في الجزء الرابع من كتابه . وعلى هذا فلا شاهد على (خنفسيات شعر) ما عدا ما ورد من الأبيـات الشعبية حيث يقول فيحان الرقاص :

أعطَنْ لهِنْ معْ فَتَنْدَق النيِّرْ مزْواع
وَالعَصْر تَمّ الخُنْفُسِيَّهَ مَخَـالِيل
عَدّوا فريْدَة شِعْر حَيْث انْها اسْنَاع
وامّا جَذَبْكُم شُوْف مُدُّوْا دَرَابِيْل

حشَّة الجَعَّار : وإذا تجاوزت (الخنفسيات) تكون قـد ألممت بـ (حشة الجعار) والحشة هي بكسر الحاء وتشديد الشين المفتوحـة فتاء مربوطـة وهي تطلق على الأرض الجبلية ذات الحزون والآكام المتداخلة الوعرة وتتعين بالاضافة وقد أضيفت هذه إلى (الجعار) بالجيم المفتوحة والعين

المشددة المفتوحة بعدها ألف فراء .. لا ندري ما هو .. وهي كما جاء في وصف (الحشة) وأرضها وجبالها سوداء تتخللها شعاب تنبت السمر والسلم والثام وهي مرتبطة بسلسلة جبال (شعر) وما حولهـا من الشمال وبجبال الخـَرَج وما حولها من الجنوب .

عَفِيف : ومن (حشة الجمار) نكون قد ألممنا ببلدة (عفيف) وهي بلدة حديثة نشأت بعد نشوء هذا الطريق ومروره بمنهلها الذي يحمل هـذا الاسم من القديم ، يبلغ تعـداد سكانها حوالي (٣٠١٧١) حسب احصاء عام ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣ م ، وقد تطورت أخيراً وقد كنت أعهدها جواً تقطنها بادية تلك الجهة صيفاً ولا أنيس بها في فصل الشتاء والربيع .. ولهـا ذكر قديم في الشعر . قال شاعر من بني كلاب :

وما أم طفل قد تجمم روقـه تقرى به طلحاً وسدراً تناسقه
بأسفل غلان العفيف مقيلها أراك وسدر قد تحضر وارقه

وقد أكثر الشعراء الشعبيون من ذكره ، قال مخلد القثامي فيمحبوبة له :

عَلَى الّذي يجِرْ قَلْبي إلى مَـرّ
جَـرّ التّرِشا مِنْ فَوْق طَـيّة عَفِيْفِ

ويقول آخر وقف على حافة بئر عفيف ينزع الماء لسقيا ابله ثم انهارت به الحجارة التي وقف فوقها فهوى في البئر وكان في حزامه خنجر فلما هوى انجذبت من حزامه وتقدمته إلى قعر البئر وانطلقت خلفه حجارة فكان أمامه خنجر وخلفه حجارة مع مـا سوف يسببه ارتطامه بجنبات البئر وقعرها ولكن الله سلمه من كل ذلك فقال :

أحمدَ اللّـي وقاني مِن عَفيف يَومَ زَلّت بيَ القـامة بماهْ
إنذَلَق قدمي الحَد الرّهيف وَاقتفاني مِنَ الطـيّة حصَاهْ

ويقول فيحان الرقاص :

رَاكب إلى طَيْره لفح السّفايفْ رَفض للتبريكْ وان حرّك خفيف

سرّحه من دار مكرمة الضّعايف		دَار ابن مَسعُود هو ويّا العَريفي
نحّره خَشم الفريدَه بالوصايف		وانغـَويت الدّرب عَدّ أصفر عفيف

أصفر عَفيف : ويقع (عفيف فيما يشبه الفج بين جبلين ، فالجبل القائم شماليه جبل أصفر طويل يقال له أصفر (عفيف) ويمتـــد شمالاً ويمعن في الامتداد ، وبه مناهل ومسميات ، ويصاقبه من الناحية الشمالية الشرقية جبل (الوُريكة) وفي امتداده (أبا الحصَانيّة) و (قرنـَيْن) وبها من المناهل منهل (قـُليشة) ولم أجد له ذكراً فيما بين يدي من المصادر .

الخَـرَج : أما الجبل القائم جنوبيه فيمتد وتتكون منه جبال (الخـَرَج) بفتح الخاء المعجمة والراء بخلاف (خرْج اليمامة) فهو بفتح الخاء واسكان الراء (وخرَج عفيف) هذا جبـــال متقاودة متداخلة تمتد حتى تحاذي جبال (الأطولة) جنوباً وبها منهل ماء يسمى (خرجا)وقد أورد ياقوت(الخرج) مثنى بلفظ (أخرَج) فقال : (الأخرجان تثنية الأخرج من الخرج وهو لونان أبيض وأسود يقال كبش أخرج وظليم أخرج . وهما جبلان في بلاد بني عامر . قال حميد بن ثور :

عفى الربع بين الأخرجين وأوزعت		بـــه حرجف تدنى الحصا وتسوق

وقال أبو بكر : ومما يذكر في بلاد أبي بكر مما فيه جبال ومياه المردمة وهي بلاد واسعة وفيها جبلان يسميان الأخرجين قال فيهما ابن شبل :

لقد أحميت بين جبال حَوْضَى		وبين الأخرجين حمى عريضا
لحيّ الجعفري فما جزاني		ولكن ظل يأتل أو مريضا

الآتِل الخانس . وقال حميد بن ثور :

على طللى جمل وقفت ابن عامر		وقد كنت تعلى والمزار قريب
بعلياء من روض الغضار كأنما		لها الريم من طول الخلاء نسيب
أرّبت رياح الأخرجين عليهما		ومستجلب من غيرهن غريب

انتهى كلام ياقوت ..

وقد علق على ذلك ابن بليهد - رحمه الله - فقال: (الأخرجان قد وضحه ياقوت وهو جبال منها المردمة . ولا أعلم موضعاً غير جبال الخرج التي تقع عن منهل عفيف جنوباً وهي التي تنعقد جبالها بجبال عفيف وهي تحمل هذا الاسم إلى هذا العهد وربما أن العرب تسميها هي والمردمة فيقال لهما الاخرجان من باب التغليب) اهـ .

ولا يبعد أن يكون ما ذكره الشيخ ابن بليهد صحيحاً لا سيما والموضعان متقاربان وفي بلاد قبيلة واحدة هم بنو عامر ..

ومـــا بين أصفر (عفيف) وما يتعلق به من الجبال شمالاً وبين جبال عفيف الجنوبية التي تنعقد معها جبال (الخرج) ما بين هذه وهذه تقع بلدة عفيف ويمر واديها الذي يأتي من ناحية الغرب وينصب إلى الشرق .. وقبالة (عفيف) من الناحية الغربية جبـــل منفرد طويل يقال له (أصفر عفيف الغربي) هو أول ما يراه الرائي من علامات (عفيف) إذا أقبل من الجهة الجنوبية الغربية قاصداً (عفيف) يراه من مسافة بعيدة ..

العُكليّة : وإذا سرت من عفيف ونكبت جباله خلفك والتفت يميناً رأيت من بعـــد هضبة (العكلية) وهي هضبة سوداء فارعة وعندها ماءة (العكلية) تقع بمدفع (وادي الشُّبرم) في (وادي المياه) قال عنها ياقوت: (... اسم ماء لبني أبي بكر بن كلاب . قال الأصمعي وهو يذكر منازل قيس بنجد فقال : واما أبو بكر بن كلاب فمن أدنى بلادها إلى اخوتها مما يلي بني الأضبط .. (العكلية) وهي ماءة عليها خمسون بئراً وجبلها أسود يقال له أسود النساء .) اهـ

ويقول الشيخ ابن بليهد : (العكلية) تحمل هـــذا الاسم إلى هذا العهد ولكن المتأخرين أسقطوا الالف واللام فيعرفونها (عكلية) وموقعها مفيض وادي الشبرم في وادي الميـــاه يراها السالك طريق مكة إذا نكب عفيف وهضابه إذا التفت على يمينه يرى رأسها كأنها قطعة غيم وهي هضبة سوداء)اهـ.

وقال صاحب « بلاد العرب » : (.. وأما أبو بكر ابن كلاب فمن أدنى

بلادها إلى آخرها مما يلي بني الأضبط (العكلية) وهي ماءة عليها خمسون بئراً وجبلها أسود النساء وجبل لها يقال له الشريب ..)

شِعْب العسيبيّات : وفوق (العكلية) قريباً منها مجموعة هضاب طوال متناوحات يقـــال لهن (العسيبيات) ويضاف اليهن ماءة وسطهن من واد يفلق هذه الهضاب متجهاً للجنوب الشرقي فيقال :(شعب العسيبيات)وماؤه عذب قد وردته وارتويت منه وبت بواديه كان ذلك ليلة الثالث من شوال عام ١٣٨٦هـ فخرجنا بعد صلاة المغرب نتراءى الهلال خارج هذه الهضاب السامقة فانه سوف لا يرى الهلال بهـا حتى ليلة الثامنة منه .. وما أقرب (شعب العسيبيات) من (منهل الجثوم) وهضابـــه : يقول صاحب كتاب « بلاد العرب » : (الجثوم) ماء قال الشاعر :

لعمرك أن الجثوم لمورد غدا من أعالي مبهل لقريب
غدا بكرة واقتاده الشوق والهوى كما قيد طِرْفٌ بالحبال أريب

وهي ماءة محفوفة بالجبال . فمما يليها من الجبال (الشّموسان) وفيها يقول العامري :

متى أنج من شعب الشموسين لم أعد اليه ولو منيـــتماني الأمانيا
فلست أرى شمسا إذا هي ميلت ولا قمرا حتى يتم ثمانيـــا

أي ثمان ليال لطولها في السماء وصدق لا يرى إلا بعد ثمان ليال) اهـ .

قلت انها لمناسبة وقعت لنا حول هذه الجبال التي قيل بها هذا الشعر .

السّتَار : ومما يلي (الشعب) الستار (ستار ربيعة بن الأضبط) وهو جبل منبسط قال عنه صاحب « بلاد العرب » : انه جبل فيه مصانع تمسك الماء الواحدة مصنعة . قال الشاعر :

ما هاج عينيك من الديار بين اللوى وقنـــة الستار

وقال في صنعه :

يا حافر الأصناع كيف بحيلة أظل بها فيكن ثم أبيت

والستار يطلق على عدة أمكنة منها هذا، وماءة حول منهل البقرة، وهضب في بلاد محارب، ووادي المياه الذي به ثاج. وقد أوصلها ابن بليهد ـ رحمه الله ـ إلى اثني عشر ستاراً فقال : (الستار في بلاد العرب الذي رأيته وعلمته اثنى عشر جبلاً . في بلاد بني عبد الله بن غطفان وبلاد غني ستة أجبل يقـــال لكل واحد منها (الستار) محيط بضرية ستاران وفي شمال (أبانات) الغربي جبل يقال له الستار ، وقريب الحناكية جبل يقال له الستار ، وغرب (عُريق الدّسم) جبل يقال له (الستار) وفي عالية نجد الجنوبية جبلان يقال لكل منهما (الستار) وفي جنوبي العبـــاء جبل يقال له (الستار) وقريب بلدة الخرمة جبل يقال له (الستار) وفي بلاد بني تميم واديان يعرفان بـ (الستارين) في جهة السودة منها واحد باق على اسمه في تلك الناحية وفي جهة (الركا) جبل يقال له (الستار) اهـ .

وقد حدد البكري الستار تحديداً بعيداً عن الحقيقة ممـا جعل ابن بلهيد يقول عنه : (انظر أيها القارىء خطأ البكري حين قال على ذكر الستار في أول عبارته : (هو جبل معروف بالحجاز أسفل من النباج) فبـين النباج والحجاز مسافة خمسة وعشرين يوماً لحاملات الأثقال . اهـ

وقد قيل في (الستار) أشعار كثيرة ولكن يمتنع التمييز في أي ستار قيلت ، ويوم الستار معروف عند العرب وهو بين بكر بن وائل وبني تميم قتل فيه قتادة بن سلمة الحنفي فارس بكر بن وائل قتله قيس بن عاصم التميمي وفي ذلك يقول شاعر تميم :

قتلنـا قتادة يوم الستار وزيداً أسرنا لدى معنق

ويقول جرير ذاكراً الستار :

إن كان طبكم الدلال فإنه حسن دلالك يا أميم . جميل
أما الفؤاد فليس ينسى حبكم مادام يهتف في الاراك هديل
أيقيم أهلك بالستار وأصعدت بين الوريعة والمقاد حمول ؟

وشاعر آخر يقول :

وجدت بني الجمراء قوماً أذلة	ومن لا يهنهم يمس وغدا مهضما
وأحمق من راعي ثمانين يرتعي	بجنب الستار بقل روض موسما

وقال صاحب كتاب « بلاد العرب » نقلاً عن ابن السكيت : (وأجَلَى هضبة في فلاة ماء يقال له (الثُّعْل) لبني قوالة . وقال مرة اخرى : هي هضبات ثلاث حمر وهي في مغبة الثعل والثعل ماء لبني قوالة . واجلى بلاد طيبة مريئة تنبت الحلي والصلّيان وانشد :

حلت سليمى جانب الجريب	بأجـــلى محـلة الغريب

محل لا دان ولا قريب

واورد صاحب كتاب « بلاد العرب » بيتين من الشعر لجامع بن عمرو بن مرخية هما :

تربعت الدارات دارات عسعس	الى اجلى أقصى مداها فنيرها
الى عاقر الاكوام فالأيم فاللوى	الى ذي حسا روض مجود يصورها

وقال ياقوت نقلاً عن الأصمعي : (.. اجلى بلاد طيبة مريئة تنبت الحلى والصليان) وانشد :

حلت سليمى .. الشعر المتقدم .

وقال السكري في شرح قول القتال الكلابي :

عفت اجلى من اهلهـــا فقليبها	الى الدوم فالرنقاء قفر اكثيبها

أجلى : هضبة باعلى نجد

وقال الشيخ ابن بليهد : (.. ثم تخرج منه – وادي الخضارة – وانت قاصد الشرق ثم تلتفت على شمالك فترى (اجلىَ) وهو جبل ذو ثلاث قطع حمر هضبات متصل بعضها ببعض ولها ذكر في اشعار العرب الجاهليين وهذا اسمها الجاهلي واورد الرجز المتقدم . وقول النمر بن تولب :

خرجن من الخوار وعدن فيه   وقد وازن من اجلى برعن

وقال في موضع آخر معلقاً على الشعر التالي :

وريت جريراً يوم اذرعه الهوى   وبصرى وقادتك الرياح الجنائب
سقى الله نجداً من ربيـع وصيف   وخص بها أشرافهـــا فالجوانب
الى اجلى فالمطليين فراهص   هناك الهوى لو ان شيئاً يقارب

قال : (أما اجلى فهي معروفة .. اذا قطعت وادي الخضارة متجهاً الى عفيف ثم اتيت وادي الثعل فانظر شمالك تجدها ويقال لها في هـــذا العهد : (اجلة) .

الخُضَارَة : وامام(اجلى)قدامها مما يلي الجنوب تنتقل ببصرك الى حزون سود منقادة تبرز بها رؤوس ناتئة ذلك هو (سَمَار الخضارة) والخضارةمنهل شهير وماؤها خبيث لا يسيغه شارب ولكن العرب يألفونها لطيب فلاتهـــا ونصاحة مرتعها ، وما اغلى الابل عند العرب فهم يكرهون انفسهم في سبيل اكرامها ويأتون ما تريد لا ما يريدون ..

الشِّبْرْمِيَّة : ويلي (الستار) (وادي الشبرم) وهو واد يصب في وادي (عفيف) وبه ماءة تسمى (الشبرمية) .. لم أجد لها ذكراً فيا بين يدي من المراجع .. ولكنهـــا الآن مشهورة عند عرب تلك الناحية . وقد أشار إليها الشيخ ابن بليهد بقوله : (الشبرمية) ماء قرب مثلثة في وادي الشبرم ..

مُثَلَّثة : وعلى مقربة من منهل (الشبرمية) هضبة فارعة ذات ثلاثة رؤوس يقال لها (مثلثة) لم يرد لها ذكر في أشعار المتقدمين ويجوز أن لها اسماً غير اسمها الحالي ، وقد ورد ذكرها في أشعار البادية ، يقول شاعر من قبيلة عتيبة :

هاضَني مَبْدَايَ في حَيْدٍ زَمَابي   في سِنَاف المِطَّرَق مالي رَعيَّه
في يَدِي مِطـرَق فرَنجيّ هَبَابي   ذخْر ابوي من الصَّنُوع الجاهِلِيَّه

يَا حَليّ مِنَ المَها تلْع الرِّقابِ حَاز بَيْنَ مثلّثه والشّبرْمِيّه
ليْتَني عَانَقْتُهُم بأوّل شَبـابي يُوم عَجّاتِ الصّبا فِيْهُم وَفِيّه

وقال عنها ابن بليهد : (.. وهي هضبة سوداء سميت مثلثة لأن لها ثلاثة رؤوس وهي في وادي الشبرم ، ولم أر لها ذكراً في أشعار الجاهلية ، ولها ذكر في أشعار الأعراب المتأخرين ..) ثم أورد الأبيات المدونة هنا .

أجَلَـى : وتشاهد هذه الجبال وأنت منطلق من (عفيف) واتجاهك غرباً ولم يلبث الطريق قليلاً حتى يأخذ ذات الشمال متجهاً إلى الجنوب الغربي وهنا يبرز لك ثلاث هضاب حمر متجاورات هي (أجلى) التي تسمى حالياً بـ (أجله) تراها عينك تتربع على منبسط من الأرض وتتداح حولها كبد الحمى من أخصب وأمرأ مراعي العرب وأجملها وآنسها ، ينطلق من سهولها وأحضانها وادي (الجريب) ويصاقبه من ناحية الشرق (وادي الشبرم) وتنتشر أعلام نجـد الحبيبة هنالك ، تتجه ببصرك شمالاً منها فترى هضاب (العسيبيات) و (مثلثة) و (الجثوم) وربما (المضيح) وما حولها .. جبال تنادي على نفسها بسموقها ومنظرها البديع .. وتنظر تلقاء الغرب فتشاهد الذنائب وسمر الحضارة وربما (حبر) و (الغرابة) وتشاهـد (الدريعوات) وتنظر جنوباً فترى (النعل) و (المشف) و (ضليـع الصياح) و (ام السباع) و (سجا) وما حولها .. وتولي وجهك تجاه الشرق فترى (الأطولة) و (الخرج) وجبال (عفيف) .. وتمعن في نبات الأرض تحتك فترى (النصيّ) و (الحماط) و (الصليان) و (الحَلَمَ) وكل نبت طيب نافع ، وتنتثر هنا وهنالك شجيرات (السمر) و (السلم) و (الطلح) وخمائل (الحمض) .. هذه الأرض اتخذها عزيز العرب وزعيمها كليب وائل حمى له ، اختارها دون مرابع الجزيرة ومراتعها العذبة النقية ..

قال أبو عبيد البكري في « معجم ما استعجم » : (أجلى هضيبات حمر بين فلجة ومطلع الشمس وماؤهن (النعل) اجتمع فيه النصي والصليان والرمث بجهراء من نجد طيبة — والجهراء (الصحراء) . ولذلك قالت بنت

الخس – وقد سئلت : أي البلاد امرأ ؟ – قالت : خياشم الحزن أو جواء الصمان . قيل : ثم أي ؟ قالت : ازهاء اجلى انى شئت) .

(والخضارة) ذكرها ابن بليهد فقال : ثم تطلع على (جذيب الخضارة) وهي جبال سود صغار يقال لها (سمر الخضارة) في هذا العهد وإذا كنت عن تلك الجبال فانظر فما كان سيله منها مشرقاً فهو يصب في وادي الجريب وما كان مغرباً فهو يصب في الشعبة ويتجه إلى جهة المدينة .. ثم تأتي وادي الخضارة وهو واد كثير الشجر يصب سيله في الجريب ..) ا هـ .

وقد ذكر صاحب كتاب « بلاد العرب » (الخضارة) باسم (الخضرية) فقال : (والخضرية ماءة) ثم قال:(والخضرية جبل أحمر يقال له (مثلثة) ذكرها في بلاد محارب . وقد مر ذكر (مثلثة) قريباً وما أقرب (الخضارة) من (مثلثة) .

جَدِيلَة : ويلي (الخضارة) هضاب حولها بركة وآثار ومعالم هي ما عرف قديماً باسم (الجديلة) منزل من منازل حاج البصرة بعد (ضرية) على مسافة اثنين وثلاثين ميلاً منها قال في كتاب « المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة » لأبي اسحاق الحربي قال : (.. ثم جديلة عن علي بن محمد الهاشمي عن أبيه ان ابرقا حجر من جديلة على أربعةعشر فرسخاً وهما جبلان يكتنفان الطريق كان نزل عليهما حجر أبو امرىء القيس الكندي الشاعر وكان ملكاً فقتله بنو أسد بذلك الموضع .. ومن ضرية إلى جديلة اثنان وثلاثون ميلاً . وقبل جديلة بخمسة أميال موضع يقال له أسود العين فيه آبار قريبة الماء ..) .

وفي أرجوزة يزيد بن وهب بن جرير في طريق البصرة التي أوردها صاحب كتاب المناسك المتقدم ذكره قال :

حتى إذا مرت على الجديله دوسرة بجشرة جليله
لدى سراها غير ما ثقيله

أوردتها الحوض فعافت مشربه فصدرت بي وأبت أن تقربه
قلت لشخص وادع من صحبه
قدها إلى البركة كيما تشربا فقاد قوداء سعوبا (؟) سلهبا
فشربت من مائها وشربا
ثم استقمنا ومضينا قدما تزجى مهاريس عتاقاً أدما
إذا غدون خلتهن عصما

أما هذه الأسماء الآن (جديلة) و (ابرقا حجر) و (أسود العين).. فلا وجود لأسمائها ولولا (البركة) والآثار وتحديد المسافة بالأميال لما علمنا ان هذا المكان اسمه (جديلة) بل هو الآن يسمى (الدريعوات) ..

الذَّنائِب : وبين (الحضارة) و (الدّرَيعُوّاتْ) مقدمتها إلى الغرب هنالك هضاب (الذنائب) ثلاث هضبات حمر متجاورات .. تراها فتذكرك الحمى وما له من أخبار، وما به من أشعار، وتذكرك أيضاً بعزيز العرب كليب وائل ثاويا عندها . وتذكرك انها بأعلى وادي (الجريب) أخصب أودية نجد وأمرأها وميدان صراع بكر وتغلب قديماً وحرب عتيبة ومطير قريباً .. وتذكرك الأيانِق تحمل الخلفاء والأمراء والعلماء والأدباء والشعراء والهوادج تحمل الخفرات مقبلات إلى مكة وآيبات منها تحمل حاج العراق ومن التحق بهم يمرون بالذنائب، فتنهال أمامهم الذكريات، ويتساقطون الأخبار ويروون الأشعار .. كل ذلك وغيره تذكرك إياه الذنائب .. في قمة نجد الهوى والصبا والنعامى وملاعب الغيد ومسارح الغزلان ومنتج الرواد .. دار خرقاء محبوبة غيلان على غلوة منها .. مر بها ركب فصرفهم من الحج فوقفوا على خرقاء وهم لا يعرفونها قالت من الركب ؟ قالوا : من بني عدي الرباب . قالت : رهط ذي الرمة ؟ قالوا : نعم . قالت : قد تركتم منسكاً بقي عليكم من مناسك الحج . قالوا : وما هو ؟ قالت : أو ما سمعتم ذا الرمة يقول :

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

قالوا : وانك لخرقاء ؟ قالت نعم . فأنا خوا عندها .

وهنا موطن (مرسّى العطاوية) سمعتهم ينادون على لبنهم بأسواق مكة ليبيعوه فعجبت كيف يباع اللبن . ثم هل هو لبن كلبنها الذي تعهد مما تثره نياق تقطف الزهر من نفانف الجريب وتحمض بالرغل والعراد والرمث من خمائله ؟ انها تنكر هذا وتقول :

يَالـّي تِنادي بَالـّلبَن مَا لَنَـا فِيْه
أبا اذكـره وإنْ كُنْتْ للدّرب غَـاوي
خَشْم اليَنُوفي والحَـوَم بارِكٍ فيْه
وَسَيْحان والبَرّه وعَبْلَةْ مَـلاوي
وَوادي الجَـرِير إلى حَدَر مِـنْ علاويه
وخَشْم الدّنيْبَه وَالجِذَيْب متَسَاوي
في نَفْنِيفٍ سُبْحان ربّ مْسَوِّيـه
بِـدْيوس خَلْفاتٍ عَلَيْها العَطاوي

وفي هذا المكان من الجريب قال المهدي بن الملوح :

إذا الريح من نحو الجريب تنسمت وجدت لريّاها على كبدي بردا !
على كبد قد كاد يبدي بها الجوى ندوباً وبعض القوم يحسبني جلدا

وبه يقول عمرو بن شاس الكندي :

فقلت لهم : إن الجريب وراكسا به أبـــل ترعى المرار رتاع

وعن لسان (وادي الرمة) يقال :

كل بني انـــه يحسيني إلا الجريب انه يرويني

ولشاعر آخر :

ويكفيك بعد الله يا أم عاصم مجاليح مثل الهضب مصبورة صبرا
عوادن من حمض الجريب وتارة تعاتب منه خلة جارت جـــأرا

ويقول عبيد بن الأبرص :

أقفر من أهلـه ملحوب ... فالقطبيـــات فالذنوب
فراكس فثعاليــات ... فذات فرقـين فالقليب
فعردة فقفا حــبرّ ... ليس بها منهم عريب
وبدلت منهم وحوشا ... وغيرت حالها الخطوب

ويقول كثير :

أمن آل ليلى دمنة بالذنائب ... إلى الميث من ريعان ذات المطارب
يلوح بأطراف الأجدة رسمهـــا ... بذى سلم أطلالها كالذواهب

وبالذنائب قبر كليب وائل ، عزيز العرب وأحد الثلاثة الذين قادوا معدا كلها واجتمعت على قيادتهم وزعامتهم وهم : عامر بن الظرب وربيعة بن الحارث وكليب بن ربيعة . الأول قاد معدا يوم البيداء . والثاني قادها يوم السُّلّان . والثالث قادها يوم خزاز . فهزم جمع اليمن فعقدت به بعد جدها وجعلوا له قسم الملك وتاجه وتحيته وطاعته، وأصبح قائد معد بلا مدافع ولا منازع ، فضرب به المثل في العزة وقيل : أعز من كليب وائل .. حتى أخذ يحمي مواقع السحاب . فلا يرعى حماه ، ويجير وحش الأرض فلا يهاج ، ولا تورد ابل أحد مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره .. فاستفزته ناقة لامرأة تسمى البسوس فوطئت حماه فوضع سهمه مكان اللبن من ضرعها فخلط الدم باللبن ونفرت الناقة ترغو وما أن رأتها البسوس حتى صاحت واذلاه واجاراه!! وكانت في جوار جساس بن مرة ابن عم كليب وأخو زوجته .. فثارت ثائرة جساس واحتدم غضبه فأقدم على قتل كليب فقتله وضرب المثل باقدامه ان أقدم على قتل هذا السيد :

أدركت حلم ابن قيس في سيادته ... لكن قرنت به إقدام جساس
في عدل كسرى وافضال ابن حارثة ... أوس وعلم الفتى الحبر ابن عباس

فحفظ تاريخ العرب لكليب سطوته وغروره وتعاليه ، كما حفظ لجساس

إقدامه وغيرته .. قال عمرو بن الأهتم :

وان كليباً كان يظلم قومه ... فأدركه مثل الذي تريان
فلما حشاه رمح كف ابن عمه ... تذكر ظلم الأهل أي أوان
وقال لجساس : أغثني بشربة ... وإلا فخبّر من رأيت مكاني
فقال : تجاوزت الأحص وماءه ... وبطن شبيث وهو غير زؤان

وقال النابغة الجعدي :

ابلـغ عقالاً ان خطة داحس ... بكفيك فاستأخر لها أو تقدم
كليب لعمري كان أكثر ناصرا ... وأيسر ذنباً منك ضُرّج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة ... كحاشية البرد اليماني المسهم
وقال لجساس : اغثني بشربة ... تدارك بهـا منّاً علي وأنعم
فقال تجاوزت الأحص وماءه ... وبطن شبيث وهو ذو متوسم

وكان المهلهل أخو كليب – واسمه عدي بن ربيعة وإنما سمي المهلهل قيل لأنه هلهل الشعر أي أرقه – كان غزلاً زير نساء حلس قمار وشراب .. فنزع عن هذه كلها بعد قتل أخيه وتقمص لأمة الحرب ونادى بالتغلب :

نعى النعاة كليبـاً لي فقلت لهم : ... مالت بنا الارض أو زالت رواسيها
القائد الخيل تردى في أعنتهـا ... زهوا إذا الخيل لجت في تعاديهـا
من خيل تغلب مـا تلقى أسنتها ... إلا وقد خضبوها من أعاديهـا
يهزهزون من الخطّي مدمجـة ... كمتـا أنابيبها زرقا عواليهـا
ترى الرمـاح بأيدينا فنوردها ... بيضاً ونصدرها حمرا أعاليهـا
لا أصلحَ الله يوماً من يُصالحـكم ... ما لاحت الشمس في أعلى مجاريهـا

ولـه :

بات ليلي بالأنعمين طويـلا ... أرقب النجم ساهراً أن يزولا
كيف أهدا ولا يزال قتيل ... من بني وائل ينسّى قتيلا

فتذامرت تغلب ولقحت الحرب بينها وبين بكر ، غير ان بكراً لم تجمع على قتال تغلب ، وما كان فقد كليب عليهم بالأمر الهين ، ابن عمهم وفارس

القبيلة وزعيمها فانخذلت لجيم ويشكر ، وكف الحارث بن عباد فارس النعامة وتركوا الميدان لشيبان في مواجهة تغلب أسفاً على كليب، وطمعاً في أن تخبو نار الحرب سريعة . ولكن أنى لها ذلك لقد بدأت (بيوم النهي) ثم يوم الذنائب ثم (يوم واردات) ثم (يوم عنيزة) فيوم (الحنو) ويوم (عويرضات) ويوم (أنين) ويوم (ضرية) ويوم (القصيبات) .. كل هذه المعارك كانت الدائرة فيها لبني تغلب على شيبان حتى قيل لن تقوم لهم بعدها قائمة .. وفي هذه المعارك قال المهلهل مشعل هذه الحرب قال أشعاراً منها :

أليلتنا بـــذي حسم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تحوري
فإن يك بالذنائب طال ليــلي فقد أبكي من الليل القصير
فـلو نبش المـقابر عن كليب لا خـبر بالذنائب أي زير
وإني قـد تركت بواردات بحـيـيرا في دم مثل العبير
هتكت بـه بيوت بني عباد وبعض القتـل أشفى للصدر
على أن ليس عدلاً من كليب إذا برزت مخبأة الخـــدور

وقال أيضاً :

أكثرت قتل بني بكر بربهم حتى بكيت وما يبكي لهم أحد
آليت بالله لا أرضى بقتلهـم حتى ابهرج بكراً أينما وجدوا

وقـــال :

قتلوا كليباً ثم قـــالوا اربعوا كذبوا ورب الحـل والإحرام
حتى تبيد قبيلة وقبيـــلة ويَعض كل مثقف بالهـام
ويقمن ربّات الخدور حواسرا يمسحن عرض ذوائب الأيتام
حتى يعض الشيخ بعـد حميمه مما يرى ندمـــا على الابهام

ولقد ظن الحارث بن عباد أن ابنه بجيرا حينما قتله المهلهل (بواردات) سوف يكون كفاء كليب وتقف تغلب عند هذا الحد، غير انه بلغه أن مهلهلاً حينما رمى ببجير قتيلاً قال بُؤْ بشسع نعل كليب . فاستقبل الحارث الحرب

واضطلع بها وكان (يوم قِضَّة) أول يوم تنهزم فيه تغلب ويهرب فيه المهلهل وفيه يقول الحارث :

قرّبا مربط النعامـــة مني لقحت حرب وائل عن حيالي
قربا مربط النعامـــة مني شاب رأسي وانكرتني رجالي
لم أكن من جنباتها عـلم الله وإني بحرها اليوم صـــالي

تبلغ القصيدة مائة بيت خمسون منها يردد :(قربا مربط النعامة مني).
ولم يزل الحارث يؤجج نار الحرب ضد تغلب حتى مزقها شر ممزق ، وآلى أن لا يكف عن قتالهم حتى تكلمه الأرض فاحتالت تغلب لذلك ووضعوا رجلاً في سرب يمر عليه الحارث ولما مرّ أنشده الرجل من تحت الأرض :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض!!

فقال له من معه : كلمتك الأرض أبا منذر فابق على تغلب . فوضع لأمـة الحرب وكف عن القتال ..

وكانت تغلب قد عرضت على مرة بن ذهل رأس شيبان وزعيمها عرضت عليه واحدة من أربع أو الحرب . وما أثقل ما عرضوا عليه ؟ قالوا تحيي كليباً ، أوتدفع لنا جساساً قاتله فنقتله به ، أو همام بن مرة أو تمكننا من نفسك . فقال : أما إحيائي كليباً فهذا من المستحيل. وأما جساس فإنـــه غلام طعن طعنة على عجل وذهب فلا أدري أي البـــلاد احتوته .. وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة غدا فأكون أول قتيل فيها ولن أتعجل الموت . ولكن لـكم عندي خصلتان أما أن تختاروا أحد بني الباقين وتقتادوه في كليب وإلا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لـكم بها كفيلاً من بكر ابن وائل .. فغضبت تغلب لهذا المقال وأسعروا نار الحرب ..

وهكذا تقع هذه الحرب الطاحنة يذهب وقودها الرطب واليابس وتقطع فيها الأرحام وتنتهك الحرمات ، ومصدرها شاب نزق وامرأة شُؤْم ..

إذا رأيت أموراً منهـا الفؤاد تفتت	فتش عليها تجدها من النساء تـــأتت

ولم يكن (الجريب) في أزمنة سلفت قريباً بأحسن طالع منه في أزمنته الغابرة فالصراع على مراتعه الجيدة وفلواته الفيح لم يزل منذ القدم حتى هيأ الله لهذه الجزيرة من أمرها رشداً وأصبحت في أمن واستقرار تسير ظعينتها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً لا تخشى إلا الله .

لقد قتل في هذا الوادي من شيوخ عتيبة فقط ثمانية هم تركي بن حميد ، وسلطان بن هندي بن حميد ، وزايد بن محيا ، وفلاح بن محيّا ، وشليل بن نجم ، ومارق الضّيط ، وبدر بن مارق الضيط ، ووجدي بن زريبة .. في حروب بين بني عبد الله بن غطفان – مطير – وحرب من ناحية وبين عتيبة من ناحية أخرى .. فكيف بمن هم غير الشيوخ وكيف بمن هم غير عتيبة ؟

يقول شاعر حرب في مناسبة من هـــذه المناسبات علي بن العويرا من بني عمرو :

يَا ذيب يالتّى من عَفيف إلى الجَـرير	بَيّض على الله والمشَاكيل الرّماه
الضّيط راح وَلَحْقَـه الضّيط الصّغير	بَغى المَوَض بأبوه مير الله رمَاه
وشَلَيـــل وَرّدناه للمُوت العزير	يَشرَب غزير الموت مع دَرب عضداه
وفَيحَان خلنّه على السّاقه كسِير	أقفن وهو ينخى وبه تالى حَيّاه
وخربوش يَوم انّه تَفَوّه بالغـَرير	لا بـــد ترميه المنَايا هو قضَاه
وابن بشير راعى الصفرا الظّهير	جَرمود مَا ميّزت طيبه من رداه
مَا نَذبح الا الّـيْ محَازمهُم حَرير	شيوخ الجَهام الّـيْ يقدُون العَباة

وفي هذا الحمى من المعارك والوقعات جل ما وقع في نجد بين قبائلها وفيه من الأشعار والأخبار ما يضيق المجال عن حصره وينأى بنا عن صميم بحثنا هذا وعسى أن يفرد له بحث يوفيه ما هو جدير به هو وسائر الأحماء ..

(للبحث صلة)

الرياض — عبد الله بن محمد بن خميس

النقد الأدبي في التراث الجاهلي

تحدث الكاتبون عن النقد الأدبي في العصر الجاهلي حديثاً سلم بعضه دون بعضه ، إذ تطرق الخطأ إلى أناس لجؤوا إلى المقارنة الواسعة بين النقد في الأدب العربي[1] والنقد في الأدب اليوناني من حيث النشأة الأولى ، فذكروا أن الأمة اليونانية كانت في بداوتها البعيدة تعتمد على دقة الحس وطلاقة اللسان فيما تصدر من الآراء ، وكان لها رواة يتعصبون للشعراء ويذكون أسباب المنافسة بين القائلين ، ثم جاء عهد التدوين ليحفظ الإلياذة والأودسه منقحتين تنقيحاً يعتمد على الذوق الفطري ويضع حداً لتصرف الرواة في المحو والإثبات ، وظهر الشعر التمثيلي وظهر معه الناقدون من القضاة الذين يختارون للتمثيل ما يتميز بخصائص راقية تمتع الجمهور ، فدفعوا بالشعراء إلى الإجادة والإتقان ، ثم تقدمت الفلسفة شيئاً فشيئاً فاستطاعت أن تؤصل النقد الأدبي وأن تقيمه على دعائم قوية من المنطق ، وبذلك تم لأرسطو أن يقعّد القواعد النقدية ، وأن يصبح كلامه المرجع الأول لأساتذة النقد وأصحاب الدراسات البلاغية المختلفة . هذا ما يقال عن النقد في أدب اليونان ليلتصق بالنقد في أدب العرب نشأة وتطوراً ، وليفرض على النقد في العصر الجاهلي أن يكون جميعه ساذجاً جزئياً يعتمد على الإرتجال كما كان النقد اليوناني في منشئه سواء بسواء وقد نسي هؤلاء أن ما لدينا في الأدب العربي من نقد الجاهلية لا يكاد يمتد إلى زمان سحيق أكثر من مائة عام قبل الإسلام على الأكثر ، بمعنى أنه لا يمثل الطفولة الساذجة في هذا العصر ، بل يمثل النضوج المكتمل بعد أن قامت القصيدة العربية على ساقها وتجاوزت دور الزحف والحبو على الأرض ، ووُجد من الشعراء من كانوا يبطئون في النظم كل الإبطاء حتى عُرفوا بالحوليات ، وما ذلك إلا لما يكابدون من التنقيح والمراجعة وراء نقد ذاتي يقوم في نفس الشاعر أو يسمعه ممن يعرض عليه انتاجه من خاصته ،

---

(١) أصول النقد الادبي للاستاذ أحمد الشايب ١٠٧ .

ومعنى ذلك أن ما لدينا من أدب العصر الجاهلي لا يصوّر طفولة القصيدة العربية وما دار حولها من نقد ، إذ أن الخطوات الأولى للمحاولات الشعرية قد ضاعت في خضم الزمن البعيد .

ثم أن الإمعان في المقارنة الدولية بين أدب العرب وأدب اليونان من حيث النشأة يغفل مقررات علم الإجتماع وقواعده التي تدير هذه المقارنة على طبيعة الإقليم وجنس الأمة وعقائدها الفطرية ومسافة الزمن قصراً وطولاً ، وإذا كانت بلاد اليونان جبلية ذات بحر وبر وجزر وغابات وبراكين ، وكان أهلها من ذوي الملاحة والزراعة فكيف يقرنون بالعرب وهم يختلفون طبيعة ومناخاً وجنساً وعقيدة ، ليكون النقد في عصر الجاهلية مشابهاً للنقد في بداوة اليونان ، وإذا كان اليونان قد مروا بثلاث مراحل ، هي مراحل البداوة والحضارة والفتوحات ثم مرّ العرب من بعدهم بهذه المراحل فإن ذلك وحده لا يوجب أن يكون النقد الأدبي والانتاج الشعري متحدا في هذه المراحل مع اختلاف الأجناس والبيئة والمناخ والطبيعة كل هذا الإختلاف ، وقد أحسن الأستاذ محمد لطفي جمعة حين قال في توضيح ذلك[1] : هل يكفي أن يكون لأمتين أو ثلاث بداوة وحضارة وفتوحات حتى تتشابه تماماً ، إن هذا القول يجعل صاحبه في صف من يدعي المشابهة بين سقراط وقحطان ويوليوس قيصر لأن كلا منهما ولد وعاش ومات وكان له رجلان ووجه وصدر ويدان ، حقاً إنهم يتشابهون من حيث أنهم أفراد من نوع واحد ولكن ما أعظم البون بينهم من حيث تكوين الجسم والعقل والفؤاد . ونضيف إلى ذلك أن من البرهان الواضح على فساد هذا التطابق المزعوم أن الشعر الجاهلي كان غنائياً وأن شعر البداوة في اليونان كان تمثيلياً ، وكذلك اتجه النقد وجهة الانتاج في كلتا الأمتين ، فعلينا إذن أن نكف عن تمحل المقارنات البعيدة حين نتكلم عن طبيعة النقد الجاهلي لنأتي البيوت من أبوابها .

إن النقد الأدبي في العصر الجاهلي مما تتطلبه الضرورة الملحة فلا مجال

---

(١) الشهاب الراصد ص ١٦٩ .

لإنكاره أمام المنطق الطبيعي للأشياء، إذ أن النقد في لبابه أمر غريزي يحسه الإنسان من نفسه في كل أمر يزاوله ، فكل من يسمع حديثاً - ولو كان من أحاديث العامة - يزنه بميزانـــه ويدرك لفوره مبلغ صحته أو خطئه وإذا وجدت القصيدة الجاهلية أو الخطبة أوالقصة فقد وجد سامعها الذي يستقبلها معبراً عن أثرها بالإرتياح أو الإنقباض ، وهذا التعبير وليد نقـــد صامت أو ناطق يميل بصاحبه إلى إتخاذ موقف خاص إزاء الأثر المسموع ، وإذن فقد ولد النقد عقب ميـلاد النص مباشرة ، فما تُلقى قصيدة جاهلية إلا تصادف موقعاً من سامعيها وإذا كان العرب بفطـرتهم أرباب فصاحة وبيان فإنهم يملكون أداة النقد الفطرية بما في طباعهم من استحسان الجيد واستقباح الرديء في دنيا البيان .

وإذا كنا نلحظ أن القصيدة قد اتخذت خطوات متتابعة في طريقـــة النضج حتى انتهت إلينا على سننها المعروف ، فإن هذه الخطوات التي بدأت من الحداء وانتقلت إلى السجع ثم إلى الرجز ثم إلى البيت وإلى الأبيات حتى استوى هيكلها في نحو ما قاله المهلهل أو سواه ، فإن هذه الخطوات المتأنية والمتنقلة من منزلة إلى منزلة، لم تكن إلا وليد مراجعة نقدية من الشاعر حيناً ومن السامع حيناً حتى وصلت بالقصيدة إلى وضعها المألوف ، وقد ضاعت الخطوات الأولى في طريق النقد كما ضاعت النماذج الأولية من الإنتاج الشعري ولكن هذا الضياع لا يعدم حقيقة هذا الشعر وهذا النقد فهو جذور تضرب في الأعماق ، وقد أينعت ثمارهـا بظهور القصيدة المكتملة في شبابها الزاهر ، المنبىء عن طفولة مرت وصبا زال .

هذه ناحية عقلية تثبت وجود النقد لدى العرب من الجاهليين ، نضيف إليها ناحية ثانية تتجلى في هذا التنقيح الدائب لدى الحوليين من الشعراء وهم الذين كانوا ينتجون القصيدة مهذبة منقّحة في مدى بقرب من الحول ، هذا التنقيح وليد نقد ذاتي يقوم به الشاعر بينه وبين نفسه حين ينظم الأبيات ثم ينظر إليها نظرة التنقيح ، فقد يسقط لفظاً ويضع آخر مكانه وقد يرتفع بمعنى من درجة إلى درجة أعلى ، وقد يسقط غرضاً من الأغراض يراه كالزيادة

الناشئة فيما قال ، ولن يكون هذا غير نقد ذاتي يهتدي به الشاعر ليصل إلى مستوى مشرف ، وقد يُسمع الشاعر الجاهلي أصدقاءه وحواريّه تجاريبه الأولى للقصيدة (أو مسودتها كما نقول الآن) ليتلقى آراءهم ، ويستجيب إلى نقدهم ، إن لمس فيه الصواب فيعدل بما قال إلى غــــير وجهته الأولى لفظاً أو معنى أو غرضاً وما يزال في دور التنقيح يمحو ويثبت حتى يقول الحولية الرائعة. وإذا كانت عبارة الحولية تتجه إلى زهير بن أبي سُلمى أول ما تتجه، فإن هناك من الشعراء من كانوا يقاسمونه الروية والتؤدة والتنقيح وقد عرفوا في تاريخ الأدب باسم « عبيد الشعر » ومنهم النابغة والأعشى وأوس بن حجر وما استعبد الشعر هؤلاء الأفذاذ إلا بفرط ماأرهقهم التنقيح والتغيير استجابة إلى نقد أدبي خارجي أو داخلي .

لقد كان النقد إذن في العصر الجاهلي حقيقة موجودة لا سبيل إلى انكارها وإيماننا بهذه الحقيقة الطبيعية يجعلنا ننظر إلى مـــا رددته كتب الأدب من أخبار هذا النقد نظرة التؤدة والتريث ، فقد دأب قوم من الباحثين على توهين كل أثر جاهلي في مضمار النقد بافتعال متكلف يروق المتسرع المعجول ويرى فيه ضربا من النظر المثقف العميق، ولكن الدارس المتمهل لا يلبث أن يعرف موضعي الانتحال والحقيقة فيما يقال ، ومعنى ذلك أن هناك نقداً منتحلا ، وهناك نقداً حقيقيا غير منتحل. كما أن هناك نقداً التبس فيه الانتحال بالحقيقة ، وهنا موضع الخطر ، لأن الدارس المتعجل قد يعصف به جميعه لأمور يراها فيما أضيف وافتعل ، أما الدارس المتمهل فيزن كل شيء بميزانه ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما الصحيح فيأخذ حقيقته الثابتة دون تزييف .

ولنضرب المثل على ذلك لنعرف كيف يختلط الزائف بالصحيح ، ويأتي من النقاد من يزيف الزائف ليعصف به وبالصحيح معاً، وكان في التأني ما يمنع هذا الشطط السريع .

جاء في « الموشح »[1] لأبي عبيد الله بن عمران المرزباني ما نصه :

---

(١) الموشح ص ٦٠ المطبعة السلفية .

(وأخبرني الصولي قال حدثني محمد بن سعيد ، ومحمد بن العباس الرياشي عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان النابغة لذبياني تضرب له قبة بسوق عكاظ من أدم فتأتيه الشعراء ، فتعرض عليه أشعارها ، فأتاه الأعشى فكان أول من أنشده ، ثم أنشده حسان بن ثابت قصيدته التي منها :

لنا الجفنات الغرُّ يلمعن بالضحى   وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابنَيْ محرق   فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة : أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك ، قال الصولي : فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة وديباجة شعره قال : أقللت أسيافك لأنه قال وأسيافنا ، وأسياف جمع الأدنى من العدد ، والكثير سيوف ، والجفنات لأدنى العدد ، والكثير جفان ، وقال : فخرت بمن ولدت ، لأنه قال ولدنا بني العنقاء وابني محرق ، فترك الفخر بآبائه وفخر بمن ولد نساؤه ، وقال ويروى أن النابغة قال له أقللت أسيافك ولمعت أجفانك فكأن النابغة عاب عليه هذه الجفان ، وذهب إلى أنه لو قال الجفان البيض ، فجعلها بيضا ، كان أحسن ، فلعمري انه أحسن في الجفان الا أن الغر أجل لفظاً من البيض.

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني : وقال قوم ممن أنكر هذا البيت في قوله يلمعن بالضحى ولم يقل في الدجى ، وفي قوله: يقطرن ولم يقل يجرين لأن الجري أكثر من القطر وقد ورد هذا القول واحتج فيه قوم لحسان بما لا وجه لذكره في هذا الموضع .

هذا ما جاء في «الموشح» وبقراءة هذا النص نرى انه يتضمن أقوال ثلاثة من النقاد ، والناقد الأول النابغة وينتهي نقده عند قوله: ولم تفخر بمن ولدك، والناقد الثاني هو الصولي وينتهي نقده عند قوله: أجل لفظاً من البيض والناقد الثالث هو المرزباني صاحب «الموشح» وينتهي قوله بانتهاء النص، ولكن مرور الزمن بهذه الأقوال على السن الرواة والباحثين ، جعل بعض الناقدين يفهم انها جميعها للنابغة وحده ، فينهال عليها توهينا وتضعيفا ، وكل أسبابه في ذلك

ترجع إلى ما لم يقل النابغة بل إلى ما قال الصولي والمرزباني ، وقد كان المرحوم الأستاذ طه أحمد ابراهيم أول من كتب في تاريخ النقد العربي كتابة لا تزال أوفى وأدق وأوضح ما قيل في موضوعها ، وما قرأتُ ما كتب في ذلك ـ رحمه الله ـ الا وبكيت شبابه الغارب، ورحيله المتعجل، وأسفت على ما فات النقد من جهده النابغ المطبوع، وألمعيته القادرة الناقدة وقد ذهب مع من يذهبون إلى أن النقد جميعه للنابغة ، وانبرى يوهن الرواية جميعها بمثل قوله :

(عيب على حسان أن يفتخر فلا يحسن الافتخار ، وأن يؤلف بيته من كلمات غيرها أضخم منها في المعنى وأوسع مفهوما ، ترك الجفان والبيض والاشراف والجريان واستعمل الجفنات والغر واللمعان والقطر وهي دون سابقتها فخراً ، وعيب عليه ذلك وتختلف القصة طولا وقصراً ، وتختلف فيها وجوه النقد وكل ذلك تأباه طبيعة الأشياء ، وكل ذلك يرفض رفضاً علميا من عدة وجوه .

١ ــ لم يكن الجاهلي يعرف جمع التكسير وجمع التصحيح وجموع الكثرة وجموع القلة، ولم يكن له ذهن علمي يفرق بين هذه الأشياء كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه ، ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم ، وعرف الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ وألمّ بشيء من المنطق .

٢ ــ ولو أن هذه الروح جاهلية لوجدنا أثرها في عصر البعثة يوم تحدى القرآن العرب ، فأفحمهم إفحاماً فقد لجؤا إلى الطعن عليه طعناً عاماً ، فقالوا : سحرٌ مفترى ، وقالوا : أساطير الأولين ، ولو ان لديهم تلك الروح البيانية لكان من المنتظر أن ينتقدوا القرآن على نحوها ، وان يفزعوا إليها في تلك الخصومة العنيفة التي ظلت نيفاً وعشرين عاماً ، هذا إلى أن تلك الروح في النقد لا أثر لها في العصر الإسلامي لا عند الأدباء ولا عند متقـــدمي النحويين واللغويين .

٣ ــ على ان من نحاة القرن الرابـــع من لم يطمئن إلى ما سبق فأبو الفتح عثمان بن جنى يحكي عن أبي علي الفارسي انه طعن في هذه الحـكاية وهذه

الزيادات لا تثبت للروح العلمية ولا للتاريخ ، وبعيد كل البعد أن توجد ملكة الفكر في النقد الجاهلي وأن توجد على هذا النحو الدقيق الذي يحلل ويوازن ، ويفرق بين الصيـغ تفريقاً علمياً .

هذا ما قاله الأستاذ طه أحمد ابراهيم ، وقد ألم فيـه بإنكار أبي علي الفارسي وأبي الفتح ابن جنى معه لمضمونها العلمي ، ومكان الخطأ عند هؤلاء الثلاثة انهم اعتبروا كلام الصولي والمرزباني مما قال النابغة فأنكروا ان يـلم الناقد الجاهلي بمصطلحات جموع التكسير والتصحيح والكثرة والقلة وغيرها ، ونحن معهم في أن الجاهلي الناقد لا يعرف شيئاً عن مصطلحات هذه الجموع ، ونزيد على ذلك أن النابغة لم يذكرها في شيء حتى تعصف بتوثيق روايته وكل ما قاله النابغة هو : (أقللت جفانك وسيوفك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك) فأين هي مصطلحات هذه الجموع ؟ إن العربي الناقد يدرك بفطرته الأدبية ، أن لفظ الأسياف في منطق لغته يوضع للقلة وأن لفظ السيوف يوضع للكثرة وهو حين ينشيء قصيدته يعمل على أن يتكلم بما تـُعورف لدى الناس من أوجه الكلام ، كما يدرك رفع الفاعل ونصب المفعول فيأتي بالأعراب على هذا المقتضى دون أن يلم بشيء من قواعد النحو ، فإذا اتفقنا على أن النابغة كان ينطق بالعربية الصحيحة عن طبع ، وكان يضع الألفاظ موضعها الصحيح عن سليقة ، فهو لا محالة بمقتضى هذا الطبع وبوحي هـذه السليقة يتنكر لما يشذ وينبو عن مقياسه الفطري المطبوع ، فللنابغـة أن ينكر الأسياف والجفنات مؤثراً غيرهما لانه لو كان مكان الشاعر ما تورط فيما ينقص قومه في موضع الفخر ، وبمراعاة ذلك يظل ما نسب للنابغة شاهـداً على صحة الفطرة في النقد الجاهلي وارتكانها إلى طبع أصيل ؟ ولماذا إذن يتصدر في سوق عكاظ للحكومة بين الشعراء إذا فاتته دلالة الألفاظ الجاهلية على مدلولها الصحيح .

لدينا إذن نقود جاهلية تعرضت إلى صميم الشعر ، ولدينا أيضاً بعض الشكوك التي تحاك حول هذه النقود ، وسبيلنا الآن ان نروي بعض الأمثلة لذلك مضافاً إلى ما تقدم من حكم النابغة على حسان :

١ – قال صاحب الموشح :

كتب إليّ احمد بن عبد العزيز الجوهري أخبرنا عمر بن شبة قال : تنازع امرؤ القيس بن حجر ، وعلقمة بن عبدة وهو علقمة الفحل في الشعر أيهما أشعر ، فقال كل واحد منهما : أنا أشعر منك ، فقـــال علقمة قد رضيت بامرأتك أم جندب حكماً بيني وبينك ، فحكماها فقالت أم جندب لهما : قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة ورويٍّ واحد ، فقـــال امرؤ القيس :

خليلي مُرّا بي على أم جندب   نقضّ لباناتِ الفؤاد المعـذب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران في كل مذهب   ولم يك حقاً طول هذا التجنب

فأنشداها معاً القصيدتين فقالت لامريء القيس : علقمة أشعر منك، قال وكيف ؟ قالت : لانك قلت :

فللسوط الهوبٌ وللســـاق درة   وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك ومريته فاتعبته بساقك، وقال علقمة :

فأدركهن ثانيـــاً من عنانه   يمر كمر الرايـــح المتحلب

فأدرك فرسه ثانياً من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه ، فقال : ما هو بأشعر مني ولكنك له عاشقة وطلقها ، فخلف عليها علقمة فسمى الفحل لذلك .

هذه رواية من روايات عدة تزيد وتنقص ولكنها لا تكاد تختلف في مضمون النقد الأدبي لبيت امريء القيس، وقد آثرتها على غيرها لقربها مما يعقل أن يكون؟ مع تعرضها للشك لدى بعض الرافضين فمن قائل: مَنْ أم جندب هذه التي تجلس مجلس الحكومة بين شاعرين كبيرين؟ وتصدر حكمها المعلل ثم لا يدري التاريخ شيئاً عنها. ومن قائل: كيف تنص على وحدة الروي والقافية فتدعو الشاعرين

إلى اتفاقهما، مع أن الروي والقافية من المصطلحات البعيدة عن العصر الجاهلي؟ ومن قائل : إن الرواة قد اختلفوا في نسبة قصيدة علقمة فمضى بعضهم بها إلى غيره، مما يضعف الميل إلى وقوع الموازنة أصلاً، وهذه أقوال لا تعصف بحقيقة القصة ويمكن الرد على القول الاول بأن خمول اسم أم جندب مع ملكتها الناقدة، لا يمنع حقيقة وجودها، بدليل خمول شاعرات مختلفات وشعراء أيضاً من الرجال رويت أشعارهم دون اسمائهم ، ولم يمنع ضياع الاسم أن يذيع الشعر وينتشر دون معرفة شيء عن القائل ، مع أن جمهرة الناس أحرص على معرفة الشعراء أكثر من حرصهم على معرفة النقاد ، وفي طوايا الكتب الأدبية آراء قيمة لإناس كثير لا نعرف عن تراجمهم شيئاً غير الاسم فقط فهل يحول جهل هذه التراجم دون توثيق ما ينسب إليهم من الآراء ؟ لقد أصدرت أم جندب حكمها ورمت به في سمع الزمن ، ولا عليها أن تجهل سيرتها بين الناس، كما لا يقلل من حكمها أن ينسب إلى امرأة غير شهيرة ، أما المتعجب من نصها على القافية والروي وإلزامها الشاعرين أن يجري كلاهما فيها على نسق متفق مع أن هذين اللفظين من المصطلحات المستحدثة فيما بعد العصر الجاهلي ، فنحن نقول له : إن العربي الجاهلي – فضلاً عن الناقد – كان يألف القصيدة العربية ويعلم أن أبياتها تنتهي بحرف لا يتغير كالباء أو التاء وبشكل لا يتغير كالضمة أو الفتحة أو الكسرة ، وأم جندب لم تطلب غير الموافقة في هذا الحرف الأخير الذي لا يتغير لفظاً أو شكلاً ، وهو أمر تسهل ملاحظته لدى العامة من السامعين ، فتعذر النطق بالمصطلح المعروض لا يمنع النطق بفحواه ومضمونه ، وهذا ما عنته أم جندب ، كما ان اختلاف بعض الرواة دون الكثرة الغالبة في نسبة القصيدة لا يعصف بحقيقة الموازنة ، فبعض ما نعرف من الشعر العربي قد نسب إلى غير قائله خطأ ، فلم يمنع خطأ الواحد من صحة الآخرين ، هذا رأينا فيما دار من شك حول هذه الموازنة ، أما حقيقتها النقدية فتعطي وجهة نظر لناقدة جاهلية ترى امرأ القيس قد أجهد فرسه حين ألحّ عليه بالزجر والضرب بالسوط وتحريك الساقين ، أما علقمة فقد ركب مستريحاً ناعماً متنعماً لا يرهق نفسه بكدّ ، ولا عليها إذا

خالفها غيرها في ذلك فرأى أن امرأ القيس لا يقصد بذكر السوط والساق والزجر أن يصور جهده الجسمي إنما يدل بذلك على مبلغ عنايته برياضة فرسه وتأديبه ، وإن عنده أفانين من الجري وفق ما يمليه عليه راكبه من زجر وضرب وتحريك ، لقد صدرت المرأة الناقدة عن ذاتها وعللت نظرتها بما يؤيد قولها ، ولن تجبر أحداً على موافقتها وحسبها أنها أبانت عما تحس وتريد وهذا نقد نتبعه بغيره مما يروى فإليك :

٢ – مر المسيب[١] بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم:

ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم ... نحييك عن شحط وإن لم تكلم

فلما بلغ قوله :

وقد أتناسى الهم عند ادكاره ... بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال طرفة وهو صبي يلعب مع الصبيان (استنوق الجمل) فقال المسيب : ياغلام إذهب إلى أمك بمؤبدة أي داهية؟ ثم سأل: من أنت؟ فقال:(طرفة بن العبد)،قال: ما أشبه الليلة بالبارحة!! يريد ما أشبه بعضكم في الشر من بعض).

ثم ذكر صاحب الموشح رواية أخرى توجه نقد طرفة إلى عمرو بن كلثوم في حضرة عمرو بن هند ، إذ وصف جملاً بما توصف به الناقة فقال طرفة استنوق الجمل ، ونحن لا يهمنا المنقود قدر ما يهمنا دلالة هذا النقد على بصر بمنازع الكلام ودقة تحري الألفاظ ووجوب وضعها موضعها الصحيح ، وقد دافع قوم عن المسيب بأن الصيعرية كانت لدى بعض القبائل من سمات الإبل ذكوراً وإناثاً فلا وجه لتخطئته حين صدر عن منطق قبيلته ، ولعل ما يضعف ذلك أن المسيّب لم يحتج لصواب استعماله بل التجأ إلى السباب وحده، ولو كان الحق معه لأبانه في قوة لا أن يقول: ما أشبه بعضكم في الشر من بعض !! ويسكت .

---

(١) الموشح ص ٧٦ .

٣ ـ تحاكم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدي إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر أيهم أشعر، فقال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيئاً فينتفع به، وأما أنت يا عمرو فشعرك كبرود حِبَرٍ يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مخبل فشعرك قصر عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر [1].

هذه الحكومة الناقدة كما تدل أسماء أصحابها وقعت في ختـــام العصر الجاهلي بعد أن انتشر التحاكم الأدبي بين الشعراء واتسع القول للموازنة بينهم، وقد كان ربيعة بن حذار الأسدي كما يظهر من اسلوبه دقيقاً أنيقاً، دقيقاً، لأنه فصل الحكم تفصيلاً عاقلاً محكماً، وأنيقاً لأنه صاغ آراءه في معرض بياني بليغ، فصدر في ذلك عن روح أديب موهوب يعتمد على الصورة الفنية في جلاء الفكرة النقدية، فحين قال عن شعر الزبرقان: انه كلحم أسخن دون أن ينضج فيؤكل أو يترك نيئاً فينتفع به، إنما أراد أن ينزل به الجودة إلى الضعف فهو كلام كاللحم الساخن الذي لم يترك تحت النار حتى ينضج، ومعنى ذلك أن الشاعر لم يصل بعد إلى مستوى يسمح له عنده الشعر، وحـين قال ربيعة عن شعر عمر بن الأهتم: انه كبرود حبر يتلألأ فيهـا البصر وكلما أعيد فيها النظر نقص بريقها شيئاً فشيئاً إنما يعني نمطاً من القول يعجبك رواؤه فور مشاهدته بما يخدع من رنين وجزالة ثم تعاود قراءته فتجد ألفاظه المرنة لاتحمل من المعاني كفاء ما جلجلت به من الصوت وإذ ذاك يضيع بريقها الشيء بعد الشيء، وتلك دقة فاحصة من الناقد ترتفع به على أناس يشتهرون بالنقد عن قعقعة صاخبة دون قول مثمر، أما قوله عن المخبل: ان شعره قد قصر عن زملائه وارتفع عن سواهم فيحمل من الصراحة الواضحة ما ينبىء عن صدق غير مدخول. وقـــد حكم بالتقدم لعبدة بن الطبيب عليهم جميعاً حين قال عنه: أما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحـكم خرزها فليس

---

(١) الموضح ص ٧٥.

تقطر ولا تمطر)، ومعنى هذا القول أن عبدة بن الطبيب قوي الشعر محكمه، لا يتهافت ولا يرك في ناحية من كلامه فهو موضع التقديم على زملائه المتنازعين.

٤ – روى الشعبي أن النابغة الذبياني قال للنعمان [١]:

تراك الأرض إما مت خفا وتحيا إن حييت بها ثقيلا

فقال له النعمان: هذا بيت إن أنت لم تتبعه بما يوضح معناه كان إلى الهجاء أقرب منه إلى المديح، فأراد ذلك النابغة فعسر عليه، فقال: أجلني، قال قد أجلتك ثلاثاً، فإن أنت اتبعته بما يوضح معناه فلك مائة من النوق العصافير فأتى النابغة زهيراً فتلكأ في الإجازة، وكان كعب بن زهير حاضراً فقال لوقته:

وذاك بأن حللت العز منها فتمنع جانبيها أن يزولا

فقال النابغة: جاء بها ورب الكعبة، لسنا والله في شيء!.

هكذا قيل، ولكن مما يوهن هذه الرواية أن يلجأ مثل النابغة إلى زهير ليستعين به، ثم يقف زهير عاجزاً دون الإجازة حتى يقوم بها الشاعر الناشيء كعب، وربما يكون النعمان قد لحظ ما في بيت النابغة من مأخذ فقال ماقال ثم قام الشاعر بإستدراك موقفه بعد بطء أو عن بديهة سريعة. على أننا لانجل النابغة – على زعامته وامامته – عن النقد، فقد ظهر الاقواء في شعره حين قال:

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبّرنا الغراب الأسود

فدخل الحجاز فغنت قينة بذلك وهو حاضر، فلما مَدّت بصوتها الدّال المضمومة من لفظ الأسود فطن الشاعر إلى عيبه فأصلحه بقوله: « وبذاك

(١) الموضح ص ٤٦.

تنعاب الغراب الأسود[1] . ومع أن هذه القصيدة مما مدح به النعمان بن المنذر فليست إذن من أوائل شعره إنما قالها الرجل بعد اشتهاره وذيوع ذكره ، أقول مع ذلك فإن الشاعر – أي شاعر قديماً وحديثاً – قد يخطيء عن غير قصد فيما يعرف وجه الصواب فيه ، فإذا رُوجع فيما كبا به – وقد يكون من الوضوح بحيث يتعجب منه – راعه أن يكبو هذه الكبوة البلقاء وذلك ما نشهده عياناً لدى المفلقين من رجالات البيان ، والإنسان هو الإنسان .

هذه بعض النماذج المأثورة للنقد في العصر الجاهلي وقـــد يضاف إليها ما خلعوه على الشعراء من وصف موجز كأن يقولوا تارة عن عدي بن ربيعة انه المهلهل يعبرون بذلك عن توسعه في القول وإمتداد نفسه ، وتارة يقولون عنه إنه يبالغ في القول ويدعي فيه بأكثر مما يفعل ، وكأن ينشدهم علقمة بن عبدة قصيدته التي مطلعها :

(هل ما علمت وما استودعت مكتوم ؟) ثم ينشدهم قصيدته الـــتي يبتدئها بقوله :

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشيب ، عصر حان مشيب

فيقال له : هاتان سمطا الدهر ، وقد لقبوا النمر بن تولب بالكيِّس لحسن شعره ، وسموا طفيل الغنوي طفيل الخيل لبراعة وصفه إياها ، كما طاروا سروراً بقصيدة سويد بن كاهل اليشكري :

بسطت رابعةَ الحبل لنـــا فوصلنا الحبل منها ما اتسعْ

وكل ذلك عن إعجاب يحس السامع أثره في نفسه ، والذي يطلق لفظ المهلهل أو المرقش على صاحب ضرب خاص اشتهر به من ضروب القول إنمـا يعقد صلة بين الوصف والموصوف . وقد جرى الباحثون على أن يصفوا النقد في العصر الجاهلي بالإرتجال القائم على الإحساس بأثر الشعر في النفس ، وبالإعتماد على الذوق الفني المحض دون ما يدفع اليه الفكر من الإستنباط والتحليل ،

(١) الموشح ص ٣٩ .

وبالنظر الجزئي الواقف عن إستحسان البيت أو الكلمة دون الإنتقال إلى القصيدة كعمل متكامل . ويرون ذلك مما يناسب طبيعة العصر وروح البيئة والثقافة الجاهلية ، ولنا عند بعض هذه الأوصاف وقفة يسيرة تبين مـــدى ما نعتقده فيه من الإسراف أو الإعتدال إذ لا يخلو الأمر من التباس .

لقد عدوا من سمة النقد في هذا العصر الإرتجال . وهو وصف إن صدق على بعض النقود المأثورة لا يصدق على جميعها دون نزاع ، فقد يكون طرفة ابن العبد ارتجل قوله:استنوق الجمل حين سمع بيت المسيب بن علس كما سمحت به بديهته ، وقد يفطن السامعون لأول وهلة إلى الإقواء في شعر النابغة دون حاجة إلى مراجعة فيأخذون عليه ما يأخذون ، وقد تجود خواطرهم بأوصاف فورية حين يقولون عن قصيدة : انها سمـــط الدهر وانها اليتيمة ولكن ذلك ليس كل ما جاء عنهم في هذا السبيل ، فأم جندب حين استمعت إلى قصيدتي علقمة وامرىء القيس وأصدرت حكمها المفصل في وصف الفرس لم ترتجـــله ارتجالا بل رجعت إلى فكر يفحص ثم إلى تعبير يبين ، وقد تكون ممن قد جار في الحكم لدى بعض الناظرين ، ولكن ذلك لا يوجب إرتجالها للنقد بل ربما دعاها الجور إلى التماس تبرير يطول وقته بعض الشيء ، ومن المستبعد أن يقول ربيعة الأسدي للزبرقـــان : إن شعرك لحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا صار نيئاً فينتفع به. وأن يقول لعمرو بن الأهتم : إن شعرك كبرود حبر يتلألأ فيها البصر ثم إذا عاود النظر نقص.وأن يقول لعبدة:إن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليست تقطر ولا تمطر ، من المستبعد أن يرتجل ذلك إرتجالاً ، فربيعة لا محالة قد أطال التفكير فيما سمـــع حتى اهتدى إلى ما قال ، ثم هو لم يُصدر حُكمه تقريرياً في ألفاظ قريبة إنما إختار لرأيه من صور البيان ما يظهره في أبهى المعارض وأنصع الألوان ، ومهما كان العربي رجل السليقة والطبع فإن اللفظ المتخير والصورة الرائعة لا تتاح عفواً لكل ناقد كما يشاء ، ومن حديث ربيعة نعلم أن النقاد في أخريات العصر الجاهلي قـــد ارتقوا إلى ضرب من القول يعمد إلى التأثير الإنفعالي بالصورة المعبرة واللفظ الموحي ، وقد اطرد ذلك إلى ما بعد البعثة المحمدية حيث استمع الوليد بن المغيرة إلى

رسول الله ﷺ حين تلا عليه بعض آيات الذكر الحكيم فلم يملك أن يقول : « والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعـــلاه وان أسفله لمغدق[1] » ، وكما أن من المستبعد أن يحكي النابغة لحـــان هذا التعليل دون تريث في النظر أو اتـئاد في التفكير ، وإذن فالقول بأن الإرتجال العفوي سمة النقد في هذا العصر يحتاج إلى تحديد يقصره على البعض دون الجمع .

وقد قالوا: ان النقد الجاهلي يعتمد على النظر الجزئي الواقف عند استحسان البيت أو الكلمة دون الإنتقال إلى القصيدة كعمل متكامل ، وذلك مما يناسب طبيعــة العصر ، والحــكم بذلك على أوليات العصر وأخرياته معاً لا يخلو من ظلم، لأننا نعرف أن في أخريات هذا العصر وجد أناس قد تفرغوا للتنقيح والروية والمعاودة ، تفرغاً لا يسرعه الإعجال ، فزهير مثلاً كشاعر ينظم قصيدته في أمد طويل، ثم ينقحها كناقد في أمد مماثل ، ولا بد أنه في تنقيحه لايقف عند استحسان البيت والكلمة بل يراجع القصيدة جميعها ككل مراجعة لا تعفي لفظة أو جملة ، وقد تكون القصيدة متعددة الأغراض ، فاقدة وحدتها الموضوعية ، ولكن ذلك شيء والنظر الجزئي الناقــد شيء آخر ، بل إن مراعاة الوحدة في الروي والقافية تضع الإطار المحدد للنظرة الكلية في القصيدة ، ومن المؤسف أن هذا العصر قد فَقَـد رواة النقــد كما عرف رواة الشعر إذ لو تناقل الناس ماأثر عن النقاد حول كل قصيدة لأمكننا أن ننصف النقد الجاهلي ، بمـــا يستحق ، وقد لاحظنا فيما تقدم من هذه النماذج النقدية وغيرها أن بعض أصحابها شعراء ونقاد معاً ، كالنابغة وطرفة، وهذا ما يدل على ازدهار النقد إزدهاراً حقيقياً حيث رددته المجالس وتناقلته الأندية لوقته ثم فقد الرواة ، إذ عكفوا على الشعر لأنه الوثيقة الحية الـــتي يدور حولها كل ما يقال ، وأنت تلمس أثر النقــد الذاتي الجاهلي في أكثر ما قال زهير والنابغة من شعر محكم رصـين ، يعتمد على الروية والمعاودة ذات

---

(١) كتب السيرة والتفسير عند قول الله في سورة المدثر (ذرني ومن خلقت وحيدا).

التنخل والإسقاط . واقرأ إن شئت قول زهير في وصف الحرب :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو   وما هو عنها بالحديث المرجّم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة   وتضر إذا أضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها   وتلقح كشافا ثم تُنْتَج فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم   كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقول النابغة :

فبت كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمُها   لحلي النساء في يديه قعاقع
فان كنت لاذا الضغن عني منكلا   ولا حلفي عند البراءة نافع
فإنك كالليل الذي هو مدركي   وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة   تمد بها ايد اليك نوازع

فهذان النصان لدى الشاعرين لا يدلان على نظر جزئي قاصر بل يرشدان الى سعة في الافق وامتداد في القول : فزهير يتحدث عن الحرب في ادوارها المختلفة حديثاً متتابعاً يدل على بصر بالتسلسل، واعتناء بالربط المتتابع. وهو بلا شك ينكر على غيره ما يقعون فيه من التسرع العاجل ذي النظر المحدود والقول المبتسر ، والنابغة حين يتحدث عن قلقه ومخاوفه يطرد بك اطراداً محكماً في نسق يتصل اتصال الحلقات المسترسلة. وهو اذا حرص على ذلك في شعره – كنموذج رائع للقول الجيد – انما يحرص عليه في اشعار المتحاكمين اليه حين يطرحون آثارهم بين يديه في عكاظ ، وضياع أكثر الامثلة الناقدة الدالة على النظر الممتد لا يمنع وجودها في حينها ، وبخاصة اذا كان الناقد كالنابغة صاحب مذهب في الشعر يميل به الى التقصي المتئد دون استعجال ، ولنا بعد هذه المناقشة الهادفة أن نقول : ان النقد الجاهلي اولاً قد يعتمد على الارتجال السريع، وقد يميل الى التريث البصير كما انه – ثانياً– يكتفي بالنظرة الجزئية لدى قوم ، ويهدف الى البيان الكلي لدى آخرين ، لما تدل عليه كثرة المراجعة والتنقيح من النظر الشامل لدى من يعرفون في تاريخ الأدب العربي

(بعبيد الشعر) وهو وصف مجحف ظـــالم كاد أن يكون اصطلاحاً ادبياً لكثرة تداوله. اذ أن كلمة العبد تلقى من ظلال الاسر والتقييد مالا يجدر أن نطلقه على شاعر حر يعيش في اجواء واسعة من التأمل والتصوير ، كما أن هذا النقد يعتمد ثالثاً على الاحساس القوي بما يحدثه الاثر من انفعال مستند الى الذوق الفني الموهوب ، هذه الخصائص الثلاث المحتاطة المتحرزة تنصف ناقدي الجاهلية ممن يحاولون أن يجعلوا من الارتجال السريع، والنظر الجزئي والابتعاد عن الفكر المنظم احكاماً لازمة ملازمة لا تضيق ولا تنفرج. وقد احتاط بعض الكاتبين حين قال عن طبيعة النقد في هذا العصر بعدما وصفه بالارتجال :

« وأنه ليس في أكثر تلك الاحكام ما ينبيء عن النظرة الفاحصة أو الدارسة الممعنة ، التي ينشأ عنها الرأي الذي يدعمه البرهان ، وتؤيده الحجة ويستعان عليه بالدراسة الواسعة والعقلية المستنيرة ، والتفكير المثقف، لأن التماس العلل والبحث عن الأسباب الحقيقية لظاهرة من الظواهر المادية والمعنوية كان أبعد ما ينتظر في هذه البيئة التي فتكت بها الاحقاد، واستعر بها الخصام وأصبحت مسرحاً للثارات وميداناً للاشتجار والغارات فخاصم الكرى جفون أهلها وفقد الأمن سبيله إلى عقولهم ومن ثم لم يكن تفرغ للبحث في علم أو فن . »(١)

أقول ان الكاتب الفاضل قـــد احتاط حين قال : ان أكثر تلك الأحكام النقدية تخلو عن النظر الفاحص والدرس الممعن ، فلم يجعل الحكم شاملاً للجميع بل للأكثر فقط ، ومع هذه الحيطة فقد فاته التدقيق في موضعين ، حين جعل من اشتجار الحروب وكثرة الغارات واستعار الخصام، ما يمنع التفرغ والبحث، لأن الحروب تشتعل في كل زمان ومكان دون أن تصرف الباحثين عما يزاولون من بحوث ، وقد قامت حرب البسوس وحرب داحس والغبراء وغيرهما من أيام العرب دون أن يستطيع شيء من ذلك أن يصرف الناس عن اجتماع عكاظ، واجتماع الشعر وتصدر النابغة للحكم الأدبي على كل ما يسمع من قصائد ، بل اننا نقول: ان وجود غيرها من الأسواق في هذا العصر المتأخر مهما حفلت

---

(١) الدكتور بدوي طبانة : دراسات في الادب العربي ص ٤٥ .

تقويمٌ جديدٌ للدّعوة العبّاسيّة

٩٨هـ-٧١٦م - ١٣٢هـ-٧٤٩م

إن(*) الباحث في تاريخ الدعوة العباسية بين طيات كتب المؤرخين المسلمين الرواد كالبلاذري والطبري واليعقوبي والدينوري والمسعودي وغيرهم لا يلاحظ تفسيراً لطبيعة الدعوة ولا نقداً لواجهاتها المتعددة، ولا إيضاحا للشمارات التي

بالتجارة والمفاخرة ممـــا تقدم الدليل على حيوية النقد الجاهلي وازدهاره في أخرياته والا ففيم يتخاصم الشعراء ويتحاكمون؟ وعلام غضب حسان على النابغة حين فضل عليه الخنساء حتى تطاول قائلاً: انه يفوق الحكم في نظم القريض ؟ وكيف يقول الكاتب الفاضل مع اهتمامه بموضوعه اهتماماً نَمّ عن جهد مشكور إن هذه الحروب قد منعت التفرغ للبحث في علم أو فن، ونحن نعلم ان الشعر فن جاهلي عريق قد ساعدت الحرب على اذكائه واتقاده فانصرف الشعراء إلى تاريخ أيامهم الحافلة بالوقائع والأهوال، بحيث لا يخلو أكثر المعلقات المختارة من هذا العصر من حديث الحرب والغارة والنصر والصلح والدية والصيال فكيف تشغل الحرب إذن عن كل فن ؟ الحق اننا نظلم النقد الجاهلي حين نشمله جميعه بالجزئية والارتجال ، ثم نقول : ان الحرب قد الهت كثيراً عن الفن مع أن ما لدينا من شعر الجاهلية فن كثير ، ولعلنا بهذا النظر المتريث ننصف بعض العبقريات الناقدة التي غابت شمسها وراء الزمن فلم تترك غير شعاع يتخايل وميضه ليدل على ما كان في ذلك العصر البعيد من توهج واشراق .

القاهرة : الدكتور محمّد رجب البيّومي

المدرس بكلية اللغة العربية

(*) القيت هذه المحاضرة مساء يوم الاحد الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٣٨٨هـ في سلسلة محاضرات الموسم الثقافي الثاني لجمعية التاريخ والاثار وذلك في قاعة المحاضرات العامة بالمكتبة المركزية .

طرحتها بين الناس وانما جمعاً لروايات عن شخصيات قامت بها وسرداً لحوادثها البارزة وتطوراتها سنة بعد أخرى وشهراً فشهرا .

على هذه الصفة كانت عامة حوادث التاريخ الاسلامي وغير مقتصرة على الدعوة العباسية وحدهـــا فلم يحاول المؤرخون الرواد اعطاء تفسيرات تاريخية واضحة للحوادث والثورات التي غيرت من مجرى التاريخ الاسلامي وأثرت في نهجه . هذا اضافة إلى أنهم يحذفون عن قصد أو يهملون أحياناً روايات تمس الحكام أو الولاة أو تؤثر على سمعـــة ذوي النفوذ في المجتمع . فالطبري نفسه يعترف بانه قد اختصر أو حذف بعض الروايات من تاريخه « تاريخ الرسل والملوك » دون أن يذكر السبب [1] . ويظهر أن العباسيين حالوا دون انتشار كتاب « تاريخ الموصل » للازدي لتضمنه روايات تاريخية ليست في صالحهم وتعريضه بهم وخاصة حين يتكلم عن مجزرة الموصل التي خطط لها والي المدينة العباسي يحيى بن محمد (أخو الخليفة) بالتعاون مـــع قائد رابطة المدينة محمد بن صول (مولى قبيلة خثعم) سنة ١٣٢ هـ أي بعد تأسيس الدولة العباسية بفترة قصيرة . حيث يذكر الازدي العبارة التالية منددا بالعباسيين (ليس من الاسلام من يرتكب هذه المجازر[2]) . أما كتاب التاريخ لخليفة بن خياط فلم يكتب له الانتشار في المشرق الاسلامي حيث قوة السلطة العباسية نظراً لميول المؤلف الأموية واعتماده على رواة أمويين وذكره روايات تندد بالعباسيين [3] .

على أننا يجب أن نستدرك فنقول بان المؤرخين الرواد المسلمين بدافع من ميولهم الدينية أو السياسية سواء كانت هذه الميول عباسية أو علوية أو فارسية أو غيرها أو بسبب البيئة التي عاشوا فيها أو الرواة الذين اتصلوا

---

(١) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : الطبري — تاريخ الرسل والملوك (طبعة ليدن) جـ١ ص ٢٨٥٨ ، ٢٨٦٢ ، ٢٩٦٥ ، ٢٩٨٠ .

(٢) الازدي ، مخطوطة تاريخ الموصل ، نسخة شستربيتي ليبرري ، دبلن (ايرلندا) رقم ٣٠٣٠ ص ١٢١ .

(٣) أنظر ، الدكتور فاروق عمر ، الخلافة العباسية (بالانكليزية) الفصل الاول — راجع كذلك لنفس المؤلف : تاريخ خليفة بن خياط في مجلة المكتبة العدد ٦٢ سنة ١٩٦٨ .

بهم ، اندفعوا بطريقة شعورية أو لا شعورية بالتأكيد على بعض المظاهر دون الأخرى أو بانتقاء بعض الروايات دون غيرها أو بذكر بعض التعليقات القصيرة ولكنها ذات دلالة كبيرة . فالطبري مثلاً يفصل في واجهات الثورة العباسية الدينية والسياسية ويذكر انها كانت عباسية صرفة منذ بدء تنظيمها [1] .

بينما يرى ابن أعثم الكوفي [2] أن الدعوة كانت عامة لآل البيت الهاشميين وان العباسيين انقضوا عليها في نهاية المطاف واقتطفوا ثمارها . أما البلاذري فيظهر أهمية الأشراف ورؤساء القبائل في خراسان . وفي الوقت الذي يؤكد صاحب كتاب « أخبار العباس وولده » وكذلك المؤرخ الأزدي « في تاريخ الموصل » ان العناصر الفعالة في الدعوة العباسية كانت من عرب خراسان من اليمانية والربعية وبعض المضرية يحاول الدينوري « في الأخبار الطوال » وحمزة الأصفهاني أن يؤكدا على دور الموالي الفرس في الدعوة ويعظمان في دور أبي مسلم (صاحب الدولة) في نجاح الدعوة وانتصارها [3] . أما المؤرخ المسعودي الذي يظهر ميلاً معتدلاً نحو العلويين فيعلل سبب عدول أبي سلمة الخلال من العباسيين إلى العلويين ومحاولته تنصيب خليفة علوي (بخوفه من انتقاض الأمر بسبب عدم وجود شخصية عباسية قادرة على تحمل المسؤولية بعد وفاة ابراهيم الإمام [4] .

وهنا يأتي دور المؤرخ الحديث ليميز بين الروايات الغثة والروايات السمينة فيحل غموضها وتناقضها ويقرأ بين أسطرها ثم يقدم الحقيقة بلا طلاء

---

(١) الطبري « تاريخ الرسل والملوك » السلسلة الثانية ص ١٨٥٥ فما بعد السلسلة الثالثة ص ١ فما بعد .

(٢) مخطوطة الفتوح ، استانبول ، مكتبة السلطان أحمد الثالث ، ص ٢٢٦ أ — ٢٢٦ ب يقول الكوفي (وبالكوفة جماعة يظنون أن البيعة تكون لولد أبي طالب وقوم يظنون أن البيعة تكون لولد العباس ..) وحينما أعلن أبو سلمة أن يلبس الناس السلاح والسواد في يوم البيعة « آيس الناس من آل أبي طالب .. ».

(٣) الدينوري ، الاخبار الطوال ص ٣٤٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ — ٣٦٠ حمزة الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الارض . ص ١٣٠ فما بعد .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ج ٦ ، ص ٩٣ .

وبقدر جهده واجتهاده . فالتاريخ الذي يقوم على أساطير وملاحم لا يمكن أن يكتب له الخلود .

وبقدر ما يتعلق الأمر بموضوع بحثنا (الدعوة العباسية) فلقد بحث الكثير من المؤرخين المحدثين شرقيين وغربيين في تاريخ الدعوة وما حدث في أعقابها ، وجاء قسم منهم بتفاسير جديدة أو بأفكار مبتكرة أو بدراسة استقصائية . ولكن هؤلاء الباحثين الذين ظهروا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين كان يعوزهم الشيء الكثير ، فقد اعتمدوا في الغالب على مصادر كانت متيسرة لديهم في ذلك الوقت وهي قليلة بالنسبة لما لدينا الآن من كتب محققة تحقيقاً جيداً ومخطوطات سهلة المنال ومصنفة في مكتبات العالم الكبرى ، وعلينا بعد ذلك أن نتذكر بأن بعض من بحث في التاريخ الاسلامي من الرعيل الأول من المستشرقين لم يكن في الواقع مدرباً كمؤرخ فقد كان ينقصه الشيء الكثير مما يحتاجه المؤرخ . فالمعروف ان عدداً من المستشرقين كان بدء ولعهم بتاريخنا من خلال دراساتهم للتوراة والانجيل والدراسات اللاهوتية الأخرى ، وهناك نوع آخر من المستشرقين تعرفوا على تاريخنا بطريق الصدفة حينما وجدوا أنفسهم في بلادنا أثناء اداء الخدمة العسكرية أو الخدمة الدبلوماسية أو البعثات التبشيرية . أما الجيل الجديد من المستشرقين فقد درسوا تاريخنا عن قصد ورغبة ، وبعد تدريب واعداد جامعي على التحقيق العلمي ولكن بعضهم دون شك وقع في اخطاء في تفسيراته التاريخية بسبب ضعف في لغته العربية أو الفارسية أو التركية ، أو بسبب قلة معرفته ببيئة البلاد الإسلامية التي يكتب عنها وبتقاليدها. ولذلك كانت بحوث هذه الفئة من المستشرقين يعوزها الكثير من التحقيق لكي تتصف بالاصالة . الا أنني وأنا أتكلم عن هذا النوع من المستشرقين عليّ أن أتذكر وأعتز بأولئك المستشرقين الثقاة الذين خدموا تاريخنا وثقافتنا خدمة علمية موضوعية كأحد أبنائها .

لقد قلتُ قولي هذا لأنني ألاحظ كتباً ألفها مؤرخون محدثون في وطننا العربي واعتمدوا فيها على تفاسير بعض قدماء المستشرقين دون تمحيص أو إعادة

تقييم ، ولذلك وقعوا في عين الأخطاء التي وقع فيها هؤلاء المستشرقون . ورغم أن هذه الآراء الإستشراقية باتت قديمة في الغرب وظهرت بدلها تفاسير جديدة عدّلت فيها وغيّرت إلا أننا لا نزال حتى يومنا هذا نتداول هذه الآراء القديمة ونستند عليها ولا تزال كتب تصدر ومقالات تنشر تجتر تلك الآراء التي آن لها أن تُستبدل.والمثال الذي سنورده هنا في إثبات رأينا هو (موضوع الدعوة العباسية) ذاتهـــا .

لقد فسر المستشرق الألماني فان فلوتن[1] في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي الدعوة العباسية على أنها ثورة الموالي من الفرس ضد الحكام العرب . أي أن الثورة العباسية كانت ثورة قومية إيرانية ضد العرب الأسياد . لقـد تأثر المستشرق فان فلوتن بالأفكار العنصرية التي كانت سائدةفي أوربا وخاصة المانيا آنذاك ولذلك نظر إلى الثورة بمنظار الصراع بـــين الفرس والعرب أو الآريين والساميين . واستطرد فان فلوتن مفسراً فقال : أن سبب الثورة العباسية لم يكن إلا نتيجة الأخطاءالتي ارتكبها العرب في عهد الدولة الأموية التي فشلت في أن تعامل الشعوب غير العربية والتي اعتنقت الإسلام، معاملة مساوية للعرب المسلمين،وقد أدى هذا التمييز في المعاملة إلى إنبعاث القومية الإيرانية كسلاح ذاتي للشعب الإيراني المضطهد .

وقد وافق المستشرق الألماني ولهاوزن[2] على رأي سلفه فان فلوتن وأخذ بأكثر تفسيراته وكأنها حقيقة مسلّم بها ، على أن ولهـــاوزن انتبه إلى أثر وفعالية القبائل العربية من أهل خراسان حيث خصص فصلا طويلا من كتابه منقباً عن أصول القبائل والأحلاف التي كانت بينها .

على أننا نلاحظ أن الخطأ الذي وقع به كلا المستشرقـين هو أنهما نظرا بمنظار ضيق إلى طبيعة الدعوة العباسية. ففلوتن لم يحاول تفهم وضع خراسان

---

(١) فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن سنة ١٩٣٤ .

(٢) ولهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة عبد الهادي أبو ريده . القاهرة ١٩٥٨ .

قبل وقوع الثورة . ومثله كمثل المؤرخ الذي يؤمن بقواعد ونظريات أو فكرة معينة ثم يحاول جمع مادته ورواياته التاريخية ليثبت صحة تلك النظرية التي يؤمن بها مسبقاً . والخطأ في البداية يقود بطبيعة الحال إلى الخطأ في النهاية . أما ولهاوزن فالحق أنه أدرك أهمية القبائل العربية المستقرة في خراسان ولكنه رأى في النزعات القبلية والعصبية بين هذه القبائل الأساس المحرك لفعاليات شيوخها . بل انه أكثر من ذلك تتبع جذورها قبل الإسلام متخذاً من أحلافها في الجاهلية دليلاً لتفسير أحلافها في الإسلام . كما وأن ولهاوزن لم يعر الظروف الجديدة التي نتجت عن هجرة القبائل إلى أقاليم جديدة مثل العراق وفارس وخراسان أية أهمية . ونحن نقول[1] بأن الأحلاف الجديدة بين القبائل العربية في خراسان ربما تأثرت بالماضي حين كان العرب في جزيرتهم ولكنها دون شك تطورت وتبدلت بتبدل الظروف في بيئتهم الجديدة في خراسان . ان عدم إدراك ولهاوزن للتطور الجديد في العلاقات القبلية في خراسان وتعقيداته هو الذي جعله يظهر بمظهر المؤيد لفرضية فان فلوتن أكثر من كونه معدّلاً لها أو مقوماً لبعض جوانبها . هذا ولا ننكر أنه خطا خطوة صحيحة في طريق فهم الدعوة العباسية بتأكيده على دور القبائل العربية الخراسانية .

ولقد تبنى هذا التفسير كتاب ومؤرخون عرب ومسلمون أمثال جرجي زيدان وأحمد أمين وفيليب حتي وحسن ابراهيم حسن والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور صديقي والأستاذ يوسفي وغيرهم .

وقد يكون من المستحسن القول بأن هناك تفسيراً آخر نادى به بعض المستشرقين الذين اعتقدوا بأن للترك الساكنين في بلاد ما وراء النهر (ترانسكسونيا) دوراً في الثورة العباسية خاصة وأن الترك سبق وأن ساعدوا ثواراً كالحارث بن سريج المرجئي ضد الأمويين . وقد ظهر هذا الرأي في دائرة المعارف التركية ونادى به المؤرخ أرمينوس فامبري في كتابه

---

(١) الدكتور فاروق عمر ، الخلافة العباسية (١٣٢ / ٧٥٠ – ١٧٠ / ٧٨٦) الفصل الثاني . (بالانكليزية) بغداد ، ١٩٦٩ .

« تاريخ بخارى » وتشير الأستاذة ماليكوف سيار[1] في كتابها عن (أبي مسلم في الفولكلور التركي) بأن القصص الشعبية والأساطير والأغاني التركية في العصور الوسطى تظهر أبا مسلم بطلاً قومياً تركياً . إلا أن التاريخ شيء والفولكلور شيء آخر، وان هذا الافتراض يفتقر إلى النصوص التاريخية الموثوقة التي تدعمه .

التفسير الحديث للدولة العباسية :

لقد كان المستشرقان الانكليزيان[2] البروفسور هاملتون كب والبروفسور برنارد لويس من أوائل المؤرخين الذين أدركوا دور العرب من أهل خراسان الفعال في الدعوة وخاصة القبائل اليمانية منهم . وقد لاحظ البروفسور كب بأن سكان المـــدن المحليين من الفرس لم يستغلوا فرصة الثورة العباسية لينتفضوا عن بكرة أبيهم ضد الدولة الأموية بل إن الروايات التاريخية تثبت عكس ذلك . إلا أن ماذكره هذان المستشرقان في هذا المضمار لم يكن أكثر من لمحات بسيطة لا تزيد على أسطر قليلة فيها بعض التحفظ .

إن المستشرق دانيال دينت أول من أعلنها صراحة بأن آراء فان فلوتن وولهاوزن في الدعوة تدعو إلى الشك وإعـــادة التمحيص والإعتبار حيث أظهر الوجه السياسي للثورة وبـين دور المقاتلة العرب الخراسانية ورؤساء القبائل الأزدية والربعية وأثر الأحلاف الجديدة بين القبائل في إرجاح كفة الثوار العباسيين . ويرى دينت بأن ضعف مركز مروان الثاني آخر خلفاء الأمويين في سوريا كان العامل المباشر لسقوط الأمويـين ولذلك فان نقطة الجدل في نظريته تدّعي بأن سقوط الأمويين لم يكن نتيجة ثورة في خراسان

---

(١) انظر: Abu muslim le « porte - Hàche » bu khorasan,paris,1962

(٢) انظر : H - gibb , The Arab conquests in central asia, 1923 - idem - the - Caliphate .. in « History » of the crusades pp . 81ff . E . 1, 2 abbasids (by B . Lewis) .

بل بسبب ثورة في بـــلاد الشام[1] . والذي يؤخذ على دينت كذلك هو اهتمامه بالواجهة السياسية للدعوة العباسية وإهماله الواجهة الدينية حيث لم يشر إليها إلا عرضا .

وتتابعت البحوث في طبيعة الدعوة العباسية مؤكدة هذا التفسير الجديد فكتب الدكتور محمد عبد الحي شعبان عن حالة خراسان منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الأمويين[2] وقد أعطى الدكتور شعبـــان ، في الواقع ، صورة متكاملة لتطور الحالة السياسية والاجتماعية لعرب خراسان من حيث استيطانهم وعلاقتهم بالفرس ثم موقفهم من دمشق ومن بعضهم البعض . ويرى الدكتور شعبان بأن هدف الثورة العباسية كان (دمج كل المسلمين العرب وغير العرب في الأمبراطورية في مجتمع إسلامي واحـــد لكل فرد من أبنائه حقوق متساوية) . أمـــا العنصر الرئيسي في الثورة حسب رأي الدكتور شعبان فكان العرب المستوطنين الذين اندمجوا مع السكان المحليين الإيرانيين والذين فقدوا إمتيازاتهم كأعضاء في الكتلة العربية الحاكمة والذين استأثروا كذلك من وضعهم تحت سلطة الدهاقين الفرس والمسؤولين عن جباية الضرائب . ولا ينكر الدكتور شعبان مساعدة الموالي (المسلمين من غير العرب) للثوار العرب ولكن هؤلاء الموالي لا يمكن أن يكونوا بأعداد كبيرة وذلك لعدم إنتشار الإسلام في تلك الديار وفي تلك الفترة المبكرة بكثرة .

وقد أثبت الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي بأن العرب سكنت القرى المحيطة بمرو قبل تمصيرها[3] وبهذا أعطى دليلاً آخر على أهمية دور عرب خراسان من سكان القرى الذين كسبتهم الدعوة .

* * *

(١) دينت ، مروان بن محمد (بالانكليزية) ، هارفرد ١٩٣٩ .
(٢) شعبان ، الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية : هارفرد١٩٦٠ ،(بالانكليزية).
(٣) العلي : استيطان العرب في خراسان مجلة كلية الآداب ١٩٥٩ . بغداد .

إن إعادة تقييم الروايات التاريخية في مصادرنا المعروفة مثل الطبري واليعقوبي والدينوري والمسعودي والجاحظ والأصفهاني وكتاب « العيون والحدائق» والجهشياري وغيره ، وبعد الاطلاع على نصوص تاريخية غاية في الأهمية بالنسبة لموضوع الدعوة العباسية في مخطوطات لم تنشر بعد [1] أو أنها نشرت حديثاً ولم تستغل مادتها التاريخية بعد مثل : ومخطوطة « أخبار العباس وولده » المحفوظة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد . وهي مجهولة المؤلف ومرتبة حسب نظام النسب وتعتمد على رواة موثوق بهم وعلى شهود عيان ودعاة عباسيين ولذلك فهي مهمة جداً وتعتبر أشبه بوثيقة عن الدعوة العباسية . مخطوطة النبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول من القرن الحادي عشر التي صورها المستشرق الروسي كرازنوفج من معهد المستشرقين في موسكو وترجمها وعلق عليها باللغة الروسية . والواقع فان مقارنة مخطوط النبذة بمخطوطة « اخبار العباس » آنفة الذكر يظهر بان مؤلف الاولى قد اختصر الثانية باقتباس الروايات المهمة ودمجه عدداً من الروايات في رواية واحدة منسقة مع اختصار سلسلة الرواة . ثم مخطوط « أنساب الاشراف » للبلاذري وهي في جوهرها مخطوطة تاريخية ضمن إطار النسب . وكذلك مخطوطة كتاب « الفتوح لابن اعثم » الكوفي (ت ٣١٤ / ٩٢٦) وتقع في جزأين حيث يتكلم الجزء الثاني عن اخبار الدعوة العباسية وتطوراتها وفي المخطوط معلومات فريدة عن استقرار العرب المسلمين في خراسان غير موجودة في الطبري والبلاذري . أما بالنسبة للروايات التاريخية فالصورة التي تعطيها عن الدعوة غير متكاملة لان الحوادث مختارة وغير متسلسلة ولابن أعثم عذر في ذلك لانه لم يكن قصده ان يؤلف كتاباً في التاريخ وانما في الفتوح .

---

(١) عن هذه المخطوطات انظر : الدكتور فاروق عمر ، الخلافة العباسية (بالانكليزية) الفصل الاول . انظر كذلك مجلة المكتبة ، بغداد ، الاعداد ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٩٦٨ .

ثم تاريخ خليفة بن خياط الذي حقق في بغداد وكذلك في دمشق ويعتبر من أقدم كتب الحوليات في التاريخ الإسلامي حيث يتناول احداث التاريخ من السنة الأولى للهجرة الى سنة ٢٣٢ هـ أي خلافة الواثق بالله العباسي . والنصوص التي فيه تساعدنا على توضيح غموض مصادرنا المألوفة واضافة معلومات جديدة عن الدعوة العباسية حيث يظهر بان المصالح الجديدة التي ظهرت بعد استقرار القبائل في خراسان أدت الى وجود تكتلات جديدة بين العرب انفسهم لا تعتمد بالدرجة الاولى على العصبية بل على المصالح الجديدة التي حتمتها بيئة خراسان الجديدة وظروف العرب فيها . ثم مخطوط تاريخ الموصل لابي زكريا محمد بن يزيد الازدي (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) الموجودة في مكتبة شستر بيتي في دبلن بايرلندا وقد قام الدكتور علي حبيبة بتحقيقها ونشرها سنة ١٩٦٧ م . ولم يبق من المخطوطة غير جزئها الثاني الذي يبدأ من سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ م – سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م . ولعل من المزايا الكثيرة التي تتمتع بها المخطوطة بقدر ما يتعلق الامر بموضوع بحثنا هو اظهاره مدى المبالغة في الفكرة القائلة : بان الثورة العباسية كانت ثورة الفرس على العرب . فالازدي يظهر مدى اعتماد الدعوة على العرب ويفند الزعم القائل بان ابراهيم الامام أوصى أبا مسلم بقتل كل من يتكلم العربية ذلك الزعم الذي اتخذه فان فلوتن ومن اتبعه من المؤرخين ذريعة لاثبات الصبغة الفارسية للدعوة العباسية .

وهناك مخطوطات اخرى كثيرة تساعد على ايضاح هذا الجانب او ذاك من الدعوة العباسية ومنها مخطوط «المقفى» الكبير للمقريزي ومخطوط «منتخب التذكرة» لنفس المؤلف ايضاً ومخطوط كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد المروزي الخزاعي (ت ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م) ولكن ضيق المجال وخوف الاطالة يجعلنا نتردد في التفصيل عن هذه المخطوطات [١] .

---

(١) انظر ، الدكتور فاروق عمر ، نصوص تاريخية ساعد اكتشافها على اعادة تقويم الدعوة العباسية ، مقالة ستنشر في مجلة كلية الآداب جامعة الرياض سنة ١٩٧٠ .

ان النصوص الموجودة في هذه المخطوطات هي التي ساعدتنا على اعادة تقييم الدعوة العباسية وتوضيح واجهاتها واظهار الدور الذي لعبته كل شخصية من شخصياتها البارزة .

ونحن نعتقد بان الدعوة التي نظمها الدعاة العباسيون كانت موجهة بصورة رئيسية الى عرب خراسان المقاتلة منهم والمستقرين على السواء . فقد كان هناك دعاة في قرى مرو حيث استقرت القبائل العربية وفي كل مدينة فيها حامية أو رابطة عربية . لقد ادرك الدعاة بان العرب وحدهم مصدر السلطة والقوة الضاربة الوحيدة في خراسان . ومن أجل الانتصار على الامويين كان يتحتم على الدعاة كسب العرب الى الدعوة . ولم يفضّل الدعاة في بداية الدعوة قبيلة عربية على اخرى بالرغم من انهم حصلوا على عضد اليمانية اكثر من المضرية الا انهم كانوا دائماً يرحبون بالمضريين الذين يرغبون الانضمام للدعوة . وقد انضم بعض الموالي والفرس الى الدعوة الا أن دورهم لا يمكن مقارنته بدور القبائل العربية من أهل خراسان [1] .

ان ظروف خراسان من حيث قبائلها وعلاقتهم ببعضهم وبالسكان المحليين والخلافة الاموية في دمشق لعبت دوراً في ايجاد الجو المناسب للثورة دون شك، ولكن علينا الا نؤكد على ناحية معينة ونترك النواحي الاخرى. فالعرب الذين استوطنوا قرى مرو كانت لهم اسباب للتذمر ترجع الى حرمانهم من الامتيازات التي يتمتع بها المقاتلة من العرب ، كما وانهم شاركوا الموالي والفرس في استيائهم من سطوة الدهاقين ونفوذهم . على اننا نلاحظ من جهة اخرى ان المقاتلة العرب كان لهم أسباب للتذمر أيضاً تتلخص :

(١) سياسة التجمير وهي ابقاء المقاتلة في الثغور وعلى خطوط النار شتاءاً في الوقت الذي يرغب المقاتلة بقضاء الشتاء مع أسَرِهم .

---

(١) انظر مخطوطة اخبار العباس وولده ص ١٣٥ أ فما بعد ، طبري :(تاريخ الرسل ، ص ١٩٤٥ فما بعد. الدينوري الاخبار الطوال ص ٣٥٥ فمابعد –نبذة من كتاب التاريخ ص٢٦٠ فما بعد الازدي ، تاريخ الموصل ص ١٩٠ فما بعد .

(٢) كان الوالي الاموي يسلبهم حصتهم من الفيء والغنيمة أحيانـــاً أو يأخذ اكثر من حقه منها .

(٣) سئمت القبائل من النزاع المستمر بـــين الشيوخ المتنفذين والرؤساء الطموحين للوصول الى السلطة حيث أوجد هذا بـين قبائل خراسان نوعاً من القلق لدى اليماني والربعي والمضري الذين وجـــدوا في الدعوة العباسية أملاً جديداً لحياة أكثر استقراراً ويسراً [١] .

كما وأن الوضع المرتبك في بلاد الشام قلب الدولة الاسلامية في ذلك العهد حيث ازدادت ثورات المدن السورية ضد حكم مروان الثاني واشتدت مؤامرات الأمراء الأمويين ضد سلطته التي اعتبروها غير شرعية كل ذلك فت من عضد الدولة وفسح المجال للدعوات السرية بالعمل الفعال من أجل اسقاطها . فقد نشطت المنظمة السرية الهاشمية بقيادة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الذي أوصى بالامامة من بعده إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وبهذا تحولت المنظمة إلى عباسية صرفة وضاعفت من فعالياتها في خراسان حيث أعلنت الثورة سنة ١٢٩هـ سنة ٧٤٧م [٢].

ورغم ادراكنا بأن الدعوة العباسية كان لها واجهات عديدة حيث انها حاولت جذب عناصر مختلفة تحت شعارات براقة متباينة ، وهذا في الحقيقة سر نجاحها . فان الذي يهمنا في هذا البحث هو الواجهة السياسية للدعوة وذلك رغبة منا في ابراز دور العرب من أهل خراسان في هذه الحركة ، ذلك الدور الذي كان ولا يزال مغموراً لم ينصفه التاريخ، ولم يقدره حق قدرة إلا القليل من المؤرخين .

* * *

الواجهة السياسية للدعوة العباسية :

إن النصوص التاريخية في المخطوطات التي خرجت إلى النور حديثا تشير

---

(١) الدكتور فاروق عمر :(الخلافة العباسية) الفصل الثاني (بالانكليزية)، بغداد ١٩٦٩

(٢) أنظر الدكتور فاروق عمر ، الجذور : (التاريخية لادعاء العباسيين بالخلافة) مجلة كلية الدراسات الاسلامية ١٩٦٧ / ١٩٦٨ .

إلى أننا يجب أن نبحث عن أسباب للثورة العباسية في ظواهر أخرى غير ظواهر الصراع بين الفرس والعرب، أو التمييز الاجتماعي والاقتصادي الذي مارسته السلطة الأموية تجاه الموالي . فلقد أهمل المؤرخون المحدثون سياسة الأمويين الادارية والمالية في خراسان وردود الفعل لدى أهل خراسان من عرب وعجم تجاه هذه السياسة. إن معرفة حالة خراسان قبيل الثورة سيقودنا إلى معرفة أسباب التذمر وبالتالي أسباب الثورة .

تتفق أغلب الروايات التاريخية على أن خراسان فتحت أيام الخليفة عثمان ابن عفان وعلى يد القائد عبد الله بن عامر بين سنة ٢٩ / ٦٤٩ و ٣٥ / ٦٥٥ ولقد عقد مرزبان مرو معاهدةمع المسلمين ترك للدهاقينبموجبها تقدير الضرائب وجبايتها واشترطت المعاهدة كذلكعلى الايرانيين أن يفسحوا المجال لاستيطان العرب في قراهم ولهذا الإجراء أهمية كبيرة لأنه كان الأساس الذي بنيت عليه علاقات العرب المسلمين بالسكان المحليين [١] .

ولم تكن السنوت التي تلت الفتح الاسلامي لخراسان سنوات سهلة ولا هي فترة استقرار في تاريخ خراسان خاصة وأن الأوضاع السياسية في قلب الدولة الاسلامية كانت على غير ما يرام على أن انتهاء الحرب الأهلية وتولي معاوية سنة ٤١هـ / ٦٦١م الخلافة ساعد السلطة المركزية بأن توجه انتباههـــا إلى خراسان . وقد قرر الأمويون إنشاء قواعد ثابتة للمقاتلة العرب في خراسان . فبدأت عملية استيطان العرب في القرى المحيطة بمرو منذ سنة٤٥هـ / ٦٦٥ م [٢] وتتابعت عمليـــة الاستيطان بتتابع الهجرات القبلية من الكوفة والبصرة . وبمرور الزمن أخذت بعض القبائل العربية تفضل الاستقرار والاشتغال بمهن مدنية كالتجارة والزراعة بدلاً من الجيش . إن هذا الاتجاه نحو الاستقرار أوجد عوامل جديدة في الموقف السياسي والعسكري واضطر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(سنة ١٠٥/٧٢٤-سنة ١٢٥/٧٤٣)إلى أنيأمر أمير خراسان

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، السلسلة الاولى — ابن اعثم الكوفي ، الفتوح جـ١ ، ص ٢٠ فما بعد .

(٢) العلي : استيطان العرب في خراسان ، مجلة كلية الآداب ١٩٥٩ . بغداد .

بأن يحذف أسماء المقاتلة العرب الذين يرفضون الاشتراك في الحملات العسكرية في بلاد ما وراء النهر (ترانسكسونيا) ويحرمهم من العطاء. ومقابل ذلك أرسل هشام مقاتلة جددا ممن يرغبون في القتال[1]. وهكذا فإن الخليفة هشام يعترف ضمناً بان عملية الاستيطان والاندماج بين العرب المسلمين والسكان المحليين الإيرانيين قد بدأت فعلاً وبدأ العرب يألفون الحياة المدنية والاشتغال بالمهن ولا يمكن للسلطة الأموية معارضة الاتجاه الجديد بالقوة. وهذا يدل بطبيعة الحال إلى ان العرب المسلمين قد انقسموا إلى كتلتين: (١) المقاتلة (٢) المستقرين المستوطنين. كما ان إرسال دفعات جديدة من العرب إلى خراسان أدى إلى حدوث شقاق وتصادم بين القادمين الجدد والعرب القدماء (الفاتحين)[2].

أما عملية الاستيطان[3] فلقد اتخذت أشكالاً مختلفة ولكن ما لدينا من معلومات قليلة مبعثرة بين طيات كتب التاريخ والتراجم والكتب الجغرافية الإسلامية لا يعطينا فكرة متكاملة عنها. والظاهر ان العرب من أهل خراسان استقروا في مرو والقرى المحيطة بها مثل سينان وميهرجان وفنين واللين وغيرها كثير. وكانت قرية بونية تابعة لقبيلة طي وقرية باسان لبني نصر وقرى سفيندنج واللين وفنين لقبيلة خزاعة. وهناك قرى أخرى لكندة وبني العنبر. واستوطن العرب القرى المحيطة ببلخ كما استوطن قسم منهم مدناً أخرى في بلاد ما وراء النهر بصورة وقتية أو دائمة. وعدا هذا وذاك فقد كان للعرب (مسالح) وهي مراكز عسكرية وقتية تتبدل مواضعها بتبدل خطة القواد العسكرية ولذلك فقد كان استقرار الجند فيها وقتياً.

ولقد انبعث الدعاة العباسيون في مواطن استقرار العرب في خراسان حيث نقل إليها الإمام محمد بن علي العباسي الدعوة، وأمر دعاته بأن تكون

---

(١) شعبان، المصدر السابق، ص ١٥٧ فما بعد (بالانكليزية).
(٢) فاروق عمر، الخلافة العباسية، الفصل الثاني (بالانكليزية).
(٣) Ibid.

الدعوة المرضا من آل محمد (ﷺ) وأن يثقوا باليمانية ويتآلفوا ربيعة ويتوقوا من مضر ويقبلوا منهم الثقـــاة . وليس من السهل التعرف على الدوافع التي دفعت الإمام محمد على اختيار خراسان ولكن يمكن القول بأنها كانت موطن المقاتلة للعرب الذين عركتهم الحرب الطويلة مع تركستان وفي السند والذين عبّروا مراراً عن تذمرهم من سياسة الأمويين المالية والعسكرية . والمعلوم ان خلفاء بني أمية منـــذ عهد عبد الملك بن مروان (٦٨٥ م — ٧٠٥ م) أدركوا القلق وعدم الاستقرار السائدهناك. وتعبر مخطوطة «أخبار العباس»[١] عن أهمية الخراسانية فتقول : (في خراسان جمجمة العرب وفرسانها) وقـد نظم الدعاة الأوائل الدعوة تنظيما سرياً محكماً فكان هناك النقباء يرأسهم سليان بن كثير الخزاعي شيخ النقباء والقائم بأمر خراسان . أما النقباء فهم اثنا عشر نقيباً[٢] :

من خزاعة : سليمان بن كثير الخزاعي ، مالك بن الهيثم الخزاعي ، زياد ابن صالح الخزاعي ، طلحة بن رزيق الخزاعي .

من تمـــيم : موسى بن كعب التميمي ، عيسى بن كعب التميمي ، لاحظ ابن قريظة التميمي ، القاسم بن مجاشع التميمي .

من طـــي : قحطبة بن شبيب الطائي.

من شيبان : خالد بن ابراهيم الذهلي الشيباني .

من بجيـــلة : اسلم بن سلام البجلي .

من حنيفـة : مولى بني حنيفة شبل بن طهمان .

ونلاحظ أن الأكثرية الساحقة منهم كانوا عربـاً . وكان هناك (نظراء النقباء) و ٧٠ داعية كما كان هناك عدد من الدعاة المسؤولين عن تنظيم الدعوة خارج منطقة مرو .

---

(١) أخبار العباس ، ص ١٩٠ ب .

(٢) أخبار الناس ص ١٠٣ أ فما بعد . — الطبري ، تاريخ الرسل والملوك III ١٩٨٨ .

وهنا لا بدّ من الإنتباه إلى أن بعض الشخصيات العربية تلقبت أو نسبت إلى المدن الفارسية التي عاشت فيها، مثل جديع بن علي الأزدي (الكرماني) والفضل بن سليمان التميمي (الطوسي) وخازم بن خزيمة التميمي (المروزي) كما لقب عمرو بن حفص المهلبي الأزدي والهيثم بن معـــاوية العتكي بلقب (هزارمرد) ولقد ظن بعض المؤرخين خطأ أن هؤلاء وغــــيرهم كانوا من الموالي الفرس .

وأكثر من ذلك فقد فسر بعض المستشرقين وتبعهم مؤرخون مسلمون في ذلك، أن إصطلاح (أهل خراسان) يعني السكان المحليين من الإيرانيين ولكن المؤرخين الرواد من المسلمين كالطبري والبلاذري أطلقوا عادة إصطلاح (أهل البصرة) و (أهل الكوفة) و (أهل الشام) لتدل على القبائل العربية التي سكنت هذه المدن بعد تمصيرها .

ثم إن مؤرخين آخرين فهموا من إصطلاح (سكان القرى) التي وردت في بعض روايات الدينوري والطبري أنهم سكان البلاد المحليين من الفرس الذين يتعاطون الزراعة ويمتهنون بعض الحرف إلا أننا لاحظنا بأن العرب أنفسهم سكنوا القرى مع أسرهم . ولذلك فإن رواية الطبري[1] التي تقول (فوافاه .. أهل ستين قرية) لا تعني الموالي ، كما يظن المستشرق ولهاوزن ، بل العرب. على الرغم من أن قسماً من أتباع الدعوة كانوا دون شك من الموالي .

وكان أتباع الدعوة يدفعون الخمس[2] للامام ليعينه هذا المال على القيام بواجبه في (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وكان النقباء عادة ينتهزون فرصة الحج ليلتقوا بالإمام ويسلموه المال والهـــدايا، فقد حملوا إليه مرة ١٠ آلاف دينار و ٢٠٠ ألف درهم كما بعثوا مرة أخرى ١٠٠ ألف درهم وأشياء

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ص ١٩٥٢ .

(٢) أخبـــار العباس ، ص ١٠٦ أ ، ١٢٥ أ - الطبري ، II ١٩٥٣ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٤ ، ١٩١٧ ، ١٩١٦ ، الدينوري ، ص ٣٤٤ - اليعقوبي ، التاريخ ، II ص ٣١٨ - العيون والحدائق ، ص ١٨٢ ، ص ١٩٠ ، الامامـــة والسياسة ، ج ٢ ، ص ٢١٧ - ابن خلدون - التاريخ ج ٣ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

عينية من مسك ومتاع كثير قيمتها ٣٠،٠٠٠ درهم . وبعث أبو مسلم قحطبة الطائي ومعه المال الذي يقدر بـ ٣٦٠ ألف درهم صيّرها كلها متاعا .

كما استغل الدعاة العباسيون فكرة التنبؤات والملاحم الشعبية المنتشرة بين الناس فأشاعوا أحاديث تقول: بأن الخلافة كائنة في أحفاد العباس عم الرسول ﷺ وأنها ستبقى في أيديهم إلى يوم القيامة، وادعوا بأن هناك علامات مخبرات عن ظهور ابن الحارثية صاحب الرايات السود التي ستظهر في المشرق وأنها منتصرة لا محالة [٣] ولما توفي محمد بن علي العباسي سنة ١٢٥ هـ/ ٧٤٢ م تسلم ابراهيم الإمام القيادة وبدأ وجه جديد فعال للدعوة. وحين ساءت الحالة في خراسان وانقسم العرب فيها إلى كتلتين رئيسيتين يقود أحدهما نصر بن سيار والي خراسان ويقود الثانية جديع بن علي الأزدي الكرماني أدرك الدعاة العباسيون بأن ظروف الثورة قد اختمرت وأن الوقت قد حان لإعلانها فطلب سليمان الخراساني من الإمام أن يرسل من يمثله في خراسان أثناء إعلان الثورة . وقد عرض ابراهيم الإمام على سليمان الخزاعي أن يمثله في خراسان فرفض والظاهر أنه كان يرغب بأن تقوم شخصية هاشمية أو عباسية بتمثيل الإمام في خراسان ، وبعد أن فشل ابراهيم الإمام في إقناع عدد من الرجال قرر إختيار مولاه أبا مسلم الخراساني لينوب عنه .

إن شخصية أبي مسلم ودوره في الحركة العباسية قد أصبحت أسطورة نسجت حولها الروايات المختلفة. وقد بالغت بعض روايات الطبري والدينوري وحمزة الأصفهاني بدور أبي مسلم، وأظهرته بمظهر المحرك للسياسة العباسية . وأكثر من هذا فقد اتخذته العناصر المتذمرة الايرانية رمزاً لثورتها معتبرة إياه منقذاً منتظراً مدعية انه سيعود إلى هذه الأرض — وخاصة بعد قتله من قبل المنصور سنة ١٣٧هـ / ٧٥٤ م ليحقق لها آمالها بان (يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً) . والواقع فان النصوص التاريخية في مخطوطة وأخبار

---

(٣) أخبار العباس ، ص ٥٨ ب ٦٢ أ — الطبري ، المصدر السابق ، II ص ١٩٢٩ .
ابن طاووس ، الملاحم والفتن ص ٣٠ فما بعد ، الخزاعي ، كتاب الفتن ، ص ١٨ فما بعد .

العباس» و«تاريخ الموصل» وتاريخ الطبري تشير بوضوح إلى أن المسؤولية كانت مشتركة بين النقباء الاثني عشر ويساعدهم في ذلك الدعاة وأن سليمان الخزاعي نقيب النقباء كان وراء كل عمل قام به أبو مسلم . كما وأن سليمان الخزاعي كان المتكلم باسم الدعوة والمفاوض باسمها مع شيوخ القبائل ووالي خراسان نصر ابن سيار . وكان سليمان الخزاعي هو الذي يؤم الناس في الصلاة [1] .

وحين أرسل ابراهيم الامام أبا مسلم إلى خراسان أوصاه بوصية اختلف في نصها المؤرخون . وهي كما جاءت في رواية ابن قتيبة والطبري كالآتي [2] .

(يا عبد الرحمن إنك رجـــل منا أهل البيت إحفظ وصيتي : أنظر إلى هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم، فان الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، واتّهم ربيعة في أمرهم وأما مضر فانهم العدو القريب الدار . واقتل من شككت فيه . وإن استطعت ألا تبقي بخراسان من يتكلم العربية فافعل وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ (سليمان الخزاعي) ولا تعصه وإن أشكل عليك أمر فاكتف به مني) .

إن هذه الوصية غير متفق عليها من قبل المؤرخين لذلك لا يمكن قبولها دون تمحيص ونقد. فمن جهة النقد الخارجي لنص الوصية فيظهر بأنها مذكورة في الطبري دون سلسلة رواة أو إسناد، ولذلك فالرواية ضعيفة . أما رواية ابن قتيبة فيضعّفها كون المؤرخ غامض وغير متكامل في رواياته عن العباسيين ولا ذكر للنص في مصادر مهمة أخرى مثل «انساب الأشراف» و«أخبار العباس». وليس هناك أهمية لذكرها في كتب تاريخية متأخرة مثل ابن الأثير وابن كثير وابن خلدون لأن هؤلاء بطبيعة الحال نقلوها ممن ذكرها قبلهم ولبعد الزمن بينهم وبين عهد الثورة .

ومما يؤكد الشك في الوصية أن رواية الدينوري [3] وكتاب «العيون

(١) الدكتور فاروق عمر — الخلافة العباسية ، الفصل الثاني (بانكليزية) .
(٢) الطبري ، المصدر السابق ، II ، ١٩٣٧ . — الامامة والسياسة ، جـ٢ ، ص ٢١٣ .
(٣) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٥٢ .

والحدائق»[1] لا تذكر النص الذي يأمر فيه ابراهيم أبا مسلم بقتل العرب دون تمييز ولكن الوارد أن الأمر كان بقتـــل العرب الذين يرفضون الدخول في الدعوة أو المشكوك في ولائهم (واقتل من شككت في أمره) . أو كا يقول العوفي بقتل كل المدعين بالامامة من غير العباسيين . وتؤيد هذا التفسير نصوص أوردها صاحب كتاب «أخبار العباس»[2] لسان أبي مسلم حيث يقول:

« أمرني الامام أن أنزل في أهل اليمن وأتألف ربيعة ولا أدع نصيبي من صالحي مضر واحذر أكثرهم من اتـّباع بني أمية واجمع إليّ العجم » .
وقال أبو مسلم في مناسبة أخرى : « لقد أمرنا الإمام باختصاص اليمن ».

أما من جهة النقد الداخلي لنص الوصية فيمكن تلخيصه بالنقط التالية :

١) نص الرواية مجزأ في الطبري إلى جزأين يذكر بينهما حوادث لا علاقة لها بالوصية ثم تعود الرواية فتتكلم عن الوصية ثانية مما يشعر القارىء بان بعض النصوص حشرت في الرواية حشرا .

٢) تأتي الوصية تحت عنوان « سبب قتل مروان بن محمد لابراهيم الإمام » مما يدل على انها أو بعضها وضعت من قبل رواة أمويين لتبرير قتل مروان لإبراهيم .

٣) التناقض غير المقبول واضح في نص الوصية فكيف يصح أن يأمر ابراهيم الامام بقتل العرب كل العرب وهو يدرك أهميتهم ويوصي أبا مسلم بالثقة بالقبائل اليمانية والربيعية ؟!.

٤) وأخيراً فإن سياسة أبي مسلم وسليمان الخزاعي في خراسان لا تنطبق مع الوصية المزعومة فان الدعاة العباسيين قاموا بدعاية واسعة للثـــورة بين صفوف القبائل اليمانية والربيعية حتى ان أبا مسلم قبل الكثير من المضريين أيضاً في صفوف الدعوة .

---

(١) العيون والحدائق ، ص ١٧٤ .
(٢) أخبار العباس ، ص ١٣٨ ب ، ١٣٩ أ – نبذة من كتاب التاريخ ، ص ٢٦٠ أ .

وعلى هذا فإننا نعتقد بان هذه الوصية أو عبارات منها على أقل تقدير قد وضعت من جانب أعـــداء العباسيين من الاخباريين كدعاية لتشويه أهداف الدعوة .

وحين عقد مجلس النقباء اجتماعاً تقرر اعلان الثورة في مرو لأنها على حد قول أحدهم: «بها خلقاً كثيراً من اخواننا وبها السلطان قد وهن أمره.. ومتى يقوى بها أمرنا يقوى في غيرها » وقال آخر « إذا اجتثّ الأصل فلا بقاء للفرع »[1] . وأرسل الدعاة ليخبروا الشيعة العباسية بالالتقاء في مرو في يوم عيد الفطر من سنة ١٢٩ هـ .

وقد ساعد الوضع المتدهور في خراسان بسبب التصادم بين أنصار نصر ابن سيار والي خراسان من جهة ، وأنصار جديـع الكرماني شيخ قبـــائل الأزد اليمانية أبا مسلم على تركيز جهوده خلال سنة ١٢٨ هـ - سنة ١٢٩ هـ وخاصة في القرى التي يسكنها العرب خاصة وإن هؤلاء العرب قد أدركوا عدم جدوى هـــذا النزاع غير المثمر . يقول صاحب كتاب «العيون والحدائق»[2] . « ولما رأى الناس .. ان شيعة بني مروان قد وقع بينهم الخلاف وبعضهم يقتل بعضاً وان جديعاً الكرماني قد قتل الحارث بن سريج وتسلم مرو، ثم ان نصراً قتل جديعـــاً وان علياً وعثمان ابني جديع مالا إلى أبي مسلم وصادقاه وحلفا له دخل أكثر الناس في طاعته » .

وتؤكد ذلك رواية فريدة في مخطوط « أخبار العباس » حيث تقول : « فطالت الفتنـــة بين نصر بن سيار وعلي بن الكرماني ومن كان بها من العرب حتى أضجر ذلك كثيراً من أصحابها، وجعلت نفوسهم تتطلع إلى غير ما هم فيه، وإلى أمر يجمعهم فتحركت الدعوة يدعو اليماني من الشيعة اليماني

---

(١) أخبار الناس ص ١٣١ ب فما بعد
(٢) العيون والحدائق ، ص ١٨٨

والربعي الربعي والمضري المضري حتى كثر من استجاب لهم وكفوا بذلك عن القتال والعصبية »[1].

تدل هذه النصوص بصورة واضحة بان العرب من أهل خراسان كانوا عصب الجند الهاشميــة كما ان تمركزهم في قرى خزاعة اليمانية جعل مضر تتردد في مهاجمتهم قبل استفحال امرهم لانه كان حذراً من تسويد اليمانية بإجمعها اي دخولها في صفوف الدعوة العباسية .

وليس يهمنا في هذا البحث ان نذكر حوادث الثورة وتطوراتها بالتفصيل فلقد تطورت الاحداث بين أخذ ورد، واستطاعت الدعوة كسب شيخ قبائل الازد اليمانية واتباعه الذين كان بينهم من ربيعة ومضر كذلك الى صفوف الثورة . وكان هذا الكسب مهماً جداً لانه كان يعني انضمام عدد كبير من العرب الى الدعوة وبهذه الثورة الضاربة كانت نهــاية نصر واندحار شيعة الامويين في خراسان .

ولا بد لنا ان نذكر بان الشيعة العباسية تعرضوا لدعاية قويـــة وبليغة ومؤثرة من قبل نصر بن سيار والي الامويين فقد حاول الوالي الاموي ان يشوه من سمعة الشيعة العباسية واصفاً اياهم بالكفار الذين يعبدون الرؤوس والسنانير والرعاع وسقاط العرب والموالي والسفهاء والمجوس . كما انــه تعرض لهم في الشعر قائلاً فيهم :

ليسوا الى عرب منـــا فنعرفهم ولا صميم الموالي ان هُمُ نسبوا

ولم يقف الدعاة العباسيون مكتوفي الايدي تجاه هذه الدعاية التي اقلقتهم لانهم خشوا أن يتأثر بها الاتقياء والعامة من الناس ولذلـــك قاموا بدعاية مضادة حيث نودي الى الاجتماع وبايع المجتمعون سليمان الخزاعي شيخ النقباء العباسية : «على كتاب الله وسنة رسوله .. واظهار العدل وانكار الجور ورفع

---

(١) أخبار العباس ، ص ١١٩ أ

الظلم عن الضعفاء وأخذ الحق من الاقوياء » . كما أجاب أحد الدعاة العباسيين نصراً بن سيار شعراً بشعر فقال :

لسنا نحابي على الرحمن من احد فيما نطالب من مولى ومن عرب

على ان هذه النعوت التي اطلقها كل من المعسكرين على الآخر كانت لاسباب دعائية[١] ليس الا ، فالامويون انفسهم حينما التقى الجمعان في المعركة نادوا الشيعة العباسية قائلين « يا معشر المسلمين » [٢] . ودعوهم الى نبذ الفرقة والانضمام الى الجماعة على اعتبار ان الخلافة الاموية هي التي تمثل الجماعة شرعياً .

وتفصل روايات البلاذري واخبار العباس والازدي والطبري في شرح الحوادث التي صاحبت تقدم قوات اهل خراسان الى المدن الاخرى بعد احتلالها مرو . فتذكر مثلاً ان خازماً التميمي احتل مرو الروذ باسم العباسيين بمساعدة قبيلة تميم .

ولقد جاءت أوامر ابراهيم الامام بتعيين قحطبة بن شبيب الطائي قائداً لأهل خراسان الذين توجهوا الآن الى العراق والشام عبر فارس . ويقدرهم صاحب كتاب الامامة والسياسة « بـ ٣٠ ألفاً من اليمانية والشيعة وفرسان خراسان » . وفي نيشابور خاض الجيش الخراساني معركة مع اتباع نصر من العرب والفرس من سكان نيشابور . على ان المعركة المهمة وقعت في جرجان حيث وقف اهل جرجان الفرس مع الامويين وقاتلوا معهم جنباً الى جنب ضد الجيش الخراساني . على ان الجيش الخراساني استطاع احتلال جرجان وقتل الكثير من الايرانيين الذين قاوموا الخراسانيين [٣] إن معركة

---

(١) انظر الدكتور فاروق عمر ، الخلافة العباسية (بالانكليزية)الفصل الثاني بغداد ١٩٦٩

(٢) اخبار العباس ، ص ١٦٦ ب « يا معشر المسلمين اتقوا الله وراجعوا جماعتكم ولكم الامان على ما احدثتم في هذه الفتنة ولكم العطاء والرزق الواسع »

(٣) أخبار العباس ، ص ١٦٠ ب .

أجرجان دليل آخر على أن الدعوة العباسية لم تكن ثورة الفرس على الأمويين، ذلك أن الفرس من أهل جرجان وقفوا إلى جانب الأمويين واستطاعوا مقاومة الخراسانية بل أخرجوا جيش قحطبة الطائي بعد احتلاله المدينة للمرة الأولى فكان على قحطبة أن يعيد الكرة لكي يحتل المدينة ثانية . ولعلنا نستطيع القول بأن الكثير من المدن الايرانية لم تثرها الدعوة العباسية بالدرجة التي يصورها لنا فان فلوتن ومن تبعه من المؤرخين المحدثين .

ولقد ساعدت القبائل العربية في العراق الجيش الخراساني حيث أهدته إلى أقصر الطرق وأسلمها للوصول إلى الكوفة . وكان من السهولة على شيوخ هذه القبائل أن يغيروا ولاءهم من الأمويين إلى العباسيين وعلى حد قول أحدهم فإن دولة بني أمية مدبرة ودولة المسوّدة مقبلة يأملون منها الخير الكثير .

وقد أغلقت قبائل الموصل أبواب المدينة في وجه الخليفة مروان الأموي الذي اضطر إلى الإنسحاب إلى الشام . وفتحت الموصل أبوابها للجيش الخراساني مستقبلة إياه بالتهليل [١] .

وفي حصار واسط أغرى أبو جعفر (المنصور) القبائل اليمانية المعتصمة في داخل المدينة مع يزيد بن عمر بن هبيرة والي الأمويين على العراق قائلاً لهم « السلطان سلطانكم والدولة دولتكم » . وقد ثمّن الخليفة أبو جعفر المنصور موقف القبائل اليمانية ومعاضدتها للثورة العباسية قائلاً :

« فيحق لنا أن نعرف لهم حق نصرهم لنا، وقيامهم بدعوتنا، ونهوضهم بدولتنا » [٢] .

وفي حصار دمشق يستنجد عبد الله بن علي العباسي قائد الجيش الخراساني

---

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١١٥ ، « ووافى مروان الموصل منهزماً فمنعه هشام بن عمرو من دخول الموصل وسوّد هشام وأهل الموصل » .
(٢) الازدي ، المصدر السابق ، ص ١٩١ — ١٩٤ .

باليمانية من أهل الشام قائلا: « إنكم واخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا ..[1] » . وعلى هذا فعلينا ألا نستغرب بافتخار العرب بأنهم سند الدعوة ونقباؤها وأنصارها [2] . ولا عجب كذلك من رفع الدعوة شعار « يا محمد يا منصور » . محمد هو محمد بن علي العباسي منظم الدعوة والمنصور هو « منصور اليمن » أي المنقذ اليماني الذي تذكره الملاحم والنبؤات وتتوقعه القبائل القحطانية اليمانية .

الخاتمة :

ولعل ما ذكرناه من نصوص قد أوضح بجلاء أن الوقت قد حان لاعادة النظر في التفسير القديم للدعوة العباسية الذي يُدّعَى بان الدعوة قامت على أكتاف الفرس واستبداله بتفسير جديد يبين بوضوح بان العنصر المحرك للدعوة كان العرب الخراسانية الذين كونوا أغلبية الشيعة العباسية يساعدهم في ذلك الموالي والفرس . على أننـــا لاحظنا بأن الفرس لم يكونوا إلى جانب طرف واحد فقط من الطرفين المتنازعين العباسي والأموي بـــل نجدهم يحاربون في صفوف المعسكرين ولكن دورهم لم يكن كبيراً بحيث يمكن مقارنته بدور العرب . وعلى هذا فالثورة العباسية لم تكن عنصرية كما فهمها بعض المؤرخين بل على العكس فان فهمها للاسلام كان أكثر شمولاً وأوسع نطاقاً من الفهم الأموي الضيق للاسلام .

* * *

الدكتور فاروق عمر

كلية الآداب – جامعة الرياض

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .. ثم إن العباسيين أكرموا شيوخ القبائل الذين ساعدوهم بمنحهم القطائع حيث أقطع أبو العباس وائل السجاحي الازدي الموصلي قطيعتين بربض مدينة الموصل . وزاد من ذلك الخليفة المنصور . (الازدي ص ١٣٦ ، ١٤٩) .

(٢) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، (مناقب الترك) .

شاعر تهامة في القرن السابع الهجري

محمد بن حِمْيَر

جمال الدين محمد بن حِمْيَر ... شاعر الدولة الرسولية في عهد مؤسسها الملك عمر بن علي الرسولي الملقب بالمنصور ولد بوادي سهام من تهامة اليمن، وكان في أول أمره منقطعاً إلى (محمد بن الحسين البجلي) و (محمد بن أبي بكر الحكمي[1])اللذين آلت اليهما الزعامة الروحية والاجتماعية في تلك المنطقة وقد بلغ من نفوذهما الروحي أن عمر بن علي الرسولي استعان بهما في توطيد حكمه . كما مدح ابنُ حِمْيَر غيرهما من أمراء الاقطاعيات في تهامة .

لا نعلم شيئاً عن نشأة هذا الشاعر ولا عن تحصيله العلمي ، ولا شيوخه الذين أخذ عنهم ، وكل ما لدينا من مصادر نجدهـا بعد الإشادة بشاعريته لا تعدو ذكر انقطاعه في أول أمره إلى (البجلي) (والحكمي) ثم بعد ذلك إتصاله بالملك (عمر بن علي الرسولي) الذي امتد سلطانه على اليمن وتهامة من عام ٦٢٦ إلى ٦٤٧ وشمل الحجاز فترة من تلك المدة ، وفي عهد مؤسس تلك الدولة كان ابنُ حِمْيَر لسانها الشاعر ، وصوت دعايتها الناطق ، وإلى ذلك يشير زميله الشاعر المخلافي[2] (القاسم بن علي بن هُتَيْمِل) في قصيدة جوابية بعثها اليه :

سيدي ؟ ما دَمِي عليكم حرامُ ... ليس في سفكه عليكم اثامُ

أنت أولى مني بروحي فاحكُمْ ... لك فيها ، فما إليّ كلامُ

بليت جدة الليالي وما جُـ ... ـدّتْ بوصل ، وبادتِ الأيامُ

ومضى للصدود شهرٌ فشهرٌ ... ما تداركتني ، وعام ، وعامُ

---

(١) راجع ترجمة كل منهما في كتابنا « التصوف في تهامة » .

(٢) نسبة إلى المخلاف السليماني مقاطعة جازان حالياً . راجع كتابنا « القاسم بن هُتَيْمِل » دراسة وتحقيق وشرح وتحليل طبع دار الكتاب العربي بمصر .

حاش لله ما أظنك إلاّ .. صنمٌ شُبّهتْ به الأصنامُ
عبدك الرّق مات من لوعةِ البين وليداً ، وشاخ وهو غلامُ
أتراني أحظى بلثم ثنايا ك كفاحاً ، وقد أميط اللثامُ
وتلاقى الأرواح حين تلاقى في العناق الأجسامُ والأجسامُ
لي من ظفرتيك روح وريحا ن ، ولي من مدام فيك مدامُ

* * *

يا نسيم الأسحار فيك شميم من بَشام الـلّوى فكيف البشامُ ؟
أعقيق اللوى عقيق اللوى والعـ ـلم الفرد ؟ والخيام الخيامُ ؟
ما لنا يا رفاق زعزعنا الشو ق وللعيس تحتنا إرزامُ
قلتما : لا أُلِمْ بالطلل الوحـ ـش وهيهات منّي الإلمامُ !
أفبدعاً إن قلت : يا دار حُيّيـ ـت ! ويا ربعهم عليك السلامُ ؟

* * *

لا نبا الغيث عن (سهام) ولا زا لَ يمجُّ المياه ريّاً سهام
بلد توجد المروءة والثروة فيـ ـه ، ويُعدم الإعدام
جمعت في (محمدٍ) آلة الفضـ ـل فحارت في وصفه الأقلام
الجواد الجواد والسيد السيـ ـد والصارم ، الحسام الحسام
يعربيٌّ تَرَاَفدَتْهُ عروق الـ ـوالدينِ الأخوال والأعمام
راعف السيف واليراعة تمضي بيديه السيوف والأقلام
ساحة تشبع الضيوف ويربو الطفـ ـل فيها وتنعم الأيتام
وإذا ما عددت في شرف المسـ ـعى عصاماً فأين منه عصام ؟
إنما لابن حِمْيَرٍ قدم السبـ ـق وحيداً ، وتستوى الأقدام

* * *

قمت فرداً بـ (دولة الملك المنصو ر) بالشعر حين عزّ القيام
بقوافٍ تهز من أعجز الجيش الرّ سوليّ ، وهو جيشٌ لُهام

* * *

نحن سَيْفَا غِمْدٍ وقد علم العا ... لم أنّا ذو النـون والصمصام
أنا لولاك ما عُرِفْتُ وما السيـ ... ـل ، بشيء – في الأصل – لولا الغمام
بأبي – يا محمـد – أنت انعَمْـ ... ـت بفضل من دونه الإنعـامُ
فلماذا طوقتـني ، ولأمرٍ ... طُوقت في زمان نوح الحمـامُ ؟ !

وهكذا بهذا الأدب العالي الرفيـع والتواضع المحبب نجد شاعرنا يجيب زميله في القلم ، وضريعه في الشعر ، ويا حبذا لو وُجدت القصيدة التي بعثها ابن حمير – مسبقاً – إلى رصيفه . لتكمل بذلك الصورة البـيانية لمساجلة شعرية بين شاعرين يتخلقان بالخلق الرفيـع ، والأدب العربي الأصيل ، وكما يختلف الناس في كل عصر في شاعرين متعاصرين ، ويميل فريق إلى تفضيل هذا وفريق إلى تفضيل ذاك يظهر أن أهل زمانها خاضوا خوضاً غير يسير في ذلك ، إلا اننا نجد شاعراً من منطقتنا هو ابن سحبان [1] يتحامل قليلاً على مواطنه ويظلع في تفضيل ابن حِمْيَر فيقول :

أما قصائد (قـاسم بن هُتَيْمل) ... فمـذاقها أحـلى من الصهباء
هو شاعرٌ في عصره فطن ولـ ... ـكنٌ (ابنَ حِمْيَرَ) أشعر الشعراء

---

(١) هو الشاعر الخلافي – نسبة الى المخلاف السليماني = منطقة جازان ، حالياً = « أبو عامر منصور بن عيسى بن سحبان » بالسين المهملة المضمومة ثم حاء مهملة ساكنة بعـدها باء موحده فـألف وآخره نون ذكره صاحب « العقود اللؤلؤية » ج ١١١/١ ونسب اليه البيتين السابقين وجاء في كتاب « الجواهر اللطاف = مخطوط ص ٥٧ عند ذكر بلدة « نجران » في « وادي ضَمَد » ما نصّه : لم أقف له على علم حتى اطلعت على تاريخ شيخ الإسلام القـاضي حسن : نجران القديم المقبور فيه الشاعر البليغ القاسم بن هتيمل الضّمدي والشاعر الأديب الشهيد بن سحبان فاذا هو = قرية « = مختارة » . الخ = راجع كتابنا المعجم الجغرافي = طبع دار اليمامة ، ولقد أعياني البحث في الوقوف على شيء من شعره فـلم أجد غير البيتين السـابقين وأخيراً وقع في حوزتي كتاب « العقد الثمين في تأريخ البلد الأمـين » للفاسي فعثرت في ص ٢٦٥ ج ٦ في ترجمة الشاعر « علي بن محمد الحنديدي على قطعة شعرية لشاعرنا بن سحبان الا ان الاسم ورد محرفاً باسم « أبي عامر منصور بن عيسى بن سيحان أي بالياء المثناة قبـل الحاء فقال : « كان الحنديدي المذكور هجا الأشراف أصحاب المخـلاف السليماني فكتب اليه = وأورد الاسم = بقصيدة يعاتبه على ذلك » الى ان قال وهي على روى قصيدته التي هجـاهم بها ، وهي :

فقل لي يا عـليُّ بـأي وَجْه ... جعلت قنـاع حرمتهم مُذالا ؟
تلقب بعضهم فيهـا حميْراً ... وتجعـل بعضهم فيها بغـالا ←

ابن حِمْيَر والدولة الرسولية :

رأت تلك العقلية النيّرة – عمر بن علي الرسولي – وهو يقوم بدور المؤسس لدولة تربعت على عرش اليمن وتهامة وشمل سلطانها الحجاز وحضرموت وعدن وظفار أن تستعين بشاعرية خصبة تشيد بمآثرها وتسجل مفاخرها بما يغسل الأدمغة التي مُلئت بعظمة الأيوبيين الذين استولوا على اليمن ما يزيد على نصف قرن من عهد صلاح الدين الأيوبي البطل الخالد والذي أضفى على الأيوبيين بريقاً من المجد وروعة من الجلال في العالم الإسلامي بأسره ، رأى أن يستعين بوسائل دعايةٍ فعّاليةٍ – ولا كالشعر وسيلة في ذلك العصر – فاصطفى ذلك الشاعر الفذ ، وشمله بعطفه ، ورأى الشاعر بدوره شخصية جريئة ،

← (أليسوا خير من ركب المطايا) ؟ … أليسوا خير من خلع النعالا ؟
وان زرنا قليل المال منهم … أبَش بنا وانصفنا ووالى
لقد أهلكت نفسك فاستقل ما … فعلت فكل من عثر استقالا
أتهجوا أشرف العربين آلا … وتمدح أخبث العربين آلا
متى وردت ركائبنا خفافاً … صدرن يحمّ نائلهم ثقالا
وإن جاءت اليهم بالقوافي … وضعن مدائحاً وحملن مالا
فلم وعلاك تهتك غير عرض … سمين ليس يعتاد الهُزالا
وكيف تبيع ديناراً بفلس … يكون عليك مكسبه وبالا ؟
فتب عما اجترحت من الخطايا … لعل الله يغفرها تعالى

ومنها :

فقد أنصفتهم وأجبت عنهم … بقول يطمس القول المحالا
فإن كلفت شتم الشمس يوماً … فليس يزيدها إلا كمالا
أفي ولدالعواتك من قريش … يصادف قائل الفحشا مقالا ؟
ولا يغررك بُعْدُكَ فالليالي … بما ترجو وما تخشى حبالى
فبعد هجاك مخلاف ابن طرْف … فلست للكه ترعى وصالا

وقد استفدنا من « العقد الثمين » معرفة العصر الذي عاش فيه شاعرنا فالحنديدي توفي سنة ٧٠٧ هـ ، فشاعرنا إذن عاش في القرن السابع فعاصر زميليه ومواطنه الشاعر ابن هتيمل وضريعه ابن حِمْيَر أما موطنه فقد فهمنا من عبارة صاحب « الجواهر اللطاف » بأنه من نفس بلدة ابن هُتَيْمل وانه قُبر بها ولم يذكر غير ذلك ويرد اسمه في بعض المصادر عند ذكر اسم الشاعرين أو أحدهما فيقال قال الشاعر ابن سحبان « البيتان » السابقان . والعجب في أمر هذا الشاعر انه قتله بعض من ردّ عنهم على هجاء الحنديدي كما أورد ذلك صاحب «الجواهر اللطاف» .

وقيادة حكيمة ، وموهبة من أسطع المواهب التي تشيد الممالك ، وتبني الأمجاد ، فسحرته انتصاراتها السريعة ومنجزاتها البعيدة ، وآمالها العريضة ، فسخّر شاعريته الخصبة ، وأوقف موهبته الأصيلة في تمجيد انتصاراتها ، وتخليد آثارها بما يغسل الأدمغة من روعة الماضي القريب ، ويملأ فراغها بزهو الواقع الجديد ، ويرسخ في الأذهان نضارة عهدها وجديد مجدها ، مما ستقرأ بعضه بعد هذا .

سجل الانتصارات :

في عام ٦٣١ هـ نقض الأمير (عماد الدين الحمزي) الصلح الذي أبرمه مع المنصور الذي هادنه رغبة في توطيد دعائم ملكه الجديد ليتفرغ لمجابهة الأيوبيين الذين خلع طاعتهم ، واستقل بملك اليمن دونهم ، وكأنّ الأمير الحمزيّ شعر بحركة من الأيوبيين عبر (الحجاز) أو أوعز إليه منهم ، وأراد الملك المنصور أن يثبت للجميع أنه أقوى مما يظنون وفوق ما يحدسون، فنهض مسرعاً في جيش لجب استعاد به في اسبوع واحد جميع ما استولى عليه الأمير من الجبال والحصون وهي :

١ — البَون	٤ — مَبْيَن
٢ — الحسب	٥ — الرُّديني
٣ — الحَادِر	٦ — قِلْحَاح

وجميعها من الحصون والجبال المنيعة حول ما يسمى الآن بمنطقة (حَجَّة) وفي ذلك يقول ابن حِمْيَر من قصيدة :

هنئت بالنّصْرِ لما جئت في لجب ... مظلّلاً بالردينيات والقُضب

ومرحباً برسوليّ الملوك وان ... غاب السماكان والجوزاء لم يغب

غزوت(مَبْيَن) إذ هاجت شقاشقه ... وفي (الرديني) ألفاف من العرب

فاليوم (قلحاح) لايرغو بها جملٌ ... والذئب لو نطحته الشاة لم يثب

وفي سنة ٦٣٥ تقدم (المنصور) لاستعادة (مكة) المكرمة — من الأيوبيين — في ألف فارس ، وهي قوة في ذلك العهد يحسب لها — كما يقال —

ألف حساب ، ويلاحظ أن هذه هي المرة الثالثة التي يتصادم وجهاً لوجه مع الجيش الأيوبي على (مكة المكرمة) ويستعيدها منهم ، وعندما دنا بجيشه منها علم أن للأيوبيين جيشا قوياً بها بقيادة قائدهم (جفريل) فأحب أن يصل إلى غايته بأقصر السبل ، فأذاع أن كل جندي يقبل اليه يمنح ألف دينار وفرس وكسوة، وأنه لإغراء للنفوس الوضيعة يسيل له اللعاب ! فأقبل اليه أكثر الجيش الأيوبي في مكة مما اضطر (جفريل) إلى مغادرتها ناجياً بنفسه فدخلها معتمراً فقال شاعره من قصيدة مستهلها :

ماضر جيران نَجْدٍ حيثما بعدوا لو أنهم وجدوا بي مثل ما أجدُ

إلى أن يقول في ذلك الإنتصار :

قل للقصائد : خبّي وارملي وخِدِي مثل النجائب في القفر الذي تَخِذُ
قُصّي الحديث عن (المنصور)مافعلت جنوده ، وعن القوم الذي حشدوا
لقيتهم بجنود لا عـــديد لها وهم ، كذاك جنود ما لهم عددُ
فزلزل الرعب أيديهم وأرجلَهم حتى السماء ، رأوها غير ما عهدوا
وَلَّوْا . وكان الذي يلقى بهم أسداً فعـــاد ثعلب قفر ذلك الأسدُ
ومن يلوم (أميراً) فرّ من (ملكٍ) لاذا كذاك ، ولا كالخنصر العَضُدُ

أترى معي كيف يصور الشاعر هذا الملك الجديد في هذين القطعتـــين تصويراً يبعث الرعب في قلوب أعدائه والمناوئين لعهده ، ويرسم له صورة مقنعة بصفة غير مباشرة عن طريق اليأس وشدة الغَلَبَة وروعة الجيش ، وعظمة السلطان ، وفيها من قوة الإقناع والإعتداد ما يفت في عضد الخصوم ويوهن عزائم المناوئين .

وبعد هذا التصوير الرائع في ميـداني الوغى فلننظر إلى صورة أخرى يصفه في بلاط ملكه وعرش مملكته ، في قصيدته التي وفـــد عليه بها في (الدُمْلُوَّة) ونلاحظ أن للشاعر قدرة خارقة على ما نسميه روح الفكاهة أو السخرية اللاذعة في عصرنا هذا فهو قدير على التصوير الهزلي (الكاريكاتور) إذا أراد ذلك فنراه يتخذ من موقفـه وسيلة إلى الشكاية من أصحاب الخراج

الذين أمضُّوه بتقاضي رسوم مزارعه ، فيصورهم في صورة مضحكة ، يصل إلى غرضه فيهم بدون فحش ولا هجر . ولنأت الآن على القسم الأول من القصيدة .

هل عندكم من أناسٍ باللوى خبرُ ؟ أم لا فأترك دمع العين ينحدرُ
مالي وقفت على الباناتِ أسألها عنكم،وليس يجيب السائل الحَجَرُ ؟

ويعجبني في هذه القصيدة قوله :

قومٌ إذا هجروا قالوا : جرى قدَرٌ فما لوصليَ لا يجري به القدر ؟!

والذي سبق شوقي إلى ما يستظرف في بيته المشهور في قصيدته(يا لائمي في هواها والهوى قدرٌ) الخ وإن كان هذا المعنى طرقه كثيرون غيرهما .

إلى أن يقول في المديح :

أهدي إلى الملك (المنصور)من مِدَحي عطراً ، يقصر عنه المَنْدل العطرُ
وأنشد الشعر حيث الدست محتفل ولا ينهنهني ، عِيٌّ ولا حَصَرُ
حيث المآثر فيها الخيل عادية والوَشْيُ يُخلَع والآلاءُ والبِدَرُ
حيث الممالك لا يُلْوى لها عنقٌ والملك أقعس ما في عوده خورُ
وأبيض الوجه يستسقى الغمام به والأرض تخضَرُّ،حتى أنه (الخضر)
الله أكبر ما هذا الجمال وما هذا الجلال وماذا الخبر والخبر ؟!
ماذى الجنائب ما هذي العجائب ما هذي الكتائب والأرماح والغرر ؟!

* * *

أبا الثلاثة كالأشبال إن ركبوا وكالكواكب في النادي إذا سفروا
قد قيل: جاورْ لتغنى البحر أو ملكاً فالبحر أنت، وأنت الملك يا(عمر)!

أما تلك الصورة الهزلية بشكواه من عمال الخراج فنرى من المناسب جداً أن نؤجلها قليلاً مع قصيدة أخرى من نوعها تدل على ما يتمتع به الشاعر من روح السخرية والنكتة اللاذعة .

سرعة البديهة :

سرعة البديهة من المواهب النادرة تنقذ صاحبها في أحرج المواقف وتفحم خصومه، وتشل قواه العقلية في سرعة خاطفة تورث الاعجاب وتبعث على الاستحسان . وابن حمير له رصيد وافر من تلك الموهبة نكتفي بايراد هذين الشاهدين :

١ – وفد الشاعر المصري المعروف (التاج ابن العطار) إلى بلاط الملك المنصور) وكان على معرفة سابقة به من مصر إبان تردده اليها في خدمة الأيوبيين ، فأكرم الملك وفادته، ونظمه في سلك جلسائه ، إلا أن ابن العطار رأى من إيثار الملك لابن حمير ما يبعث الحسد فقال له ذات يوم – ممازحاً في المجلس : يا مولاي أنا شاعرك من مصر ، وعلى معرفة منكم قبل ابن حمير وأراك برغم ذلك تفضله وبناله من برك وصلاتك فوق ما يصلنا !. فقال له : ابن حمير خدم دولتنا منذ أسسناها ومع ذلك نجده حاضر القريحة سريع البديهة ، وأنت مع فضلك وأدبك بطيء الاستجابة . والتفت مبتسماً إلى ابن حمير – الذي كان حاضراً – وقال: ما تقول في موقف ابن العطار؟! فقال على البديهة :

مستشعر بعمامة معقودة لو بعثرت تمات الفضاء خميرا
وأبوه عطار فما بال ابنه يهدى(الصُّنَّان)إلى الرجال بخورا

وكان ابن العطار مشهوراً بنتانة الأبط ، فضحك الملك وكل الحاضرين ، وقال الملك لابن العطار: مأذون لك في الاجابة عليه فلم تسعفه بديهته بشيء

٢ - وفد على الملك ابن أخيه (أسد الدين) أمير صنعاء ومعه شاعره المسمى علي بن أحمد،وفي أحد مجالس الخاصة وابن حِمْيَر حاضر أخذ الأمير في الثناء على شاعره والتنويه بمزاياه ، غير مراعٍ لحرمة ابن حمير الذي يعتبر شاعر الملك نفسه ، فقال الملك لابن حمير : ما تقول في (علي بن أحمد) شاعر الأمير أسد الدين ، فقال ارتجالاً :

أنا البحر فيّاضاً بكل غريبـــة   أحَلّي بها (المنصور) دُرّاً، وجوهرا
وما أن أبالي عن (علي بن أحمـد)   وعن شعره (ذقن) بن أحمد(في المسك)

فقال الملك ضاحكاً: ما الذي غير القافية من الراء إلى الـكاف ؟ قال : حرمة ابن أخيك .

مع الشاعر وبعض ممدوحيه :

أشرنا في المقدمة إلى بعض ممدوحيه ، وهنا نورد طرفاً من ذلك قـــال المؤرخ (وُطَيْنوطُ) - مخطوط -:ومن شعره -الضمير يعود إلى الشاعر- قال يمدح زكريا الحَدَقيّ :

إني سألت الندى بالأمس أين نشا   وأين منه مكان العود والورق ؟
وقلت:هل أنت منسوب إلى (هرم)   أو (حاتم) وعطا مما مضى وبقي ؟
فقال : لست لهـــذا ، أو لذاك ، وذا
أصلي وغرسي ، وفرعي ، في (بني الحدقي)

وكان (زكريا) هذا من زعماء جهته ، وكرماء عصره ، وفـد إليه في يوم واحد ثلاثة من الشعراء وهم :

١ - الشاعر محمد بن حمير . ٢ - الشـاعرة بنت السرددي . ٣- الشاعر ابن الأصمع .

وأعتقد أنه لأول مرة يتاح لاسم هذه الشاعرة العربيـة أن يبرز للنشر وسيجد القارىء نموذجاً من الشعر المعجب المرقص لهذه الشاعرة العربيـــة التهامية - من تهامة اليمن - وصلوا في يوم وساعة واحدة فأكرمهم ثم جلس لهم ، فأنشده ابن الأصمع قصيدة حُمَيْنيّة - نوع من الشعر الشعبي - ثم أنشدته الشاعرة قصيدة استهلتها بهذا المقطع الراقص :

ما بال أهلك يا سعاد   قـد غيروا عهد الوداد ؟
تحميهم جرد الجيـــاد   والسمهريات الحـــداد

وكانت الشاعرة إذا قصدت أحد ممدوحيها ركبت اليه في محمل ، ورواتها في حمل ، فأخرج (الحدقي) الجوائز وهي : ٢٠٠ و ٣٠٠ و ٥٠٠ ، وقال

للشاعرة: احكمي بحكمك في التوزيع فقد أنطت ذلك برأيك أيتها الشاعرة، فقالت لرفيقيها : أرضيتما ؟ قالا : رضينا ، قالت : الخمسمائة للفقيه – تقصد ابن حمير – والثلثمائة للبعير – تقصد ابن الأصمع – والمائتان للناقة – تقصد نفسها – . ونلاحظ أن لقب (فقيه) قد لقب به الشاعر (عمارة) فهل هو لقب تكريم كما كان في الأندلس فإني أتذكر أن الأندلسيين كان لقب الفقيه من ألقاب التكريم حتى للأدباء والوزراء .

ويروى أن الملك (المظفر) قال يوماً لابن حمير : سمعت قصائدك فينا وقرأت قصائدك في ابن سهيل الزني و (دجم) فإذا في مديحك لهما إجادة وتفوق ! فقال ابن حمير : هل يتسع لي حلمك إن قلت ؟ قال : نعم! قال : ياسيدي جائزتي منك ألف دينار ، وأنا أسير إلى رحابكم في عشرين شخصاً من الرواة والرفاق وهم يحتاجون إلى أربعمائة دينار ، والبيت ورائي، يحتاج الى اربعمائة، ومصاريف الرحلة مثلهما ، ثم نصل نطلب الإذن اياماً فيقسو المدح وتصلد القريحة ، ومع كل ذلك فالوزير يحتاج قصيدة و (الزمام) اخرى و (استاذ الدار) ثالثة وكذا (سند الباب) وكل هؤلاء محسوبون على جائزتكم السنية ، وابن دجم و (الزني) قالا : لو تجيء كل يوم بقصيدة لك اربعمائة دينار يا مولاي ينشىء شاعركم القصيدة واهل البيت يطبخون الغداء وأخرج فأنادي (نعم) – (نعم) فيخرج اليّ الشيخ يحمل غلامه الكرسي فيسمع مني القصيدة وأنصرف بجائزته اربعمائة دينار ، واعود الى بيتي قبل ان ينضج الطعام !! فسر الملك من صراحته واحسن اليه .

السخرية اللاذعة :

ان السخرية اللاذعة والتصوير البياني الهزلي من أقوى خصائص هذا الشاعر فهو يصدر عنه عفوياً فيبلغ من خصمه الغاية بدون فحش ولا هُجر ، لقد سبق أن رجونا من القاريء الكريم إرجاء القطعة الخاصة بشكواه الى الملك من عمال الخراج الى هذا المحل وها نحن نقدم هذه القطعة الفنية فاننا نراه يستعرض لصوصية من نوع آخر تجمع التزوير والاختلاس والابتزاز تحت صولة الأمر وسلطان الدولة ، بوسائل بارعة من الحك والشطب والكشط ،

ويوضح لنا أدوات القوم من السكاكين الصغيرة – في وقت لم تعرف فيه – طبعاً – آلات محو الكتابة الحديثة من سائلة وجامدة وبالطبع الدفاتر غير مطبوعة فالقوم يفكون حبكاتها وينزعون الورق المراد انتزاعه ثم يستعينون (بالكستبان) وهو نوع معروف من غطاء معدني لرأس الابهام يستعين بها – الى وقتنا – الخياطات في دفع الابرة أثناء الخياطة وقد يقول القائل : هـــذه وسائل قديمة قد تطورت مع تطور العصر ، ونقول نحن نستعرض الماضي وقد حفظ لنا الشاعر صورة لواقع قبل سبعمائة وخمسين سنة في صورة بيانية شيقة اذ يقول :

فارقت أرض (سهام) وهي موترة ... لي (السهام) وفي كَدْرائها الكدر
ما زلت أزرع زرعاً لا افيد به ... شيئاً ، وزرع (سهام) كله مرر
كم ذا اعـــدد للكتاب فاقرةً ... والقوم لو سلقوا في الدست ما اعتبروا
تمسي السكاكين ليـــلاً في دفاترهم ... تمحو وتكشط منها كل ما سطروا
والصبح يصلح منهم حرف حسبته ... و (الكستبانة) عند القوم والإبَرُ
لو ان الف لجـــام في رؤسهم ... شقوا اللجام ، وراح السرح والبقر
قومٌ تواصوا على فعل القبيح كما ... قدمًا تواصت على أبوالها الحُمُرُ
الف وست مئين كلها اندفعت ... إلا القليل ، ونومي كله سهر
وزيدوا في حسابي وهي عادتهم ... لا يبرح الفأر تحت السّدّ يحْتَفِرُ
عظمي زجاج وجروا المنجنيقة لي ... ان الزجاج بادنَى الشيء ينكسر
عساك تعتق رقي من تغطرسهم ... فقد ملَّتْ وما ملّوا وما اعتبروا
احسن رجوعي أمدّ الله عمرك لي ... وانظر اليّ عسى ان ينفع النظر
ان التجار اذا عادوا وقد ربحوا ... أنساهم الربح ما عنـــاهم السفر

* * *

وقد يكون القصد من هذا التصوير البارع حسن الطلب في إعفائــه من رسوم تكاثرت عليه لصندوق الدولة .

أما الصورة الثانية فهي أروع وأغرب في موضوع يتصل بشخصية الشاعر مباشرة مع أمير من أمراء الإقطــاعيات في اليمن الأعلى ، قصده الشاعر كما

يقصد مثله من الشعراء أمثاله من الأمراء والوزراء - في تلك العهود - فماطله أياماً على الإذن وتركه أسير بابه وقعيد رجائه ، حتى ضاق الشاعر ذرعاً بالمقام ، فكتب للأمير رقعة ضمنها بيتين من الشعر أنشأهما إرتجالاً وهما :

بالباب أصلحك الله امرؤ لسِنٌ أمضّه السيْرُ والإدلاج والسهرُ
وافى إلى أرض (خولانٍ) فصادفها مثل (القتادة) لا ظلٌ ولا ثمرُ

فأعادها الأمير اليه بعد أن وقع تحتها (بل كالغمامة فيها الظل والمطر) ويظهر أن هذا الأمير على جانب من الأدب ، وقد يقول القائل : ومن هو هذا الأمير وما اسمه ؟ فنقول له انه الأمير عمارة الشيباني صاحب حصون (يمن) و (الشواهد) وهو ممن أقره الملك عمر بن علي الرسولي على اقطاعه ، ثم أذن للشاعر بالدخول وسمح له بالإنشاد ، فألقى قصيدته ووصله وبعد الإكرام والضيافة أذن له بالعودة إلى بلده ، وإنما في منطقة نفس اقطاعية الأمير اعتدي عليه ونهب كل ما أعطيه وما معه ، فاحتدم قلب الشاعر غيظاً ، واشتعل قلبه حنقاً من ذلك الشخص ، الذي أغفل شأنه أولاً ، وتركه أياماً في بابه ثم لما لفت نظره أنه شاعر ولسن أذن له وسمع مدحه ، وأجزل صلته ، ثم دبر له ذلك الفخ الذي سلبه كل حصيلته .

انصرف الشاعر عائداً يتميز من الغيظ ، انه كشاعر لا يملك إلا لسانه وموهبته الفنية ، أيشتكي إلى الملك فسوف يعتذر الأمير بأن لا علم له ، وأن قطاع طرق مجهولين سطوا عليه ، وأنه سيوالي البحث والتحري ، وقد يعوضه الملك ، وإنما أين كل ذلك من الوقع الأليم في نفس ذلك الشاعر الحساس . وقد يرى في الشكوى غضاضة ، وهو الذي يتمتع برعاية البلاط الرسولي ، فتراه يكظم غيظه ، ويتناسى موقتاً حرده ، ويعاوده اعتداده بفنه وثقته بموهبته فيدير الرأي في روية ، فتهديه الحيلة إلى شيء هو بالنسبة إلى ذلك الأمير انفجار ينسف حصونه ، ويدمر معاقله ، ويمحو تلك الاقطاعية التي هي كل شيء بالنسبة إلى ذلك الأمير ، فينشيء هذه القصيدة اللاهبة ، ويحملها في طيات جيبه ، ويتحين الفرصة الملائمة في مجلس الملك ، ويقوم رافعاً عقيرته فيقول :

ما شاق قلبي إدلاجٌ وإبكار ولا شجتني أعلام ، وآثارُ
ولا اسائل أهل النجد ان نجدوا ولا اسائل اهل الغور ان غاروا

ويستمر غير قليل في هذا الغزل الحزين إلى أنْ ينصب إلى موضوع زر التفجير فيقول :

قد يزأرُ (الذئب) اذ لا حوله أسدٌ ويصهل (العير) إذ لم يلق (خطار)
سُرِرتُ باليمن الميمون حين صفت لابن (الرسول) فما في تلك اكدار
وكان فيها (عظاريط) زعانفة فما بقي من بني (البظراء) ديار !
لكن بقى فرد (ثؤلُولِ) تعاب به والنار تسهل مركوباً ولا العار
انقلت : لم يبق سلطان سوى (عُمَرِ) قالوا: بلى،ويَبقَى السلطان(عمَّارُ)!
أوقلت: لا قصر إلا قصر(دُملُوْةِ) قالوا (يمين) عليه(التاج) و (الغار)!

وهنا لا أظن الملك إلا وقد تصاعد الدم في وجهه ، وغلى مرجل الغيظ في صدره ، وتنبهت مخاوفه الغافية من ذلك الأمير الذي جعله الشاعر شريكه في الملك ، وضريعه في السلطان ، فهل وقف الشاعر عند هذا ؟ لا فما تقدم إلا التمهيد للضربة القاضية فيواصل الانشاد في انفعال وقوة تأثير فيقول :

فخذ (يميناً) ولا تقبل معاودة فالكلب حيث خلى بالعظم جبّار
لم يتفق قط (سلطانان) في بلد هل يدخل الغمد (بتار)و(بتار)؟!

الجواب بطبيعة الحال كما يقول المثل العامي:(لا يصلح سيفين في جفير، ولا حاكمين في بلد) ؟ ثم يشدد ليضرب بقوة على الوتر الحساس مواصلاً الانشاد :

ما غبت الا رمى بالعين(دُملُوْةَ) وظل ينشد والأقداح دُوّارُ
و (ابن المجلي) يَمْنيْهِ بمملكة كلاهما اتّفقا ، طَبْلٌ ومِزمَارُ !!

وكأني به شعر بانه بالغ في الاغراء مما قد يأتي بعكس النتيجة فتراه يحاول جاهداً أن يضرب المثل ويأتي بالحجة المقنعة عن طريق الاعتبار بالماضي :

مولاي لا تحتقره فـ (ابن ملجم) قد   عدى بـ (حيْدَر) والغدّار غدار
بئس الخبيثة تحت الفرش (قمّلة)   والسّد شر كمين تحته (الفـــار)

ويقال إن الملك تنبهت مخاوفه، وما هي إلا مدة يسيرة حتى جهز جيشاً قوياً عام ٦٣٩ هـ استولى على حصونه ثم قتله .

الشاعر في عهد الملك المظفر :

في عام ٦٤٨ هـ تمكن (المظفر يوسف بن عمر بن علي الرسولي) من التربع على عرش المملكة الرسولية التي نازعه عليها أبناء عمه كما استعاد عدن ولحج وحصون المعافر وفي ذلك يقول ابنُ حِمْيَر من قصيدة :

وإن مَلِكٌ ولّى فــذي دولة له   وفي (يوسف) نعم المعوض عن عمرْ
اغار بها من سفح (ملحان ، شُزّبا   محجلة الأرساغ واضحــــة الغررْ
ونادت (زبيدُ) يا مظفر مرحباً   أضاء بك النادي وَقرّ بك المَقَرّ !
حصون أبيــه وهي في الشرع إرثه   وبالسيف ليس السيف إلا لمن قهـــر

هذا ما عثرنا عليه من شعره متفرقاً في عدة مصادر وقد فهمت من أستاذنا الشيخ حمد الجاسر انه اطلع على ديوانه في احدى دور الكتب بإيطاليا ، وكم أود منه أن أن يضيف إلى إفضاله السابق أن يسعى لحصولي على نسخة مصورة من ذلك الديوان ، كما سبق له معي في ديوان ابن هتيمل وديوان الجراح بن شاجر ، وليس ذلك على همة أبي محمد ببعيد . واتماماً للبحث نشير إلى ان المؤرخ الخزرجي ذكر انه له ديواناً وانه عزيز الوجود ، فإذا كان ذلك في عهد الخزرجي فكيف في وقتنا هــذا وقد تكون النسخة التي شاهدها الأستاذ حمد النسخة الوحيدة وقد يكون غير ذلك كما اني أنا شخصياً قد أعياني البحث عن الحصول على ديوانه .

توفي بمدينة زبيد ودفن في مقبرة باب سهام شرقي قــبر الشيخ مرزوق ابن حسن الصوفي كما حققه الخزرجي تغمده الله برحمته ورضوانه .

١٥/١٠/١٣٨٩ جازان   محمد بن أحمد العقيلي

مَعَ القُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

حول الامام ابن حزم

[جاءنا هذا التعقيب الذى نوجهه إلى الأستاذين أبي عبد الرحمن بن عقيل وأبي تراب الظاهري ، من حضرة الأستاذ الجليل محمد ابراهيم الكتاني من مشاهير الباحثين من علماء المغرب ، المعنيين حقّ العناية بتراثنا] .

ذكر الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل في مقالة (طوق الحمامة) لأبي محمد بن حزم في « العرب » الغراء (السنة الثالثة الجزء الثامن ص ٧٣٢) : أن لدى الشيخ أبي تراب الظاهري ثلاثة أجزاء من كتاب « الايصال » لأبي محمد ابن حزم .

كما ذكر في ج٣ من نفس السنة أن لدى الشيخ أبي تراب مخطوطة من مناظرة ابن حزم لأبي الوليد الباجي ، ونظراً لاهتمامي البالغ بتتبع آثار ابن حزم ، فإنني أرجو من الأستاذ ابن عقيل أن يتفضل بكتابة وصف شامل لهذه الأجزاء الأربعة يتضمن :

بيان ما هو الجزء الموصوف ، وما اشتمل عليه من الأبواب وما هو أوله وآخره ، وهل هو تام أو ناقص ، من الأول أو الآخر أو الاثناء ، وعدد الأوراق ، وحالة الجزء المادية ، ووصف الكتابة وتاريخ النسخ واسم الناسخ وتسجيل ما عليه الجزء من سماعات أو إجازات أو مقابلات أو تملكات ، والاشارة إلى وجود تعاليق بهوامش الصفحات إن كانت ، وما أشبه ذلك ، وحبذا لو أمكن مقارنة أبواب الجزء بأبواب « المحلّى » بحيث يذكر أن المباحث التي يتضمنها هذا الجزء الفلاني من (المحلى) من ص كذا إلى كذا لاعطاء فكرة عن النسبة بين تناول الموضوع الواحد في « الايصال » وتناوله في « المحلى » كلما أمكن التوسع في هذه المقارنة فهو افيد .

وكذلك فيما يتعلق « بالمناظرة » : كم عدد صفحاتها ، ما هي الموضوعات التي تناولها ؟ كم عدد صفحاتها ؟ حالتها ... من هو جامعها ؟ فان الغالب على

الظن انه ليس هو ابن حزم نفسه وهذا ما يجعل من التسامح عدها من مؤلفات ابن حزم كما فعل الأستاذ ابن عقيل ! وإن كانت لها صلة وثيقة بابن حزم .

وغير خاف على الأستاذ ابن عقيل ما لنشر هذه المعلومات التي نطلبها من فائدة عامـــة لجميع المعنيين بآثار ابن حزم وهم كثير في كل مكان ، ولكل المهتمين بالدراسات الاسلامية عموماً وبالتراث العربي بوجه أعم .

كما أنه لا أصل لما ذكره الدكتور شوقي ضيف عن كتاب في الشعر والموازنة بين الشعراء الذي قال : ان الحميدي ينقل عنه (دائماً) في «الجذوة»!! فليس في « الجذوة » أية إشارة لشيء من هذا بالمرة ! وقد ألقيت نظرة عابرة على « جذوة المقتبس » أحصيت فيها ١٧٨ مرة نقل فيها الحميدي عن ابن حزم بصيغة :ذكر لي ، أو حدثني أو أنشدني أو ذكر لنا أو قال لنا.وما أشبه ذلك ما هو صريح في تلقيه ذلك عنه مشافهة ولم يذكر في هذه المرات كلها كتاباً لابن حزم ينقل عنه إلا مرة واحدة فقط أثناء ترجمة الامام بقي ابن مخلد — رضي الله عنه — .

وفي مقابل ذلك نقل عن ابن حزم خمسين مرة بقوله : قال أبو محمد أو ذكره أبو محمد ، أو أنشد له ، وما أشبه ذلك من غير أن يصرح بأنه ذكر ذلك للحميدي وحده أو ومعه غيره ، ومن غير أن يسمي كتاباً نقل عنه ! على أن ما نقله ابن سعيد في « المُغرِب » عن ابن حزم وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف بما ذكر هو موجود بنصه في (رسالة في فضل الأندلس) لابن حزم —(« نفح الطيب » جـ٢ ص ١٢٠ طبع أوربا)، وغير صحيح أن ديوان ابن حزم الذي جمعه الحميدي على حروف المعجم هو الذي عثر عليه الدكتور يحيى حقي بل هو لجامع غير معروف وهو غير مرتب على الحروف ، وقد وقفت عليه في مكتبة السيد محمد بن علي السنوسي بالجغبوب بليبيا ، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب بالقاهرة .

كما أنـــه ليس بصحيح أن « مسائل أصول الفقه » هي نفس كتاب « الأحكام » بل هي غيره فهي نفس كتاب « مسائل من الأصول » التي صدر بها كتاب « المحلى » بعد التوحيد جـ١ ص ٥٠ — ٧١ من المسألة ٧٢ — ١٠٩

حول القعقاع بن عمرو التميمي

[نشرت « العرب » ص ٣٥٩ كلمة بتوقيع شاكر نعمة الله . تناقش بعض تعبيرات كلامية وردت في مقال أستاذ جليل ، عرفته حق المعرفة خلقاً إسلامياً قوياً ، وغيرة عربية كاملة ، وعلماً وسعة إطلاع ، وفوق ذلك وقبله عرفت فيه العالم العامل ، المؤمن القوي الإيمان ، غير أن حرص«العرب» على إتاحة الفرصة لكل كاتب أن يعبر عن رأيه حول ما ينشر فيها دفع إلى نشر تلك الكلمة التي هي في الواقع تتناول أموراً ليست جوهرية ، من زاوية ضيقة جداً ، لا تتجاوز تعبيرات فَـهِـمَ منها الناقد خلاف ما أراد الكاتب، ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القائل : لا تدع كلمة لأخيك لها محمل في الخير ومائة محمل في الشر ، إلا حملتها على الخير – أو ما هذا معناه].

وقد نشرها الشيخ محمد منير الدمشقي في « الرسائل المنيرية » جـ١ ص٧٧ – ٩٩ القاهرة ١٣٤٣هـ .

هذا وقد وضعت قائمة لمؤلفات ابن حزم ورسائله أوصلتها فيها ١٣٨ يشك في صحة نسبة خمسة منها اليه وإذا نحن أسقطنا من القائمة ما يمكن أن يكون تكرر ذكره لاختلاف التسمية التي ورد بها في المصادر المختلفة لم يقل الباقي عن نحو ١٢٠ الموجود منها كلا أو بعضا ٥١ يشك في صحة نسبة ٤ منها اليه والباقي يعتبر مفقوداً .

كما نبهت على عدم صحة نسبة ستة أخرى نسبت إليه خطأ .

وحبذا لو تحدث لنا الأستاذ ابن عقيل عن الشيخ أبي تراب الظاهري فترجم لنا ترجمة وافية تعطينا صورة عن علمه وظاهريته وشيوخه ومؤلفاته ونشاطه وبعض آرائه ، فان وجود ظاهري في هذا العصر من الغرائب التي تستحق العناية والاهتمام .

كما أن من المفيد جـــداً التحدث عما عساه يكون في مكتبته من نوادر المخطوطات وخصوصاً فيما يتعلق بالدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد .

رباط الفتح – المغرب الأقصى　　　　محمد ابراهيم الكتاني

إني أقوم متطوعاً بكتابة مقالات عن « فدائيين في تاريخنا » في مجلة « العرب » التي لقيها الأستاذ شاكر نعمة الله وهو يقوم متطوعاً بفهرسة مخطوطات مكتبة التربية الإسلامية بالكرخ ، وقرأ من بين ما قرأ مقالة عن الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه ، وهي إحدى المقالات بالعنوان السابق ، وكتب إلى مجلة العرب الغراء ينتقد كلمتي هذه ، وقد اشتمل النقد على ثلاثة أمور ، أحدها متعلق بالناحية التاريخية وقد ورد فيه ما يلي :

١ ــ أحداث أنكر وقوعها وكنت قد أوردتها وذلك حين قلت : إن بني تميم قاتل بعضهم بعضاً ، وأن بعض رؤسائهم وقف ينتظر ما يفعله منافسه إن ارتد يثبت على إسلامه وإن يثبت هذا المنافس يرتد هو كما كان من قيس ابن عاصم والزبرقان بن بدر .

فقال الأستاذ : « قاتل بعضهم بعضاً .. ولماذا ؟ إن في هذا التعبير مساساً بمن تمسك بالإسلام وكان الحديث عن الرؤساء الذين لا يشبهون القعقاع ولا يشبههم .

وكقولي : فمضى القعقاع في أربعة آلاف جندي ، ووصل حمص بعد انتصار المسلمين على الروم بثلاثة أيام ، فشاركوا في الغنائم ، وقال عمر رضي الله عنه : جزى الله أهل الكوفة خيراً يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار !

قال الأستاذ « ؟ » أهكذا توصف مشاركة القعقاع من أجل الغنائم ؟

٢ ــ أخبار ذكرها الأستاذ في نقده مخالفة لما نجد بين أيدينا من كتب التاريخ مثل قوله : إن بني تميم كان ارتدادهم قبل وفاة الرسول ﷺ حينما تنبأ فيهم مسيلمة الكذاب وسجاح .

٣ ــ أخبار انتقد عدم ذكرها كعدم تحقيق سنة وفاة القعقاع رضي الله عنه وأخباره في عهد رسول الله ﷺ وكيفية إسلامه وبدئه واشتراكه في الغزوات وأخباره الأخرى مع النبي ﷺ .

وهذه حرصت عليها وعلى ذكرها ولكن لم أجد لدي من المراجع ما يوضح شيئاً من هذه الأمور ، فهل يتكرم الأستاذ الفاضل بأن يتطوع بالحديث عن

دارة الكور ومواضع اخرى

لفت نظري ما جاء في الجزء الثالث من مجلة العرب في (شهر رمضان ١٣٨٩ في الصفحات (٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١) حول دارة الكور :

اذ جاء في البيت الثاني مما قال ياقوت (حسب شرحكم) بضم الكاف من شعر الراعي :

وفي (تدوم) اذا اغبَرتْ مناكبه أو (دارة الكور)عن مروان معتزل

وعن أثال الوارد ذكره في قول الجعدي :

جلبنا من الاكوار والسّي والقفا وبيشة جيشاً ذا زوائد جحفلا

في شعر لبيد :

لهند بأعلى ذي الأغرّ رسوم إلى أحد كأنهن وشوم

هذه التي جاءت ناقصة ليستفيد المسلمون من قراء مجلة «العرب» وأن يضمن بحثه رأيه في القسم الأول فيدلنا على مراجع تؤكد ماذكره بخصوص وقت ارتداد بني تميم والقبيلة التي ارتد فيها مسيلمة الكذاب ، وهل كانت بني تميم حقاً ؟ وبعد أن أقرأ ما يأتي به السيد الأستاذ في هذه الأمور التاريخية سأحاول أن أناقش الأمرين الآخرين وهما أمر التعابير الإسلامية والعبارات المضطربة[١] اللذين شملهما نقده ، وما ذلك إلا لتتضح الأمور لدى القارىء ولتقديم الأهم على المهم . وما أطمعني في الإستفادة من معلومات الأستاذ إلا ذكره فهرسة الكتب المخطوطة التي قد يكون فيها ما لا نعرف في التاريخ ، وسيكون عمله خدمة لتحقيق حياة صحابي جليل ومجاهد عظيم رضي الله عنه ورضاه. وشكر الله للاستاذ وحماه من أن يُذكّر بحديث رسول الله ﷺ الذي خاطب فيه سيدنا معاذ بن جبل[١] .

الكويت : **محمد علي العبد**

---

١ — ورد في القتال عن القعقاع رضي الله عنه أنه قال لأمير العراق: أترد السيل عن أدراجه هيهات لا والله ؟ وقد سقط منها : والله لا يسكن الضوضاء إلا المشرفية ويوشك أن تنتضى ويعجون عجيج العبدان ويتمنون ما هم فيه اليوم ، فلا يرده الله عليهم أبداً فاصبر . فقال الأمير: أصبر ! وتحول إلى منزله . ٢ — ورد في الكلمة المنشورة في العرب ص ١٠٨٤ — أنها سبب هزلهم من صحرائهم والصواب : سبب عزّهم في صحرائهم .

فوقنف فسليّ فأكناف ضلفع تربّع فيـــه تارة وتقيم
بعاقد تحل الواديين كليهما زنانير منها مسكن فتدوم

وحيث ان هذه الأماكن اعرفها معرفة تامة بأسمائها المذكورة ولا زالت تسمى بها في عهدنا لذا يسرني أن اوضح لـكم عنها بعض ما أعرفه :

١ – دارة الكور موقع معروف بهذا الاسم في أعلى جبل الكور المسمى بكور المَجَامِعة احدى قبائل سُبَيْع أهل رَنْيَة ويقع جبل الكور بفتح الكاف على جانب وادي (١) رنية ويبعد عن بلدة رنية بمسافة سبعة اكيال تقريباً (م ك . م) .

٢ – تدوم : جبل معروف بهذا الأسم يقع جنوباً عن وادي رَنْيَة بمسافة كيلين اثنين (ك . م) وعن بلدة رنية التي يقع واديها فيما بينها وبين الجبل المذكور (٣) اكيال ويرى بالعين المجردة من منازل رنية .

٣ – اما الواديان فيظهر انه يقصد بذلـــك واديي رنية وبيشة اللذين يلتقيان عند اسفل جبل ضلفع المعروف بهذا الاسم حتى الآن .

٤ – جبل سِلِيّ يقع فيما بين بلدة رنية وجبل ضلفع(٢) شرقاً عن البلدة ، على جانب وادي رنية جنوباً وفيما بينه وبين الوادي مزارع قائمة للأهالي ويبعد عن بلدة رنية بمسافة عشرة أكيال تقريباً .

٥ – وقنف جبل باعلاه حجرٌ واقف يسميه أهـــل رنية الخثعمي ويقع جنوباً عن جبل تدوم المار ذكره بمسافة اربعة أكيال (كيلو متر) تقريباً ويعتبر من جبل الكور السالف الذكر ويمر به خط السيارات المؤدي الى بيشة من بلدة رنية .

٦ – الأغر بهذا الاسم والغِرّان ايضاً شعاب تقع شمال غرب بلدة رنية وتبعد عنها بمسافة عشرة أكيال (كيلو مترات) تقريباً .

---

(١) قال الهمداني في « صفة جزيرة العرب »: الجبال المشهورة : الكور جبل رنية ، والكور بحرش .

٢ – يقع جبل سليّ بقرب الدرجة ٤ً١َ / ٢١ْ و ٥َ / ٤٣ْ ويقع جبــل ضلفع بقرب الدرجة ١٠ً/٢٦ْ و ١٠ /٤٣ْ .

٧ – أثال مورد ماء معروف بهذا الاسم ويقع غرباً عن شعب الأغر بينهما جبل يسمى السلف وهو من الجبال المحاذيـــة لجبل الكور . والعد المذكور لقبيلة الجامعة من سبيع : والصفح تحته جبل الكور الغربي .

٨ – الثغر معروف بهذا الاسم في بلدة رنية فيه مزارع ومساكن ونخيل على جانب سوق البلدة شرقاً مأهول بالسكان ويعود لقبيلة المراغين من سبيع اهل رنية .

٩ – أحد يوجد شرق مسيل وادي بيشة وشرق جنوب جبل ضلفع المار ذكره بمسافة (١٥) كيل جبل يسمى الآن حِداء بكسر الحاء وربما يكون هو المقصود .

١٠ – وما جاء في قول لبيد :

على الأغراض أيمن جانبيه وأيسره على كوري أثال

فإن المرء إذا وقف يستخيل (ينظر إلى السحاب أين يَتّجِهُ) متّجهاً جهة منشأ السحاب لبلدة رَنْيَة تكون الغرّان المار ذكرها يميناً عنه، ويساره عِدُّ أثال (العِدُّ المنهل القوي الماء) السالف الذكر .

فلكل هذه الأسباب أرى انه لا مجال للشك في صحة ذلك وان القصد فيما جاء في الشعر المذكور المواقع المذكورة .

١١ – أما عن زنانير فهناك جبال تكسوها الرمال تقع شرقاً من جبــل الكور المتقدم ذكره ولها رؤس عاليـــة ، فلعلها هي .

الطائف رشيد الحمود العبيلان

العرب : لحضرة الـكاتب الكريم الشكر والتقـــدير فقد أوضح المواضع المذكورة في الشعر المتقدم ، وحدّد موقع دارة الكور إيضاحـــاً وتحديداً يصحح أخطاء بعض من حاولوا تحديد تلك المواضع ، ممن شرح شعر لبيد وغيره . والعرب تتمنّى – دائماً – أن تجد مثل هذا التجاوب الكريم من قرائها ، وهي إلى كلمة : (هذا خطأ والصواب كذا) أحوج منها إلى كلمات الثناء .

رحم الله أبا قُصيٍ !!

رزئت الأمة العربية بفقد ابن بار من أبر أبنائها بها ، ومن الأفذاذ من الرعيل الاول الذين سعوا جاهدين لايقاظها من غفوتها حينما كانت تلك الأمة تغط في سباتها العميق ، وتسيطر على جميع بلادها قوى خارجية توجه تلك الأمـــة كيف شاءت، وتستثمر خيرات بلادها وتسوم بعض أقطارها سوء العذاب ، استعماراً وإذلالاً حتى هيأ الله لها من أبنائها من تدرعوا بدروع من قوة العلم ومن الاخلاص في الوطنية ومن الغيرة الصادقة في مختلف نواحي حياة تلك الأمة ، من هؤلاء الأفذاذ الكاتب الكبير والعالم الجليل الأستاذ السيد محب الدين الخطيب الذي وافاه أجله في آخر شهر شوال من عامنا هذا عن عمر يربي على الثمانين عاماً حافلة بالكفاح والجهاد والسعي المتواصل في خدمة العرب وفي سبيل اذكاء روح العزة والقوة في نفوسهم ، ليس المقام مقام إبراز جوانب جهـــاد هذا الرجل الدائب الجهاد ، فذلك مـــا يحتاج إلى تأليف مستقل غير أن الأسى لفقده في وقت أصبح فيه امثاله أقل من القليل لا بد من أن يكون له متنفس ، وكما يقولون (نفثة مصدور) . عرفت الفقيد أول ما عرفته من مجلة الفتح ، وأنا اذ ذاك طالب في المعهد السعودي بمكة سنة ١٣٤٩ هـ فكنت أرى في تلك المجلة الصحيفة الوحيدة التي أحرص ألا تفوتني قراءة عدد منها، وكنت استعيرها من المعهد ، وكان من أثر شغفي بها انني إذ ذاك (خربشت) على الورق كتابة ظننتها شعراً وبعثت بها إليه فلم أفاجأ إلا بالمجلة تصل إلي وفيها كل ما (خربشته) ومطلعه :

أحبك يا فتح المحب ديانة   لأنك للدين الحنيفي كالصرح

وبعد أن ذكرت الصحيفة بما قدرت عليه من ثناء ختمت ذلك العبث من الكلام قائلاً :

فإن جاد لي الحظ التعيس ببغيتي   والا على كره سأقنع بالنشح [1]

---

(١) النشح : الشرب بغير ري .

لم يكتف – رحمه الله – ببعث الصحيفة إلي بل أضاف إلى ذلك كتاباً يثني فيه ويحثني على كثرة المطالعة ويستزيدني،ثم عرفت فيما عرفت مجلة الزهراء والمجلة السلفية ، وكانت الزهراء أرحب ميدان لأقلام فحول البيان في النصف الأول من هذا القرن – يتبارى فيها المؤرخون والكتاب والشعراء مشيدين بما للعرب من مآثر ومفاخر ، ومذكين جذوة الحماسة في نفوسهم وموضحين أمكنة الداء في جسم الأمة ، وموجهين لانجع الوسائل في الحفاظ على حياتها ، وبروزها عزيزة كريمة .

وكتب الله لي في سنة ١٣٥٨ أن أعرف محب الدين حينما التقيت به في مصر ، فعرفته معرفة معجب بالرجل العظيم الذي كان يرى كأن كل جزء من البلاد العربية بيته ووطنه ، ويرى كل فرد من أبناء هذه الأمة أخاه وابنه ، يحاول توجيهه والأخذ بيده في كل أمر يعود بخير ونفع على ذلك الرجل أو على بلاده وكم كان سروره عظيماً حينما علم بعزمي على انشاء أول مطبعة في مدينة الرياض قلب نجد . فكان خير موجه لي حتى حقق الله تلك الغاية . ولما أصدرت مجلة اليمامة سنة ١٣٧٢ وقدمت له الجزء الأول منها اهتز طرباً وسروراً، وصار يضفي على ذلك الجزء من الثناء ما كان قصده به شريفاً ، وكان إذ ذاك يتولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر ، فكتب فيها هذه الكلمة المعبرة عما كانت تكنه تلك النفس الكبيرة من الرغبة في التوجيه : [١] (اليمامة صحيفة أدبية نفيسة صدرت من الرياض عاصمة نجد وهي الصحيفة الأولى في تاريخ هذا القطر العربي الصميم لمديرها ورئيس تحريرها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر أعلم من نعرفهم اليوم بأنساب العرب وجغرافية البلاد العربية ولا سيما الشمالية منها ، وقد اطلعنا على الجزء الأول منها ، فرأيناه حافلاً بالفصول الممتعة والتحقيقات القيمة مما يعز مثله في الأقطار العربية العريقة في الصحافة وإذا استمرت هذه الصحيفة في طريقها كما يريده منشؤها الفاضل فاننا نرجو أن تكون من مفاخر الثقافة في جزيرة العرب) .

رحم الله أبا قصي وجازاه عن جهاده في سبيل أمته خير ما يجزي العاملين المخلصين ، وعوض الأمة في فقده في وقت هي أحوج ما تكون إلى أمثاله من العاملين من أبنائها خير عوض (وانا لله وانا اليه راجعون) !! .

---

(١) مجلة الأزهر عدد محرم . ١٣٧٣ هـ.

اعلان لشعراء المملكة

عن

مسابقة نشيد الشباب

يسر الادارة العامة لرعايـــة الشباب بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، أن تعلن لـكم عن عزمها على إيجاد نشيد عربي إسلامي للشباب العربي السعودي . ونـدعوكم للإشتراك في المسابقة المخصصة لذلك وفقاً للشروط التالية :

١ ــ أن يكون النشيد صالحاً لينشده الشباب العربي السعودي في مختلف المناسبات التي يلتقون فيها، سواء كانت في المستوى المحـلي أو العربي أو الدولي مثل المهرجانات والاحتفالات والدورات الرياضية والمخيمات ... الخ .

٢ ــ أن يكون صادق التعبير عن معـــاني العروبة والإسلام وأصالتها وآمال الشباب العربي المسلم واعتزازه بأمته وقيمها، ويؤكـد الترابط والأخوة العربية الإسلامية .

٣ ـ أن يتكوّن من بحور قصيرة تتوافر لحروفهـــا وكلماتها الطواعية الكاملة للموسيقى الجماعية والإيقاع الجماعي .. ولا يُلتفت للأناشيد المكتوبة بغير اللغة الفصيحة .

٤ ـ أن يتكوّن من عدد قليل من المقاطع الصغيرة .

٥ ـ أن يكون النشيد جديداً بمعنى أن لم يسبق نشره في الصحف أو الاذاعة أو التلفزيون .

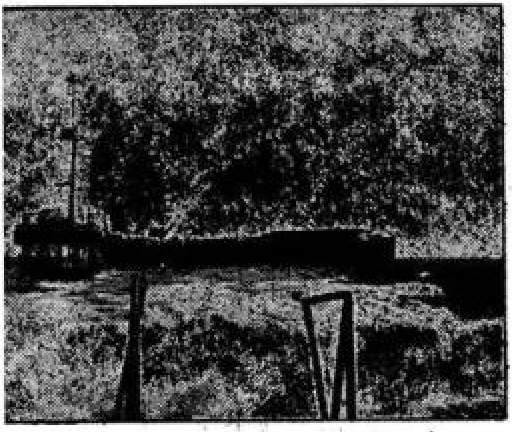
٦ ـ يقدم النشيد مكتوباً على الآلة الـكاتبة من نسختين عليهما توقيع الشاعر مع ضبط كلمات النشيد بالشكل .

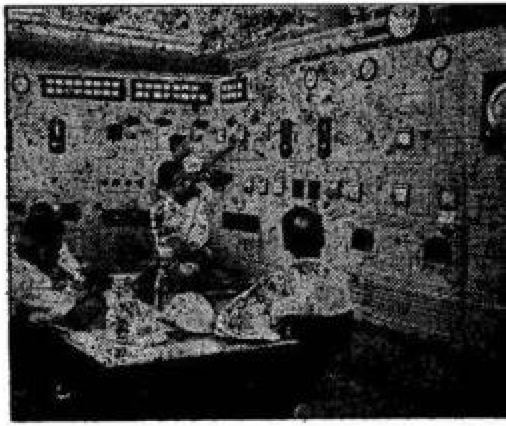
٧ ـ يرسل النشيد بالبريد المسجل إلى الإدارة العامـــة لرعاية الشباب (قسم الشئون الثقافية) ص ب ٩٥٦ الرياض ، ويـكتب على الظرف من الخارج عبارة : مسابقة نشيد الشباب .

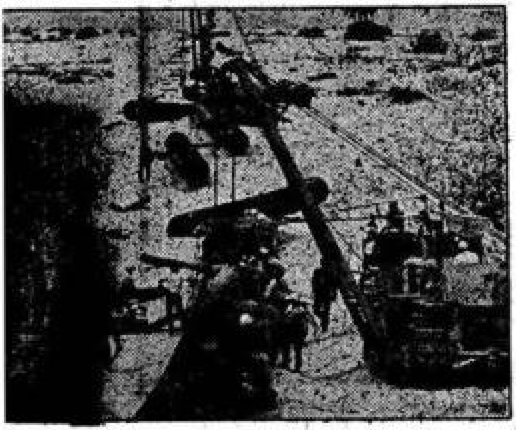
٨ ـ آخر موعد لتقديم النشيد هو آخر شهر ذي الحجة عــام ١٣٨٩ هـ . ولا يُلتفت إلى الأناشيد التي تصل بعد ذلك .

٩ ـ ستمنح جـــائزة للنشيد الفائز قدرها ألف ريال عربي سعودي ..

الادارة العامة لرعاية الشباب
الشؤون الثقافية

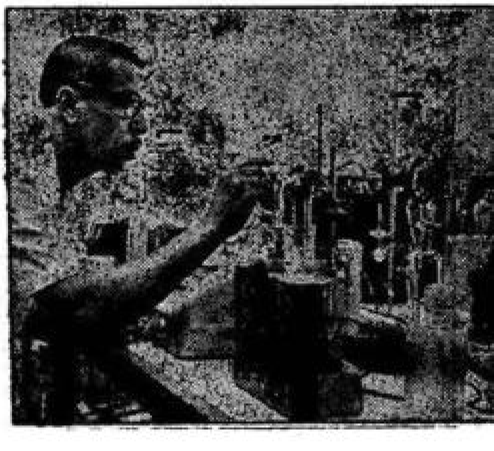








الانسان والآلة



اخترع الانسان الآلة لحاجته الملحة الى رفع عبء ثقيل حملته عضلاته القرون العديدة . وللقيام بأعمال عجز عن القيام بها وحده . فالآلة اذن مكنته من التغلب على صعوبات جمة ومن السير الحثيث في سبيل حياة أفضل .

وصناعة الزيت كأية صناعة ضخمة معقدة تستخدم الآلات والأجهزة والمعدات من المطرقة الى العقل الألكتروني وتتبع أفضل الوسائل في تطوير المنتجات وتنويعها وتحسينها لتفي بحاجة الانسان المتطورة ولتقوم بخدمته على الوجه الأفضل .

أرامكو

PRI-70-2


اطلب بالمراسلة
معالجة عيوب الجسم
١ هل أنت قصير القامة ؟
يمكنك ان تزيد طولك من بوصة الى ٦ بوصات بطريقتنا المركزة
٢ هل انت نحيف ؟
يمكنك زيادة وزنك ١٠ أو ٢٠ رطلاً او اكثر بطريقة مضمونة
٣ هل أنت سمين ؟
يمكنك انقاص وزنك والتخلص من الشحم الذي يزعجك
٤ هل تشكو تساقط الشعر ؟ او الصلع او الشيب المبكر ؟
حدد العيب الذى تشكو منه وأرفقه مع طلبك ٣٠ مليماً او نصفاً انجليزياً
وارسله بالبريد المسجل باسم الطبيب الفسيولوجى (محمود فؤاد
ص.ب ١٥١٣ بالقاهرة) يصلك العلاج فوراً ...
كل طلب غير مرفق بالمبلغ المحدد يهمل نهائياً

صدر حديثاً :

المحمدون من الشعراء وأشعارهم

تأليف

علي بن يوسف القفطي

المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م

★

حققه وقدم له ووضع فهارسه

حسن معمري

★

راجعه وعارضه بنسخة المؤلف

حمد الجاسر

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

فهرس هذا الجزء

الموضوع	الكاتب	الصفحة
● – بلاد العرب في بعض مؤلفات علماء المغرب	حمد الجاسر	٤٨١
● – المرقش الأكبر (أخباره وشعره)	الدكتور نوري القيسي	٤٨٥
● – المجاز بين اليمامة والحجاز	عبد الله بن خميس	٤٩٦
● – النقد الأدبي في التراث الجاهلي	الدكتور محمد البيومي	٥١٣
● – تقويم جديد للدعوة العباسية	الدكتور فاروق عمر	٥٣٠
● – شاعر تهامة (محمد بن حِمْيَر) في القرن السابع	محمد بن أحمد العقيلي	٥٥٤

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

● – حول الامام ابن حزم	محمد ابراهيم الكتاني	٥٦٨
● – حول القعقاع بن عمرو التميمي	محمد علي العبد	٥٧٠
● – دارة الأكوار ومواضع أخرى ؟	رشيد الحمود العبيلان	٥٧٢
● – الأستاذ محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ		٥٧٥

تصحيح : –

خطأ	صواب	س	ص
مجهولة	مجهولاً	٤	٤٨٢
ينجه	يتجه	٢٤	٤٨٤
الناس	العباس	الحاشية ٢	٥٤٤
الناس	العباس	الحاشية ١	٥٤٩

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

في هذا الجزء

- بلاد العرب في مؤلفات علماء المغرب
- حروب الردة
- المجاز بين اليمامة والحجاز
- الأمثال العامية في نجد
- من اسمه عمرو من الشعراء

ومن كتابه :

- سعد بن جنيدل
- عبد الله بن خميس
- محمد بن أحمد العقيلي
- محمد الناصر العبودي
- هشام ابن أبي حاكمة
- حمد الجاسر

تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

فهرس هذا الجزء

الموضوع	الكاتب	الصفحة
● – بلاد العرب في بعض مؤلفات علماء المغرب	حمد الجاسر	٦٧٣
● – حروب الردة في صدر الاسلام	هشام ابن أبي حاكمة	٦٧٧
● – المجاز بين اليمامة والحجاز	عبد الله بن خميس	٧٠٨
● – مع المجاز بين اليمامة والحجاز	سعد بن جنيدل	٧١٧
● – الأمثال العامية في نجد	محمد الناصر العبودي	٧٣٤
● – من اسمه عمرو من الشعراء		٧٣٩
● – استدراكات على المعجم الجغرافي (مقاطعة جازان)	محمد بن أحمد العقيلي	٧٥٧

مكتبة العرب : ٧٦٦ – ٧٦٨

● – جبل طارق والعرب – ● من مشارف القمم – ● مصور الخط العربي – ● شعراء اليمن المعاصرون – شعراء معاصرون – ● تحفة أولي الألبـــاب ● – شرح ابن الوحيد لرائية(*) ابن البواب – .

(*) وقع ص ٧٦٨ : لرائيه خطأ .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: ٢٢٩١٥
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء الثامن – السنة الرابعة – صفر ١٣٩٠ أيار (مـــايو) ١٩٧٠

بلاد العرب في بعض مؤلفات علماء الأندلس والمغرب

– ٣ –

ملاحظات تتعلق بخارطة الادريسي :

١ – نخطىء خطأ جسيماً إذا أردنا من عالم كالإدريسي عاش في القرن الخامس الهجري إذ ولد سنة ٤٩٣ وتوفي سنة ٥٦٠ (١١٠٠ م – ١١٦٥م) ذا أردنا منه أن يصور لنا مصوراً جغرافياً دقيقاً كالمصورات التي نشاهدها أو ما هو قريب منها ، ذلـــك ان الادريسي يعتبر من أوائل الرواد الذين وضعوا أسس علم الجغرافية ، ولهذا فإن الغـــاية من ابداء بعض الملاحظات المتعلقة بخريطة تنحصر الغاية منه في إيضاح جوانب من تلك الخريطة أو محاولة إيضاح ذلك .

٢ – يلاحظ القارىء ان الادريسي رسم من موانىء بحر القلزم (البحر الأحمر) خمسة هي على التوالي من الشمال إلى الجنوب: ١ – الجار ٢ – جدة ٣ – الشُّعيبة ٤ – السَّرَّين ٥ – ضنكان [١] .

ولن نسير على الشاطىء بعيداً لأن الغاية إيضاح المواقع المشهورة الواقعة في الحجاز ، فلنحاول معرفة ما إذا كان وضع هذه الموانىء في الخريطة كان صحيحاً ؟ .

(١) أنظر ص ٥٧٩ من«العرب».

أما الجار فقد كان من أهم موانيء بلاد العرب وكان الميناء الرئيسي المدينة المنورة حيث يقع بمحاذاتها على البحر غربها ، ويبعد عنها مسافة ٧٥ ميلا على وجه التقريب على ما حدده المتقدمون [١] ومن أدق ما أثر عنهم في تحديده ما جاء في رسالة عرام بن الأصبغ السلمي إذ قال: والجار على شاطىء البحر ترفأ اليه السفن من أرض الحبشة ومصر ، ومن البحرين والصين ، وبها منبر ، وهي قرية كبيرة آهلة ، شرب أهلها من البُحير وبالجار قصور كثيرة ، ونصف الجار في جزيرة من البحر ، ونصفها على الساحل ، وبحذاء الجار جزيرة في البحر تكون ميلا في ميل ، لا يعبر اليها إلا في السفن ، وهي مرفأ الحبشة خاصة ، يقال لها قراف وسكانها تجار كنحو أهل الجار ، يؤتون بالماء من على فرسخين اهـ [٢] . وقد وصف الجار البشاري وهو من أهل القرن الرابع بأنه مدينة محصنة بثلاثة حيطان ، والرابع البحر ، وبها دور شاهقة وسوق عامرة ، وهي خزانة المدينة يحمل اليها الماء من بدر . وهو في هذه الجملة يتفق مع عرام الذي قال : بأن شرب أهل الجار من البحير ، والبحير عين في يليل على ما ذكر عرام ، تخرج من جوف رمل من أعذب ما يكون من العيون وأكثرها ماءً ، ومن المعروف ان يليل هو وادي بدر ، وإذَن فإن الجار يقع بقرب بدر على ساحل البحر ، ولقد درس اسم الجار منذ أمد بعيد ، ذلك انه يقع قريباً من منازل قبيلتي جهينة وحرب القبيلتين اللتين كان لهما نفوذ قوي في السيطرة على طريق الحج وعلى الأمكنة الواقعة بقرب المدينة من ذلك الطريق بصفة خاصة ، وبقرب بلاد مزينة وسُلَيْم ومن هنا ندرك سبب دروس هذا المحل حينما نعلم بانحلال حبل الأمن في الأزمان الماضية ، واضطرار أبناء البادية بحكم الفقر وقسوة الحياة إلى النهب والسلب مما كان من أهم أسباب الخراب وتقلص العمران .

ويطلق على موقع الجار في عهدنا الحاضر اسم (الرايس) وهو ميناء صالح لرسو السفن ويقربه فيما بينه وبين الشمال ميناء صغير يدعى

---

(١) أنظر كتاب المناسك للحربي – مادة الجار في الفهرس –

(٢) نوادر المخطوطات ج ٢ ص ٢٩٨ .

(البُريكة) ، وكان مستعملاً لرسو السفن إلى عهـــد قريب ، ويرى بعض الباحثين ان الجار هو ميناء البريكة ، ولكن إذا لاحظنا ما ورد عن المتقدمين من وقوع جزيرة بقربه ، ومن كونه في أسفل وادي بدر (يليل)، نجزم بأن الجار هو ما يعرف الآن باسم (الرايس) الواقع بقرب الدرجـــة ٣٢َ/٢٣ْ و ٣٢َ/٣٨ْ ، وإذا نظر المرء إلى ذلك الموقع ، فإنه لا يخالجه شك بانطباق أوصاف الجار التي ذكر المتقدمون عليه ، فهناك رأس في البحر يحيط به الماء من ثلاث جهات ، وبقربه مرتفع يدل على انه كان في القديم جزيرة ، وانها هي التي كانت مرفأ للحبشة يقال لها قراف ، ومن المعروف ان الجزر يطرأ عليها التغيير بفعـــل الأمواج البـحرية وبأثر التغيرات الطبيعية (الجيولوجية) ، وهذا من الأمور المشاهدة .

بقي أن نشير إلى ان الادريسي وضع أمام الجار في عرض البحر جزيرة كبيرة دعاها جزيرة السامري، وذكر انها مسكونة ، ولكن هذه الجزيرة على الوصف الذي ذكره الادريسي والذي سنورده عندما نعرض كلامه ، لم أجد لها ذكراً فيما بين يدي من المصادر ، وجزيرة قراف التي ذكرها عرام وغيره قريبة من الجار على ما يفهم من كلامه ، على اننا نجد في كلام عرام حسبما جاء في رسالته ان سكان جزيرة قراف (تجار) والذي أميل اليه ان الكلمة محرفة عن (بجاة) اسم جنس من سكان افريقية من السودان كانوا يسيطرون على الملاحة في كثير من السواحل الغربية في بحر القلزم .

ومما يلاحظ، ان الادريسي وضع الجار بالنسبة إلى المدينة بمحاذاتها غرباً، والواقع انه يقع في الجنوب الغربي ، إذ المدينة تقع على الدرجـــة ٣٠َ/٢٤ْ و ٣٤َ/٣٩ْ تقريباً.

ولا تفوتنا الاشارة إلى ان الجار عرف في العهود المتقدمة لدى كل من يعنى بدراسة النواحي الثقافية والجغرافية والتاريخية، ولن نطيل بإيراد الشواهد في ذلك ، بل نكتفي بإيراد بعضها فمن الناحية الثقافية كان المتقدمون من العلماء يعنون كثيراً وخاصة في القرون الأولى بذكر من له أثر في علم الحديث الذي يعتبره العلماء اذ ذاك أهم العلوم ، ومن هنا نجد انه عرف في الجار

رجال كانوا من رواة الحديث ، ولكنهم لم يبلغوا الدرجة التي يتوخاها علماء الحديث في ذلك العهد، والذين كانوا يتشددون في الرواية تشدداً يحملهم على أن يصموا كثيراً من الرواة بوصمات منفرة غير انها مع ذلك تدل على شهرة أولئك الرواة ، شهرة تحمل على ذكرهم وتدفع إلى أن يوصفوا ببعض الصفات التي تحمل المحققين من رواة الحديث على النفور منهم ، غير ان تلك الصفات على أية حال لا تحول بينهم وبين أن يذكروا من مشاهير المعروفين ، ولطبيعة الجار وكونها لا تماثل غيرها من المدن الشهيرة التي عرف منها علماء في الحديث برزوا فيه ، وأصبحوا على درجة من الشهرة تحمل على الثقة بكل ما رووا ، الا انهم مع ذلك ، يوضحون لنا ناحية مهمة عن حياة هذه المدينة ، ونكتفي الآن بإيراد أسماء بعض المشهورين ممن نسبوا إلى تلك البلدة وهم في نظر المحدثين وإن لم يبلغوا الدرجة المتوخاة لديهم ، ولكنهم على كل حال يوضحون لنا جانباً مهماً هو انه وجد بين أهل هذه المدينة اناس أرادوا أن يبرزوا في هذه الناحية الثقافية ، أو على أقل تقدير أرادوا أن يشاركوا فيها فخانهم الحظ ، ولم يمنع ذلك من اضفاء الصفة الثقافية العـــامة عليهم وإن لم يبلغوا الدرجة المتوخاة عند علماء الحديث .

١ – قال السمعاني : الجاري[1]: بفتح الجيم والراء المهملة، هذه النسبة إلى الجار، وهي بليدة على الساحل بقرب مدينة رسول الله ﷺ ، والمنتسب إليها أبو عبدالله سعد بن نوفل الجاري ، كان عامل عمر رضي الله عنه على الجار ، روى عنه ابنه عبدالله بن سعد وعمرو بن سعد الجاري مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يروى عن ابن عمر رضى الله عنه وأبي هريرة وعبدالله بن عمر رضوان الله عليهم ، روى عنه زيد بن أسلم ، وعبد الملك بن أعين وعبدالله بن الحسن الجاري الأحول مولى مروان بن الحـكم الأموي ، ويروى المراسيل والمقاطيـع ، روى عنه أبو عامر العـــقدي وعمر بن راشد الجاري القرشي مولى عبدالرحمن بن أبان بن عثمان ، كان ينزل الجار ، وهو الذي يقـــال له

(البقية على الصفحة ٧٠٣)

(١) « الأنساب » ٣/١٦٩ ،

حروب الردة في صدر الإسلام

١ - الرّدة في عهد الرسول ﷺ

أول ردة في الاسلام :

توفي رسول الله ﷺ وعلى مكة عتّاب بـــن أسيد ، وعمرو بـــن حزم على نجران، وعثمان ابن أبي العاص على الطائف ، وعامر بن شهر على همدان ، وشهر بن باذان على صنعاء ، وأبو موسى على مـــأرب ، وزياد بن لبيد على بلاد حضرموت ، وعلى ما بين رمع وزبيد الى نجران خـــالد بن سعيد بن العاص . وفي السنة التي توفي فيها ﷺ سنة (١١) للهجرة ظهر الأسود بـــن عنزة العنسي في اليمن ، واسمه عَبْهلَـــةُ بن كعب [١] وهـــو من مَذحِج ، وكان يلقب ذا الخمار ، لأنه كان معتَمّاً متخمراً ابداً [٢] وهو من بلد يقال لها كهف حنـــان [٣] وقد ادعى النبوة وكـــان كاهناً يستهوي الناس ويريهـــم الأعاجيب ، وقد لقب نفسه رحمان الله [٤] وكانت ردته أول ردة في الاسلام في عهد رسول الله ﷺ [٥] . وكان ممن نصره واندمج في حركته فروع من قبائل كندة والسكون من سكان بلاد حضرموت [٦] .

سيطرته على اليمن :

وجمع اليه اتباعه والذين بلغ عددهم حوالي (٧٠٠) مقاتل وكتب الى عمال

---

(١) جمهرة النسب لابن حزم٤٠٥ البداية والنهاية ٣٠٧/٦ ، التاريخ السياسي للدولة العربية ١٥٧ أبو بكر ٨٣ ، الحيـاة السياسية في الدولة العربيـة الاسلامية ١٩٠ وفي الكامل ٣٣٦/٢ المسعودي ٣٠٣/٢ (عيهلة) .

(٢) الكامل ٣٣٦/٢ ، أبو بكر ٧٧ ،

(٣) البداية والنهاية ٣٠٧/٦ ،وفي الحياة السياسية ٢٠ أبوبكر٨٣ (كهف خبان) وهوالصواب.

(٤) أبو بكر ٧٩ ، التاريخ السياسي ١٥٨ .

(٥) الكامل ٣٣٧/٢

(٦) تاريخ الجنس العربي ٥٨/٧

النبي ﷺ : « أيها المتمردون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفروا ما جمعتم فنحن أولى به ، وانتم على ما انتم عليه[1] !! » . وغزا نجران فأخرج منها عمرو بن حزم ، وسار إلى صنعاء والتقى بشهر ابن باذان فتقاتلا فغلبه الأسود وقتله واحتل صنعاء . وجاء معاذ من صنعاء أبا موسى وهو بمأرب فلحقا بحضرموت . ورجع عمرو ابن حزم وخالد بن سعيد بن العاص الى المدينة وتم للأسود العنسي الاستيلاء على اليمن بكاملها ، ودانت له البلاد ما بين حضرموت الى البحرين والاحساء الى عدن . وكان خليفته على مذحج عمرو بن معد يكرب ، وخليفته على الجَنَد قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء الى فيروز الديلمي وداذويه الفارسيين .

مقتل الأسود العنسي : وكان الأسود العنسي قد تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله وهي ابنة عم فيروز الديلمي واسمها (آزاد) ، وكانت امرأة حسناء جميلة ، مؤمنة بالله ورسوله ﷺ . ولما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى مَن باليمن من المسلمين مع وبر بن يحنس الديلمي[2] يأمرهم فيه بمقاتلة الأسود ومن معه ، قام معاذ بن جبل – الذي كان قد تزوج بعد هروبه امرأة من السكون يقال لها رملة – بعد أن شجعته زوجته على ذلك ، واتفق أن اجتمعوا بقيس بن عبد يغوث أمير جند الأسود ، وكان قد تغير عليه ، وكذلك كان أمر فيروز وداذويه ، وقد سمع بكتاب النبي ﷺ الى المسلمين، فدعوه وأبلغوه بما يريدون فأجابهم الى أمرهم ووافقهم على الفتك بالأسود وتعاقدوا على ذلك .

ولما علم الأسود بما يجري في الخفاء أرسل الى قيس وأخبره بما سمع فحلف قيس : لأنتَ أعظم في نفسي من أن أحدّث نفسي بذلك ! فقال الأسود :

---

(١) البداية والنهاية ٦/٣٠٧

(٢) البداية والنهاية ٦ / ٣٠٨ ، وفي الكامل ٢ / ٣٣٨ (وبر بن يحنس الأزدي) .

ما اخالك تكذب الملَك فقد صدق الملك وعرف الآن انـك تائب عما اطلع عليه منك ! [١]

وخرج قيس وأتى فيروز وداذويه وأخبرهما الخبر ، وبينما هم في ذلـك حضر رسول الأسود يدعوهم اليه فذهبوا . ولما هدّدهم بالموت اعتـذروا اليه ونجوا بأنفسهم . وبعد ذلك جـاءتهم الكتب من عـامر بن شهر وذي زود ، وذي مران وذي الكلاع وغيرهم يبذلون لهم النصر على مخالفة الاسود، فكتبوا لهم أن لا يفعلوا شيئاً حتى يتفقوا على أمر .

ودخل قيس على آزاد وقال لها : يا ابنة عمي قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك : قتل زوجك وطأطأ في قومك القتل، وفضح النساء، فهل عندك ممالأة عليه ؟ قالت : على أي أمر ؟ قال : إخراجه . قـالت : أو قتـله ؟ قال : أو قتله . قالت : نعم ، والله ما خلق الله شخصاً هو أبغض إليّ منه فما يقوم لله على حق ولا ينتهي له عن حرمة ، فإذا عزمتم أخبروني أعلمكم بما في هذا الأمر[٢]. وخرج من عندها فأخبر فيروز وداذويه بما حصل . وعادوا اليها مرة ثانية وقد استقر رأيهم على قتله غيلة. فقالت : هو متحرز وليس من القصر شيء إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت، فإن ظهره الى مكان كذا وكذا فإذا أمسيتم فانقبوا عليه فإنكم من دون الحرس وليس دون قتله شيء وستجدون فيه سراجاً وسلاحاً . وتواعدوا على ذلك . فلما كانت الليلة المتفق عليها نقبوا البيت ودخلوه وتقدمهم فيروز ، وكان الأسود نائمـاً وله غطيط شديد فصحا من نومه وقال : ما لي ولك يا فيروز ؟!! فخشي ان رجع يهلك وتهلك المرأة فعاجله وهو مثل الجمل ، وأخذ رأسه ودقّ عنقه ووضع ركبتيه في ظهره حتى قتله ، ثم قام ليخرج فأخذت المرأة بثوبه وهي ترى انه لم يقتله

(١) البداية والنهاية ٦ / ٣٠٨ ، الكامل ٢ / ٣٣٨ . أبو بكر ٨٢ معالاختلاف .
(٢) البداية والنهاية ٦ / ٣٠٩ ، الكامل ٢ / ٣٣٨ مع الاختلاف .

فقال لها : قد قتلته وأرحتك منه ، وخرج فأعلم قيسا وداذويه فدخلا عليه واحتزّا رقبته . وسمع الحرس بما يجري في المقصورة فأقبلوا مسرعين فقالت لهم المرأة : النبي يوحى اليه. فرجعوا. وأخذ قيس وفيروز وداذويه يفكرون كيف يوصلون الخبر لأتباعهم ، واخيراً تم الاتفاق أنه إذا كان الصباح قام أحدهم ونادى بالشعار الذي بينهم وبين المسلمين فكان ذلك ، وخرج قيس ونادى باذان الاسلام وقال: أشهد أن محمداً رسول الله وأن عبهلة كذاب ، فاجتمع المسلمون وألقى اليهم برأسه. فانهزم أصحابه وتبعهم الناس يقتلونهم ويأسرونهم . واتفقوا على أن معاذ بن جبل يصلي بالناس وكتبوا بالخبر إلى النبي (ﷺ) وذلك في حياته . وتقول الروايات : إن الخبر بمقتله أتاه من ليلته . فقد روى عن ابن عمر انه قال : — أتى الخبر إلى النبي (ﷺ) من السماء في الليلة التي قتل فيها العنسي ليبشرنا فقال : قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين. قيل: ومن ؟ قال : فيروز فيروز . وقيل إن مدة ملكه منذ أن ظهر إلى أن قتل كانت ثلاثة أشهر وقيل أربعة ، وقد قام البشير بقتله في آخر ربيع الأول بعد موت النبي (ﷺ) فكان أول بشارة أتت أبا بكر وهو بالمدينة . (١)

وجاء في «البداية والنهاية» عن فيروز أنه قال : قتلنا الأسود وعاد أمرنا في صنعاء كما كان إلا انا أرسلنا إلى معاذ بن جبل فتراضينا عليه ، فكان يصلي بنا في صنعاء فوالله ما صلى بنا إلاثلاثة أيام حتى أتانا الخبر بوفاة الرسول (ﷺ) فانتقضت الأمور وأنكرنا كثيراً مما نعرف واضطرب الأمر .

هذا ما حصل بعد أن توفي رسول الله (ﷺ) حيث تتابع ظهور الردّة في أنحاء متفرقة من الجزيرة العربيةولكن النجاح لم يكتب لواحدة منها حيث قضى عليها جميعها وكان ذلك في زمن الخليفة أبي بكر (رض) .

---

(١) الكامل ٢ / ٣٤١ .

٢ - الردة في عهد أبي بكر (رض

أسباب الردة : بعد أن توفي النبي ﷺ انتشرت الردة في كافة أنحاء الجزيرة العربية ، واندلع العصيان في كل مكان ، وارتدّت كل قبيلة عامة أو خاصة ، إلا قريشاً وثقيفا[١] وليس من المعقول أن يكون ذلك مجرد رغبة منهم في الارتداد إلى دين الآباء والأجداد، أو العصيان والتمرد فحسب، بل إن هناك أموراً جديرة بالبحث كانت سبباً في ردتهم هذه ، ونستطيع أن نوجز هذه الأسباب فيما يـلي :

١ - الامتناع عن دفع الزكاة : ويعتبر ذلك من أهم الأسباب التي دعت إلى الردة . فكلنا يعرف أن الزكاة ركن من الأركان الإسلامية الخمسة ، فهي جديدة على العرب لم تكن معروفة لديهم ، فرغبوا عنها حتى في أيام النبي ﷺ فكيف بعـد وفاته ؟ فقد ارتد قسم كبير منهم حتى يتهرب عن دفع هـذا المبلغ ، وقد اعتبرها بعضهم اتاوة تزول بوفاة الرسول وانهم لن يدفعوها لمن يخلفه ، ومن هذه القبائل كانت عبس وذبيان ، فقاتلهم أبو بكر (رض) قتالاً شديداً وانتصر عليهم ، لكنهم أمعنوا في كفرهم ، ورفضوا الإسلام ، وانضموا إلى طُليحة بن خويلد المتنبيء في بني أسد[٢] .

٢ - رفض الخضوع : ان البدويّ الذي كان يعيش في الصحراء يأكل ويشرب من ماشيته ، لا رقيب عليه ولا حسيب ، ليس له نظام ولا دولة ، يأتي اليوم فإذا به تحت إمرة حاكم يسير بحكمه ويمتثل لأمـره ، ليس من المعقول أن يسلم زمام أمره في يسر وسهولة وأن يقبل ما يفرضه الإسلام عليه من التزامات ان دخل في طاعته .

٣ - حب الظهور : فقد كان محمد ﷺ من أسرة من قريش ، ولم تكن

---

(١) الكامل : ٢ / ٣٤٢ . « العرب » : (وبعض عبد القيس بالبحرين) .
(٢) أبو بكر : ١٠٩ .

قريش من أغنى القبائل ولا أقواها ، فكيف يخضع له هاؤلاء الذين كانت لهم مكانتهم البارزة في الجاهلية ؟ ولماذا لا يدعون النبوة لأنفسهم إن كان ذلك يكسبهم رفعة وشرفاً وخصوصاً البعيد منهم عن المدينة؟ لماذا لا يرتد ويدعي النبوة ويكوّن لنفسه امارة يحكمها ؟ ولمـاذا لا يكون له أناس يطيعونه وحتى يعبدونه إن أمكن ؟.

٤ — عدم تمكن الإسلام في قلوبهم : فمعظم العرب كانوا حديثي العهد بالإسلام فلم يتمكن الإسلام في قلوبهم وعقولهم . فقبل وفاة النبي ﷺ بقليل كانت مكة ومن يعيش حولها في عداءٍ مستمرٍ معه ، ولم تتكون الحكومة الإسلامية بعد ذلك إلا من المدينة ومكة والقبائل المجاورة فعلاً ، أما القبائل المنتشرة والبعيدة عن المدينة فلم يكن اسلامها الا اسمياً يقتصر على ارسال الوفود إلى المدينة وايتاء الزكاة وقبولهم عمال الرسول (ﷺ) ، فهؤلاء لم يكن اسلامهم بقلوبهم بل كان بألسنتهم فما أجدرهم أن يرتدوا إن كانت الفرصة مواتيـــة لذلك ، مصداقا لقوله تعالى في سورة براءة (الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ، ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء) . وقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الإيمان قلوبكم) !

وقد رأى بعضهم أنه كان معاهدا النبي (ﷺ) واعتبر نفسه في حلٍّ من عهده بوفاة النبي (ﷺ) وبعضهم استكبر عن طاعة أبي بكر ورفض الانضمام اليه .

تلك الأسباب كانت من أهم ما دعا الأعراب إلى الارتداد عن الاسلام والالتفاف حول من ادعوا النبوة وهؤلاء كانوا يدعون إلى نقض نفوذ المدينة والاسلام كما حاولوا أن يقلدوا القرآن في عباراته الدينية .

مهاجمة المدينة :

كان النبي (ﷺ) قد جهز جيش أسامة بن زيد ليأخذ بالثأر من الروم ،

وتوفي ولم يذهب أسامة بالجيش ، فكان أول شيء عمله أبا بكر (رض) هو انقاذ جيش أسامة، فقد طلب إلى كل من كان في الجيش أن يخرج إلى المعسكر بالجُرُفِ فأذعن المسلمون وأطاعوا . ولما علم الأعراب المقيمون خارج المدينة من قبائل عبس وذبيان وبني فزارة وغطفان ذلك طمعوا في أن يغيروا على المدينة دون أن يلقوا كيدا [١] فما كان منهم الا أن اجتمعوا وأرسلوا وفداً إلى المدينة يعرض على الخليفة أن سيستمروا يقيمون الصلاة وأنهم لن يؤتوا الزكاة ، وكان جواب أبي بكر (ض): « والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه !! » [٢] .

ولم تكن مهمة هـــذا الوفد غير الاطلاع على أحوال المسلمين في المدينة لمعرفة عوراتهم ومدى قدرتهم على القتال [٣] . وقد أدرك أبو بكر (رض) ذلك فجمع المسلمين وقال لهم : ان الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة ، وانكم لا تدرون أليلا تؤتون أو نهارا ، وأدناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم ونبذنا عهدهم فاستعدوا واوعدوا»[٤].وبعد ذلك أمر أبوبكر(ض)بحراسة المدينة ليلا ونهاراً،ومراقبة الطرق التي تؤدي اليها ، وطلب كذلك من القبائل الموالية ان تمـــده بالرجال على عجل ، فأسرعت الى نجدته قبائل أسلم وغِفار ومُزينة وأشجع وجهينة وكعب حيث أخذ رجالها يتوافدون بسلاحهم [٥] . وما ان مرت ثلاثة ايام حتى أحس حراس المدينة المدينة بقدوم القوم فأرسلوا الى ابي بكر (ض) من يخبره ، فقدم مسرعاً بمن معه من المسلمين لقتال العدو فهزموهم وتبعوهم حـــتى

(١) الشيخان ٦٠ .
(٢) الطبري ٣ / ٢٢٣ ، الكامل ٢ / ٣٤٤ ، البداية والنهاية ٦ / ٣١٢ .
(٣) نفس المصادر السابقة .
(٤) الطبري ٣ / ٢٢٣ ، البداية والنهاية ٦ / ٣١٢ ، تاريخ العرب العسكري ٢٦٠ ، أبو بكر ١٠٢ .
(٥) تاريخ العرب العسكري ٢٦٠

ذي حسا [1] وكان الاعداء قـــد تجمعوا هناك فكروا على المسلمين ثانية حتى أوصلوهم المدينة [2] . على ان ابا بكر ومن معه لم ينامـــوا تلك الليلة ، وهم يستعدون وعاد ومعه المسلمون مرة أخرى ، وقـد جعل له ميمنة وميسرة وساقةً ، فانتصر عليهم وهزمهم هزيمة منكرة وتفرق العدو في الأرض هرباً من الموت والأسر . وقد اشتهرت هذه الوقعة باسم (ذي القَصَّة) وبعد ذلك تسارع الناس الى تأدية الزكاة من كل القبائل وكان أولهم صفوان والزبرقان من رؤساء بني تميم وعدي بن حاتم الطائي عن قومه من طيء[3] وهكذا كان لهذا الانتصار أثراً عظيماً في نفوس المسلمين،وقد كسروا عدوهم فأحسوا بالقوة وأمنوا الغارة على المدينة .

القبائل المرتدة وقادة الألوية :

يجدر بنا ان نلقي نظرة في البداية على القبائل التي اظهرت الردة، وكذلك القبائل التي وقفت على الحياد ولم‌تعلن العصيان،ومن هذه القبائل القاطنة شرقي مكة وغربهـا وجنوبها كقبائل كنانة والأزد وبجيلة وخثعم وعكّ وحكم ، وتأثرت القبائل القاطنة الى شمال شرقي مكة كهـــوزان وعامـــر وجديلة بحوادث الردة اما بنو سُليم فقد ارتد الكثير منهم بيد ان هذه القبائل جميعاً لم تشهر سلاحها في وجه المسلمين [4] .

اما القبائل التي اشتركت فعلاً في حروب الردة فهي كما يلي مع القائـــد الذي وجّـه لمحاربتها :

(١) بنو تميم : ويقطنون منطقة القصيم في نجد وقد اتبعوا مالك بن نُوَيرة وقد أمر ابو بكر (ض) خالد بن الوليد ان يتوجه الى قتاله بعد ان يفرغ من امر طليحة وكانت سجاح بنت الحارث التميمة قد انضمت اليه ومن معها من تغلب فترة

---

(١) الطبري ٣/٢٢٣ ، البداية والنهاية ٦/٣١٣ ، الكامل٢/٣٤٤ .
(٢) الطبري ٣/٢٢٣ .
(٣) البداية والنهاية ٦/٣١٤ الكامل ٢/٣٤٥ .
(٤) تاريخ العرب العسكري ٢٤٨ .

(٢) **بنو أسد** : ويقطنون المنطقة الواقعة شرق الحجاز وشمال نجد بجوار طيء ، في شمال القصيم ، وقد تنبأ فيهم طليحة بن خويلد الأسدي وكان قد ادعى النبوة في حياة النبي ﷺ ولكنه لم يظهرها الا بعد وفاته [١] وكان من انصاره غطفان ورئيسهم عيينة بن حصن الفزاري . وانضم اليهم أيضاً بعض بطون طيء ، لأنهم حلفاء لهم ، وقد أرسل أبو بكر (ض) عنه اليهم خالد بن الوليد .

(٣) **بنو حنيفة** : ويقطنون اليمامة وقد ادعى النبوة رئيسها مسيلمة الكذاب ، وقد زعم ان الله أشركه مع محمد (ص) في الرسالة ، وقد قاسى المسلمون كثيراً منه ومن أتباعه ، وذلك في معركة اليمامة المشهورة . وقد وجه أبو بكر (ض) عكرمة بن أبي جهل لقتاله ، واتبعه بشرحبيل ابن حسنة مدداً على أن يتوجها بعد أن يفرغا منه إلى عمرو بن العاص مددا [٢] .

(٤) **اليمن** : وقد سبق ان تكلمنا عن الردة في اليمن على عهد رسول الله (ص) وكيف قضي عليها ، ولكنها لم تلبث ان اندلعت مرة ثانية بعد وفاته، فأرسل اليهم المهاجر ابن أبي أمية المخزومي.

(٥) **قبائل تهامة اليمن** : وقد أرسل اليها سويد ابن أبي مقرن الأوسي .

(٦) **البحرين** : وقد أرسل لها العلاء بن الحضرمي لقتال الحطم بن ضبيعة إلى قيس بن ثعلبة والمرتدين معه .

(٧) **قبائل عمان** : وقد أرسل اليها حذيفة بن محصن من حمير . وقد تنبأ هناك ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي .

(٨) **مهرة** : وهي البلاد الواقعة جنوب الجزيرة العربية وقد أرسل اليها عرفجة بن هرثمة .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) اليعقوبي ٢/١٣٠ (وقد كان أبو بكر عقد لشرحبيل بن حسنة وأمره أن يقصد لمسيلمة الكذاب) .

(٩) قُضاعة : وتقطن شمال الجزيرة العربية وقد أرسل اليها عمرو ابن العاص .

(١٠) سُلَيم وهوازن : وقد أرسل لقتالها طريف بن حاجز[١] .

(١١) قبائل مشارف الشام : وأرسل اليها خالد بن سعيد بن العاص[٢].

مما سبق نستطيع أن نؤكد ان الجزيرة العربية إرتد أغلب قبائلها عن الإسلام إلا هؤلاء الذين أسلموا قديماً وثبت الإيمان في قلوبهم . وقد تم توزيع قادة الألوية في ذي القصَّةِ عندما اجتمع المسلمون هناك .

كتاب أبي بكر إلى المرتدين :

لم يرسل أبو بكر هذه الألوية الأحد عشر للقتال أولاً بأول، بل كتب قبل كل شيء رسائل للمرتدين ، يدعوهم فيها للعودة الى الإسلام ، ويذكرهم بآيات القرآن الكريم ، بأن محمداً ﷺ رسول كغيره من الرسل يعيش ثم يموت ، ويحذرهم من ردتهم هذه ، وانه مرسل اليهم الصحابة لقتالهم فمن أسلم وأقرّ وكفّ وعمل صالحاً قبل منه ، ومن بقي وفضل الردة يحارب حتى يقتل . إلى غير ذلك. كما انه كتب الى القادة كتاباً موحداً يذكرهم فيه بأعمالهم وما يجب عليهم القيام به تجاه المرتدين .

وروي انه جعل من الكتاب احدى عشرة نسخة لكل قائد نسخة على أن يقرأ كل قائد الكتاب على القبيلة التي وجّه لقتالها ، ومما جاء في الكتاب: (بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ الى من بلغه كتابي هذا ، من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه ، سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والهوى ، فإني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله . نقرّ بما جاء به ونكفّر من أبى ذلك ونجاهده . أما بعد

---

(١) الطبري ٣/٢٢٥ « طريفة بن حاجز » الشيخان ٦٢ « معد بن حاجز السلمي » .
(٢) ورد توزيع القادة على الألوية الأحد عشر كما سبق في كتب التاريخ المختلفة ومنها البداية والنهاية ٦/ ٣١٥ ، ابن خلدون ٢/٨٦٦ ، الكامل ٣/٣٤٦ ، الطبري ٣/٢٢٥ .

فإن الله أرسل بالحق من عنده الى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فهدى الله بالحق من أجاب اليه ، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه ، حتى صار الى الإسلام طوعاً أو كرهاً ، ثم توفى اللهُ رسوله ، وقد نفذ الأمر ونصح لأمته، وقضى الذي عليه وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال « إنـّك ميتٌ وانهم ميتون » . وإني بعثت اليكم ... في جيش من المهاجرين والانصار والتابعين لهم بإحسان ، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله ، ولا يقبله حتى يدعوه الى الله عز وجل فإن أجاب وأقرّ وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه وإن أبى حاربه عليه حتى يفيء الى امر الله . وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابه في كل مجمع لكم والداعية الأذان فإذا أذّن المسلمون فكفـّوا عنهم ، وإن لم يؤذّنوا فسلوهم ما عليهم فإن أبوا عاجلوهم وإن أقرّوا حمل منهم على ما ينبغي لهم) [١] .

ومن هنا تبدأ حروب الردة التي كان لها الأثر الكبير في التاريخ الإسلامي فإن لم ينتصر المسلمون فسيعود العرب الى جاهليتهم الأولى ، تلك الحروبالتي كانت فاتحة الحروب التي انتشر بها الإسلام في الخافقين .

معركة بزاخة [٢] :

بعد أن انهزم الأعداء في معركة ذي القَصّة ، انحـــازت قبائل عبس وذبيان إلى طليحة بن خويلد الأسدي الذي كان في بني أسد وانضمت اليهم قبائل طيء وغطفان وسُليم ، وكانوا جميعاً على رأي عيينة بن حصن الفزاري رئيس قبائل فزارة الذي كان يقول : ان طليحة نبي منا ، ونبي منا خير من نبي من قريش . ناهيك عن أن محمداً قد مات وان طليحة حي يرزق [٣] .

---

(١) البداية والنهاية ٦/٣١٥ ، ابن خلدون ٢/٨٦٧ ، الطبري ٣/٢٢٦ .

(٢) البلدان ص ١٠٥ : بزاخة ماء لبني أسد بن خزيمـــة . وبزاخة لا تزال معروفة أرض واسعة تقع في جنوب مدينة حايل بينها وبين جبل سلمَى .

(٣) البداية والنهاية ٦ / ٢١٨ . تاريخ العرب العسكري ٢٦٥ ، أبو بكر ١١٩ .

وكان طليحة يقيم بِسَمِيراء ثم انتقل إلى بُزاخَة [1] . وطليحة هذا كان قد تنبأ على عهد رسول الله ﷺ ولكنه أرجأ إعلان نبوته إلى ما بعد وفاة الرسول ﷺ ، وقد كان كاهناً يقول السجع ، وينكر الركوع والسجود في الصلاة وقال : ان الله لم يأمر أن تمرغوا وجوهكم في التراب ، أو ان تقوّسوا ظهوركم في الصلاة [2] .

ولقد كانت الخطة التي اتفق عليها أبو بكر وخالد بن الوليد في قتال المرتدين تهدف إلى مقابلتهم على انفراد ، وتفريق القبائل عن بعضها أو إبقائها على الحياد على الأقل ، مما كان له أثر كبير في انهزام المرتدين بسرعة وكسر شوكتهم .

انفصال طيء عن طليحة :

أرسل خالد بن الوليد عديّ بن حاتم الطائيّ إلى قبيلته ليخوفهم عاقبة أمرهم إن استمرّوا في ردتهم ، وان الخليفة سيقود الجيش بنفسه لمقاتلة المرتدين ، ونصحهم بالابتعاد عن طليحة أو الوقوف على الحياد حفاظاً على أموالهم وأنفسهم. وفي نفس الوقت كان خالد يتجه إلى بُزَاخةَ لمقابلة طليحة.

ولما ذهب عديّ إلى قومه نصحهم ، ودعاهم إلى الرجوع إلى الإسلام فتمنعوا في بداية الأمر ، ولكنهم ما لبثوا أن توجهوا اليه بالقول : إذن فاستقبل الجيش – جيش المسلمين – فنهنهه عنا حتى نسترجع من لحق ببزاخة منا ، فإنا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم وارتهنهم . وفرح عدي بذلك وكرّ راجعاً إلى خالد وقال : يا خالد أمسك عني ثلاثاً يجتمع لك خمسمائة مقاتل ، لتضرب بهم عدوّك ، وذلك خيرٌ لك من أن تعجلهم إلى النار وتشاغل بهم [3] .

---

(١) الكامل ٢ / ٣٤٥ . أبو بكر ١١٩ . وسميراء : بلدة لا تزال معروفة تقع في جنوب بلاد حائل بقرب الدرجة ٢٠َ / ٢٦ْ و ٥َ / ٤٢ْ . فيها من السكان عدد وافر وفيها مزارع ونخيل .

(٢) الكامل ٢ / ٣٤٤ ، ابو بكر ١٢٠ .

(٣) البداية والنهاية ٦ / ٣١٧ . الكامل ٢ / ٣٤٦ . الطبري ٣ / ٢٢٨ .

وعادت طيء إلى مضاربها وانفصلت أيضاً قبيلتا جَديلة والغوث الطائيّتان من عند طليحة ، وانضمتا إلى طيء بدون معارضته لعلمه انهما ستقاتلان المسلمين مع طيء ، وبعد ذلك بقليل أعلنت طيء انسحابها من حلف الردة وجددت إسلامها ثم أمدت خالداً بخمسمائة مقاتل [١] .

وهكذا كان مع جديلة فقد ذهب اليها عديّ أيضاً ولم يزل بها حتى بايعته فجاء خالداً باسلامهم ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب [٢] . ولما سمع طليحة بذلك خاف على نفسه وضعفت عزيمته ، لكن عيَيْنة بن حِصْن الفزاريّ الذي كان إلى جانبه في سبعمائة مقاتل[٣] هو الذي شجعه على الثبات في وجه المسلمين بعد أن تطرق اليأس إلى نفسه ، وتقدمت طلائع خالد بن الوليد بقيادة عُكّاشة بن محصن وثابت بن أقرم الأنصاري فلقيا حِبَالاً أخا طليحة فقتلاه . فلما علم طليحة بذلك خرج ومعه أخوه سلمة واستطاعا قتـــل ثابت وعكاشة ورجعا . وقسم طليحة جيشه إلى مجموعتين المجموعة المؤلفة من قبائل بني أسد يقودها سلمة ، ويقود المجموعة الثـــانية المؤلفة من قبائل فزارة عيينة بن حصن ومعه سبعمائة فارس من قبيلته . واتخـــذ مقره في القلب ، وخلفه حرسه الخاص المؤلف من أربعين فارساً من شجعان قبيلته ترفرف على مقره رايته الحمراء التي كان يراها المسلمون من بعيد [٤] . ولما علم خالد ومن معه من المسلمين بمقتل ثابت وعُكّاشة جزعوا عليهما كثيراً . واستعد المسلمون للمعركة ، وكان المهاجرون والأنصار يؤلفون ميسرة الجيش ، وطيء والحرس الخاص في القلب ، والقبائل الأخرى في الميسرة. وقد روى ان خالداً نادى طليحة قبل بدء المعركة وعرض عليه الإسلام والطاعة وفقـــاً لوصية الخليفة وعهده فأبى قـــائلاً : انه يأتيه المَلَك كما كان يأتي محمداً (ص) [٥] .

---

(١) البداية والنهاية ٦/٣١٧ ، الكامل ٢/٣٤٥ « ألف مقاتل » .

(٢) البداية والنهاية ٦/٣١٧ ، الطبري ٣/٢٢٨ ، أبو بكر ١٢٤ .

(٣) فتوح البلدان ١٠٥ ، البداية والنهاية ٦/٣١٨ ، الكامل ٢/٣٤٧ ، الطبري ٣/٢٢٩ .

(٤) الطبري ٣/٢٢٩ ، تاريخ العرب العسكري ٢٦٨ .

(٥) تاريخ الجنس العربي ٧/٥٠ .

هزيمةُ طليحة :

وبدأت المعركة وكانت سريعة خاطفة وقد استطاع جناحا طليحة من كسر جناحي خالد ، واشتد القتال في القلب ، وصاح خالد في رجاله : يا أنصار الله !! فعاد رجال الجناحين إلى القتال وتقاتل الفريقان بالسيوف وجهاً لوجه ، وما هي إلا ساعات حتى بدأ جيش الاعداء يتراجع للوراء . وكان عيينة يجيء طليحة المقيم في بيت من الشعر ملتفا بكساء له يتنبأ للناس ويسأله هل جاءك الوحي ؟ فيجيبه بالنفي . ولما جاء يسأله في المرة الثالثة قال : نعم . قال : فماذا قال لك ؟ قال طليحة : إنه قال لي: ان لك رحا كرحاه وحديثاً لا تنساه !! فلما سمع عيينة ذلك نادى في قومه : انصرفوا يا بني فزارة انه كذاب [1] وأسرع طليحة حاملا زوجته النوار هاربا من أرض المعركة وهو يقول : من استطاع أن يفعل منكم مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل [2] وهرب عند قبيلة كلب في الشام [3] وأقام هناك ، ولكنه مـــا لبث أن عاد إلى الاسلام ، وخرج إلى مكة معتمرا في خلافة أبي بكر (ﷺ) فمر بجنبات المدينة فذكر بعضهم لأبي بكر مكانه فقال : ما أصنع به ، خلّوا عنه فقد هـــداه الله إلى الاسلام [4] وقيل إنه أسر وأرسل للمدينة وقبلت توبته . [5]

---

(١) البداية والنهاية ٦ / ٣١٨ . الكامل ٢ / ٣٤٨ . الطبري ٣ / ٢٢٩ . ابن خلدون ٢ / ٨٧٠ ، فتوح البلدان ١٠٥ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) المصادر السابقة .

(٤) الكامل ٢ / ٣٤٨ ، أبو بكر ١٢٦ .

(٥) وجاء في اليعقوبي ٢/ ١٢٩ : « أن طليحة بعث شعراً إلى ابي بكر يعتذر اليه ويراجع الإسلام يقول فيه :

فهل يقبل الصديق اني مراجع ومُعْطٍ بما أحدثت من حدث يدي ؟

وأني من بعد الضلالة شاهد شهادة حق لست فيها بملحد

فلما انتهى قوله إلى ابي بكر (رض) رق له ، وبعث اليه فرجع وقد هلك ابو بكر (رض) وقام عمر على قبره .

أما عيينة فقد أسر وأرسل إلى المدينة ، وكان صبيان المدينة يقولون وهو مكتوف : يا عدو الله أكفرت بعد ايمانك ؟ فيقول : والله ما آمنت بالله طرفة عين !! فتجاوز عنه أبو بكر (ﷺ) وحقن دمه بعد أن استتابه واسلم[1] . وطارد المسلمون فلول المنهزمين وانتصروا عليهم وكانوا قد التفوا حول امرأة تدعى (أم زمل) التي أرادت الثأر من المسلمين فقتلوها وكلّ من كان معها وعددهم مائة مقاتل .[2]

المسير نحو البطاح :[3]

بعد أن انتهى خالد (ﷺ) من أمر طليحة بن خويلد مُتنبّيء بني أسد أراد الانتقال إلى البطاح لمقاتلة مالك بن نويرة متنبيء بني تميم وسجاح بنت الحارث التي انضمت اليه . ومنازل بني تميم تقع إلى شرق المدينة ممتدة نحو الخليج العربي[4] وتعتبر من أقوى القبائل وأشدها، وكانت لكبرها تنقسم إلى أقسام وكان مالك بن نويرة يرأس بني يربوع ، أحد هذه الأقسام ، وقد رفض دفع الزكاة لأبي بكر (رض) هو ومن معه .

سجاح ومالك :

وكانت سجاح[5] هذه قد تنبأت في بني تغلب مع أنها من بني يربوع أما أخوالها فهم من تغلب[6] وجاءت إلى مالك تقود معها جنداً من ربيعة والنمر وبني شيبان ، وذلك لتساعده في الوقوف أمام جيش المسلمين. وكانت قد تنصرت . وأراد مالك أن يستميل سجاح إلى جانبه ليفرض سيطرته على بني تميم إلا انه لم يوفق في ذلك ، وحصلت مشادات بينه وبينها أدت إلى

---

(١) اليعقوبي ٢ / ١٢٩ ، البداية والنهاية ٦ / ٣١٨ ، الكامل ٢ / ٣٤٨ .
(٢) الكامل ٢ / ٣٥٠ ، ابن خلدون ٢/٨٧٢ .
(٣) البطاح : موضع لا يزال معروفاً بقرب مدينة الرّس الواقعة في غرب إقليم القصيم .
(٤) ابو بكر ١٣٥ . (أي من أضاخ الواقع في شرق حمى ضرية حتى الأحساء حيث بلاد بني سعد منهم) .
(٥) فتوح البلدان ١٠٨ « أم صادر » .
(٦) ابو بكر ١٣٦ ، تاريخ العرب العسكري ٢٧١ .

انفصالها عنه ، وتركته متجهة إلى اليمامة وهي تسجع لمن معها : عليكم باليمامة، ودُفّوا دَفيفَ الحمامة ، فإنها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة [١] . وكانت قد قامت بحملة إلى النبّاج ولكنها لم تنجح .

بين خالد والأنصار :

عندما أراد خالد التوجه نحو البطاح عارضه الأنصار في ذلك قائلين له : ما هذا بعهد الخليفة إلينا إنما عهده إن نحن فرغنا من بُزَاخة واستبرأنا بلاد القوم ان نقيم حتى يكتب الينا » فقال لهم : إن يكن عهد اليكم هذا فقد عهد إلى أن امضي وأنا الأمير واليّ تنتهي الأخبار : وسار ومن معه عدا الأنصار . ولكنهم تشاوروا فيما بعد بينهم فاستقر رأيهم على اللحاق به وقالوا : لئن أصاب خالد من القوم خيراً إنه لخير حرمتموه . ولئن اصابه ورجاله مصيبة ليجتنبنكم الناس ».وأرسلوا اليه رسولاً يستمهله وساروا حتى لحقوا به [٢] .

مقتل مالك :

ووصلوا البطاح فلم يجدوا بها احداً ، فقد كان مالك قد فرّق قومه وقال لهم : « يا بني يربوع انا كنا قد عصينا امراءنا اذ دعونا الى هذا الأمر وبطّأنا الناس عنهم فلم نفلح ولم ننجح . واني قد نظرت فرأيت الأمر يتأتي للقوم بغير سياسة ، واذا الأمر لا يسوسه الناس فإياكم ومناوأة قوم قد صنع لهم » [٣] فتفرقوا .

وهكذاتم الاستيلاء على البطاح بكل سهولة، وامر مالك بن نويرة وأتي به الى خالدوقيل انه أمر بقتله وفي ذلك اختلاف. وقيل انه أمر بحبسه واصحابه حتى ينظر في أمرهم . وكان ذلك في ليلة شديدة البرودة جعلت تزداد برودة كلما تقدم

---

(١) الكامل ٢ ـ ٣٥٥ ، البداية والنهاية ٦ ـ ٣٢٠ ، الطبري ٣ ـ ٢٣٩ . والنباج يعرف الآن بعيون ابن ُفهَيد، ويقع في شرق مدينة بريدة من توابعها ، بميل نحو الشمال على مسافة قصيرة.

(٢) المصادر السابقة . يجبننكم . يصفونكم بالجبن.

(٣) الكامل / ٢ ٣٥٨ ، الطبري ٣ / ٢٤١ ، ابو بكر ١٤٢ .

الليل . وبينما كان خالد يتفقد أسراه رقّ لهم فنادى في الناس : « أدفئـوا أسراكم » وهذا يعني في لغة كنانة أقتلوهم ، وهكذا فهمها الناس فقتل مالك وأصحابه . ولما سمع خالد الضجة خرج وقد فرغ منهم فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه [1] .

وهناك من الرواة من يذهب الى ان خالداً كان يناظر مالكا فقال له مالك في بعض حديثه : ما أخال صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا . قـال خالد : أوَ ما تعدّه لك صاحباً ؟! ثم أمر بقتله [2] .

وسواء سلمنا بالرواية الأولى أو الثانية فإن خالداً كان السبب في قتـل مالك في الروايتين ، ولهذا غضب الصحابي أبو قتادة الأنصاري الذي أقسم ألا يقاتل مع خالد ابداً ورجع الى المدينة ، وكان قد شهد ان الذين قتِلوا أقاموا الصلاة [3] .

وكان خالد قد تزوج ليلى امرأة مالك بعد فراغه من قتله ، فمن الرواة من يذهب الى ان هذا كان سبباً لقتل مالك وما هـذا بصحيح ، فليس من المعقول أن يقدم خالد بن الوليد على مثل هذا العمل من أجل أن يتزوج امرأة وهو قادر على أن يتزوج من هي أفضل منها وأعزّ وأكثر جمالا ومالا .

وقد غضب عمر بن الخطاب لما سمع بقتل مالك وقال لأبي بكر : ان في سيف خالد رَهَقاً فاعزله ! فقال له أبو بكر : تأوّل فأخطأ؛ ثم قال : فارفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين [4] ، وذلك عندما طلب عمر من أبي بكر أن يعزل خالداً عن قيادة الجيش .وبعد ذلك استدعى أبوبكر خالداً للمدينة وقصّ على أبي بكر قصة مالك ومناصرته سجاح،وجعل يلتمس المعاذير عن قتله ، وعذَرَه أبو بكر وتجاوز عما كان منه في الحرب ،

---

(١) البداية والنهاية ٣٢٢/٦ ، الكامل ٣٥٨/٢ ، ابن خلدون ٨٧٦/٢ .
(٢) المصادر السابقة .
(٣) اليعقوبي ٢ - ١٣٢ ، البداية والنهاية ٦ - ٣٢٢ ، ابن خلدون ٢ - ٨٧٦ .
(٤) المصادر السابقة .

لكنه عنّفه على زواجه من ليلى امرأة مالك بعد قتله ودم زوجها لم يجفّ بعد.

وبعد ذلك أمر أبو بكر خالداً بالتوجه الى مسيلمة الكذاب في بني حنيفة ومساعدة عكرمة على قتاله ، فامتثل الأمر وتوجه مسرعاً لقتال المرتدّين في اليمامة .

معركة اليمامة [1] :

وقد كان فيها مسيلمة الكذاب الذي تنبأ في بني حنيفة في السنة العاشرة من الهجرة [2] احدى بطون بكر بن وائل ، وقد جمع اليه قوات كبيرة لمواجهة الجيش الاسلامي ، وكان عكرمة ابن أبي جهل قد سار لمقاتلته ولم ينتظر شُرحبيل بن حَسَنَة الذي ارسل اليه مَدَداً فتقدم الى مسيلمة يريد مقاتلته ولكنه لم يلبث امامه كثيراً فرجع منهزماً ومما زاد في اقبال الناس الى مسيلمة وانضمامهم اليه ان رسول الله ﷺ ارسل رجلاً يدعى (نهاراً) معلماً لأهل اليمامة يفقههم في الدين فلما رأى كثرة من انضم الى مسيلمة لم يلبث هو نفسه ان أقر بنبوته ، وقد شهد زوراً وكذباً ، بأن محمداً ﷺ قال : ان مسيلمة قد اشرك في الرسالة معه [3] لذلك أقبل الناس مسرعين الى مسيلمة يؤمنون به ، ويلتمسون منه الرضا ، واصبح نهارُ هذا من المقربين الى مسيلمة يستشيره في كل اموره .!

وكان للعصبية القبلية ايضاً أثرها الكبير في مساعدة مسيلمة وتقوية شوكته وخير مثال على ذلك ما ذكر أن طليحة النمري جاء اليمامة فقال: أين مسيلمة قالوا : مَهْ رسول الله !! قال: لا ، حتى أراه، فلما جاء قال له : من يأتيك؟

---

(١) فتوح البلدان ٩٧ « كانت تدعى جَوّاً فصلبت امرأة من جديس يقال لها اليمامة بنت مر على بابها فسميت باسمها ، والله أعلم » وأصبح الاسم يطلق على اقليم واسع يمتد من رمال الربع الخالي إلى قرب القصيم ومن أطراف جبال طويق الغربية غرباً إلى رمال الدهناء شرقاً .

(٢) اليعقوبي ٢ - ١٣٠ .

(٣) ابو بكر ١٥٥ ،

قال : رحمان : قال طليحة : أفي نور ام ظلمة ؟ قال مسيلمة : في ظلمة . فقال له طليحة : أشهد انك كذاب وأن محمداً صادق لكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر [١] !!

مسير خالد الى اليمامة :

في هذه الاثناء كان خالد بن الوليد يتقدم مسرعاً بجيشه من البطاح الى اليمامة وفي الطريق التقى بشرحبيل بن حسنة الذي كان قد انهزم ايضاً أمام مسيلمة كما حصل لعكرمة،وقد التقى مع سرية فيها مجّاعة بنُ مرارة خرجت تطلب ثأراً في بني عامر وبني تميم ، فلما أدركت ثأرها وعادت الى ديار بني حنيفة كان قد أصابها التعب فنام مجاعة ومن معه في الطريق فأدركهم خالد وأمر بقتلهم لكنه استبقى مجاعة رهينة عنده وجعل زوجته الجديدة ليلى على حراسته.

سجاح ومسيلمة :

كانت سجاح قد تركت مالك بن نويرة وسارت الى مسيلمة بعد أن فشلت في غزوتها في النباج . فلما سمع مسيلمة بقدومها خافها على بلادهُ لأنه مشغول بحرب المسلمين . فبعث اليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها . وركب اليها في اربعين من قومه ، فلما وصلها قال لها : لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عَدَلَتْ ، وقد رد الله عليك النصف الذي ردّت قريش . [٢] فقبلت منه ذلك وكان مما قاله لها : سمع الله لمن سمع ، وأطمعه بالخير اذا طمع ، ولا يزال امره في كل ما يسر مجتمع، رآكم ربكم فحياكم ، ومن وحشته اخلاكم ،ويوم دينه انجاكم فأحياكم ، علينا صلوات معشر ابرار ، لا أشقياء ولا فجار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربكم الكبار ، رب الغيوم والامطار [٣] . وتم الاتفاق بينهما ، ثم تزوجته وأقامت عنده ثلاثة أيام، ثم عادت الى قومها وصالحت مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف

---

(١) المصدر السابق .
(٢) البداية والنهاية ٦ / ٣٢٠ ، الكامل ٢ / ٣٥٥ .
(٣) البداية والنهاية ٦/ ٣٢١ .

مقدماً ، وتترك عنده من يأخذ النصف الثاني فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة ، وخلفت الهذيل وعقة وزياداً لأخذ النصف الباقي . وأقامت في قومها بني تغلب الى زمان معاوية فأجلاهم منها عام الجماعة [١] . وقد روى ايضاً انها أسلمت وحسن اسلامها وهاجرت الى البصرة .

مسيلمة وجنده في عقرباء [٢] :

كان مسيلمة قد جمع جنده بعقرباء في طرف اليمامة ، وتضاربت الأقوال في عدد جنده ، فمن قائل عشرة آلاف مقاتل [٣] الى قائل أربعون الفاً [٤] ولا شك ان هذا مبالغ فيه والأول أقرب الى الصحة ولهـذا كان على المسلمين ان يجهزوا أنفسهم وان يستعدوا فلا يستهينوا بقوة عدوهم وأن له من القوة والشدة التي لا تقهر الا بمثلها ، فلا شك انها ستكون معركة حامية بين إيمان راسخ في القلوب ، وأناس حفظوا القرآن ، يعلمون أن الجهاد فرض عليهم ، وبين أناس تزيدهم الخصومة القديمة بين الحجاز وجنوب الجزيرة إيماناً وتفانياً بقائدهم مسيلمة ، ودفاعاً عن أموالهم ونسائهم اللاتي بقيت خلفهم . وقد كان شرحبيل بن مسيلمة يحرض جيش بني حنيفة بقوله لهم : يا بني حنيفة اليوم يوم الغيرة إن هزمتم تستردف النساء سبيات ، وينكحن غير حظيات فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم [٥] وكان مسيلمة قد أسند قيادة الميمنة الى محكّم بن الطفيل الذي كان يسمى (محكم اليمامة) والميسرة الى الرّحال [٦] وكان يقود القوات المركزية شرحبيل بن مسيلمة واتخذ هو مقره وراء القلب يراقب مجرى القتال [٧] .

---

(١) البداية والنهاية ٦/٣٢٠ ، الكامل ٢/٣٥٧ ، الطبري ٣/٢٤٠ .

(٢) عقرباء :تقع في جانب وادي حنيفة الشرقي بقرب بلدة الجُبيلة ، وكانت الجُبيلة – في القديم – إحدى محلاّتها ، وقد دثر الاسم الآن ، وتقلص فأصبح يطلق على روضة خالية تقع شرقي الجبيلة .

(٣) تاريخ العرب العسكري ٢٧٥ .

(٤) ابن خلدون ٢ - ٨٧٧ .

(٥) ابو بكر ١٥٨ .

(٦) ابو بكر ١٥٨ (الرجال) .

(٧) تاريخ العرب العسكري ٢٧٩ .

خالد وجيش المسلمين :

وصل خالد بجيشه الى عقرباء بقوة لا تزيد على سبعة الآف مقاتل،وقسمهم الى فرق . فجمع الأنصار بفرقة يقودها ثابت بن قيس بن شماس ومن المهاجرين فرقتين تولى قيادتها سالم مولى أبي حذيفة وزيد بن الخطاب. وألف من كل قبيلة بقيادة رؤسائها ، وجمع الفرسان في فرقة أسند قيادتها إلى البراء بن مالك الذي عزله بعد حين ، وعين أسامة بن زيد مكانه ، وجعل عديّ بن حاتم قائداً لقبيلته طيء وجعله على مقدمة الجيش [١] .

المعـــركة :

وبدأت المعركة صباحاً واستمرت حتى العصر ، واستبسل الفريقان كان القتال عنيفاً قال فيه الطبري : كانت حرباً لم يلق المسلمون مثلها قط وشد بنو حنيفة على المسلمين ، وهزموهم فترك خالد فسطاطه ودخله جنود مسيلمة ، فوجدوا مجّاعة مقيداً بالحديد ، وعنده ليلى زوجة خالد ، فأراد أحدهم قتلها فصاح به مجاعة : مَهْ ، أنا لها جارٌ فنعمت الحرة ، عليكم بالرجال ! [٢] . وقطع الجند حبال الفُسطاط ، ومزقوه بسيوفهم،تاركين ليلى ومجاعة ينظران ما الله صانع بالقوم جميعاً . وصاح خالد في الجند صيحة غضب : امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حيٍّ ، ولنعلم من أين نؤتى:[٣] فثارت الحميّة في النفوس ، وأخذ الناس يتسابقون إلى الموت ، وكان ثابت بن قيس قائد الأنصار يقول : بئسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين ، اللهم إني أبرأ إليك ممـــا يعبد هؤلاء — مشيراً إلى أهل اليمامة —وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء— مشيراً إلى المسلمين — وانطلق يقاتل بكل شجاعة وهو يقول : هكذا عني حتى أريكم الجلاد ![٤] وكذلك فعل البراء بن مالك إذ نادى : أين يا معشر المسلمين ؟ أنا البراء بن مالك هلم إلي . فجاء المسلمون إليه وقاتلوا حتى أجلوا القوم عن أماكنهم .

---

(١) تاريخ العرب العسكري ٢٧٨ .
(٢) ابن خلدون ٢/٨٧٩ ، أبو بكر ١٥٨ .
(٣) أبو بكر ١٥٩ .
(٤) أبو بكر ١٥٩ ، تاريخ العرب العسكري ٢٨٠ .

وتحدث الناس إلى زيد بن الخطاب لما هبّت ريح أثارت الرمال في وجوههم فأجابهم : لا والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، غضوا أبصاركم ، وعضوا على أضراسكم ، واضربوا في عدوكم وامضوا قدما !! وظل يقاتل والناس من ورائه حتى استشهد [١] . وأبو حذيفة أيضاً صاح بمن حوله : يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال !! وقاتل حتى استشهد ، وكذلك سالم مولى أبي حذيفة الذي أخذ الراية وقال : بئس حامل القرآن أنا إن لم أثبت. وقاتل حتى قتل – عليهم رضوان الله جميعا [٢] .

أما خالد بن الوليد (ض) فقد خرج على رأس رجاله وقال : لا أوتين من خلفي !! ثم صاح صيحة المعركة !! يا محمداه !! وتقدم برجاله يريد مسيلمة، الذي جاء إليه قومه قائلين : أين ما كنت تعدنا ! فأجابهم وقد ولى مدبراً بعد ان رأى الهزيمة : قاتلوا عن أحسابكم [٣] ! .

الاحتماء بالحديقة :

وفرّ المشركون والمسلمون من ورائهم يتبعونهم ، فصاح محكم بن طفيل : يا بني حنيفة الحديقة الحديقة !![٤]. وكانت لمسيلمة وهي على مقربة منهم، حصينة منيعة وتدعى حديقة الرحمان [٥] ، ففرّوا اليها وتحصنوا بها ، وفي هذه الأثناء رمى عبد الرحمن ابن أبي بكر مُحكّم بن الطفيل بسهم وقع في نحره[٦] فقتله . وأحاط المسلمون بالحديقة يريدون تسلقها ، وتقدم البراء قائلاً : يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة !.. ورفعه المسلمون الى أعلى الجدار

---

(١) المصادر السابقة وكان قبره لا يزال معروفاً إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري غربي قرية الجبيلة بقربها ،

(٢) أبو بكر ١٦٠ .

(٣) ابن خلدون ٢/٨٨٠ ، أبو بكر ١٦١ .

(٤) ابو بكر ١٦١ . وكانت الحديقة معروفة إلى منتصف القرن الثالث الهجري حيث بنى في موقعها إسحاق ابن أبي حُميضة الاضاخي مسجدا .

(٥) المصدر السابق .

(٦) فتوح البلدان ٩٨ .

فلما رأى كثرة المرتدين ، تردد وتراجع وقال : أنزلوني ! وفعل ذلك مرّات ، وأخيراً صمم وألقى بنفسه على بني حنيفة أمام الباب فقاتلهم حتى فتح للمسلمين ، وفرّ المشركون في أنحاء الحديقة يتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدداً كبيرا .

ومما لا شك فيه ان البراء ليس وحده هو الذي فتح الباب فلا بد من وجود آخرين تسلقوا السور معه لحمايته حتى فتح الباب .

وفي هذه الأثناء كان مسيلمة في الحديقة فرآه وحشيٌّ — قاتل حمزة عم النبي ﷺ — فهزّ حربته وضربه بها فقتله[1] وكان سنه يوم قتله مائة وخمسون سنة[5] وقد سميت هذه الحديقة فيما بعد بحديقة الموت .

وقد كانت خسائر بني حنيفة كثيرة ، وقد اختلف المؤرخون في عدد قتلاهم فمن قائل ان القتلى كانوا عشرة آلاف الى قائل واحد وعشرون الف قتيل ، ولا ريب في ان ذلك مبالغ فيه ولكنه لا يقل بأي حال من الأحوال عن خمسة آلاف قتيل ، عدا الجرحى .

أما المسلمون فقد قدر المؤرخون قتلاهم بألف ومائتي شهيد[2] وذلك كما جاء في رسالة أبي بكر لخالد عقب زواجه ابنة مجاعة . وجاء في الكتاب : عمري يا ابن أم خالد انك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم الف ومائتي رجل من المسلمين لم يجف بعد[3] وقيل منهم ثلاثمائة وستون من المهاجرين وثلاثمائة من الأنصار رحمهم الله جميعاً . وقد كان من بين الشهداء زيد بن الخطاب وأبو سالم مولى أبي حذيفة ، وقيس بن ثابت ، وشجاع بن وهب رحمهم الله .

---

(١) ابن خلدون ٢ - ٨٨٠ ، اليعقوبي ٢ - ١٣٠ :« طعنه ابو دجانة الأنصاري... ورماه وحشي بحربته فقتله » . وقد روي في فتوح البلدان ٩٨ عن الأشخاص الذين اشتركوا في قتل مسيلمة فكان منهم : خداش بن بشير بن الأصم ، عبد الله بن زيد بن ثعلبة ، ابو دجانة سماك بن خرشة ، عبد الله بن زيد بن عاصم ، وحشي بن حرب الحبشي الذي كان يقول : قتلت خير الناس — يعني حمزة (رض) — وشر الناس — يعني مسيلمة — وكان معاوية ابن أبي سفيان يدعي انه هو قتله والله أعلم .

(٢) شذرات الذهب ١ - ٢٣١ .

(٣) ابو بكر ١٦٦ .

وبانتصار المسلمين على مرتدي اليمامة في عقرباء اسلمت جميع القبائل المرتدة في أواسط الجزيرة العربية .

قتال المرتدين في البحرين :

وقد كان يقيم في البحرين بنو عبد القيس من قبائل ربيعة [١] مع جماعة من التجار من الهند وفارس ، وتزاوج هؤلاء مع أبناء البلاد فاستولدوا بها طائفة دعيت الأبناء [٢] ، وقد ارتدت البحرين بعد وفاة الرسول (ﷺ) ففر منها العلاء بن الحضرمي هـــو وغيره من المسلمين ، وكان قد تملك عليها المنذر بن النعمان وكان يسمى الغرور [٣] ، فعاد اليه العلاء على رأس لواء من الألوية الاحد عشر لقتال المرتدين فوصلوا البحرين ، وحفروا الخنادق وخندق المرتدون أيضاً ، وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خنادقهم وكان ذلك شهرا . [٤]

فبينا المسلمون في الليل إذا سمعوا أصواتا عالية في جيش المرتدين ، فقال العلاء من رجل يكشف لنا الخبر ؟ فقال عبد الله بن حذف : انا . فذهب اليهم فوجدهم سكارى، فرجع مسرعا إلى العلاء بالخبر ، فخرج المسلمون عليهم فقتلوهم قتلا عظيما . وركب الهاربون من المرتدين السفن إلى جزيرة (دارين[٥]) في الخليج العربي فطلب العلاء من المسلمين اللحاق بهـــم وليس معهم سفنا ، فاقتحم البحر بفرسه وهو يقول (يا أرحم الراحمين يا حكيم يا كريم يا أحد يا صمـــد يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام لا إله إلا أنت يا ربنا) [٦]

---

(١) فتوح البلدان ٨٩ ، التاريخ السياسي للدول العربية ١ - ١٥٤ .
(٢) ابو بكر ١٧١ .
(٣) البداية والنهاية ٦ - ٣٢٧ ، الكامل ٢ - ٣٥٨ ، الطبري ٣ - ٢٥٥ ، فتوح البلدان ٩٥ ، وجاء في ابن خلدون ٢ - ٨٨٢ « المغرور » .
(٤) وكانت المعركة في بلدة جُوا ثى التي لا تزال أطلالها باقية في الشمال الشرقي من بلدة المبرّز في الاحساء .
(٥) لا تزال معروفة ومن القطيف جسر عمل حديثاً يتصل بتاروت المتصلة بدارين .
(٦) المصادر السابقة ، والعبور إلى دارين ميسور وقت الجزر .

وكذلك المسلمون من بعده واستطاعوا الوصول إلى الجزيرة على الخيول والبغال والحمير [١] واقتتلوا مــــع المرتدين قتالا شديدا انتصروا فيه ، وقسمت الغنائم فكان نصيب الفارس ستة الآف والراجل الفين [٢] .

قتال المرتدين في عُمَان ومهرة :

وكان قد ادعى النبوة فنهم رجل يقال له (ذو التاج) وهو لقيط بن مالك الأزدي وكان يسمى في الجاهلية (الجلندي) [٣] فتبعه أهل عُمَان وآمنوا به فبعث أبو بكر (ض) اليه حذيفة بن محصن من حِمْيَرَ وعرفجة البارقي من الأزد إلى مهرة ، وأرسل إلى عكرمة ابن ابي جهل وكان قد بعثه إلى اليمامة فأصيب لما تسرع وهاجم مسيلمة على أن يلحق بهما ، فاذا فرغوا ان يسيروا الى اليمن . والتقى المسلمون مع المرتدين في (دبا) [٤] وهي عاصمة عُمَان وقاتلوا المرتدين قتالاً شديداً ، كادت تكون فيه الغلبة عليهم لولا ان جاءهم المدد من احدى القبائل الموالية فأنتصر المسلمون وقتلوا من المرتدين عشرة الآف، وسبوا الذراري وقسموا الغنائم وأرسلوا بالخمس إلى أبي بكر (ض) [٥]

واما مَهْرَةُ فسار اليها عكرمة ، فأقتحم البلاد وقاتل اهلها وانتصر عليهم ، ثم تابع مسيرته الى اليمن للالتقاء بالمهاجر ابن أبي امية كما عهد اليه أبو بكر (ض) .

قتال المرتدين في اليمن :

لم تهدأ ردة اليمن بعد قتل الأسود العَنْسي المتنبيء في عهد رسول الله ﷺ فقد أعلن زعماء القبائل تمردهم على الحكم الاسلامي ومنهم عمرو بن معد يكرب الزُّبيدي رئيس قبيلة زُبيد ، والأشعث بن قيس قائد كندة ، وقيس ابن عبد يغوث وغيرهم. وكان أبو بكر (ض) قد ارسل المهاجر ابن ابي امية

---

(١) المصادر السابقة .

(٢ ابن خلدون ٢/٨٨٤ ، الطبري ٣/٢٩٠، البداية والنهاية ٦/٣٢٩ وقد جاء فيه الفارس الفين والراجل الف .

(٣) ابن خلدون ٢/٨٨٥ ، الطبري ٣/١٦١ ، الكامل ٢/٣٧٢ ، البداية والنهاية ٦/٣٢٩

(٤) تاريخ الجنس العربي ٧/٥٧ (دبي) ودبا غير دُبَيّ

(٥) ابن خلدون ٢/٨٨٦، الطبري ٣-٢٦٣، الكامل ٢-٣٧٣ ، البداية والنهاية ٦-٣٣٥

المخزومي إلى اليمن ، وأرسل عكرمة ابن ابي جهل بعد ان قضى على ردة عُمان اليه مدداً . فلما سمع المرتدون بذلك خافوا على أنفسهم . وكان قيس ابن عبد يغوث وعمرو بن معديكرب قد تنافرا واضمر كل الغدر لصاحبه بعد ان كانا متحالفين على لقاء المهاجر وقتاله ، وحدث ان هاجم عمرو قيسا واسره فحمله الى المهاجر الذي ارسل الاثنين الى المدينة ، وقد عفي عنهما فيما بعد .

والتقى جيش المهاجر بجيش عكرمة في مأرب واستعدوا لقتال قبائل كندة التي كان يقودها رئيسها الأشعث بن قيس الذي التجأ إلى حصن النُّجَيْر ، وهو أحد الحصون المنيعة ، فحاصره المسلمون من كل جانب ، فلما رأى المتحصنون شدة الحصار قال بعضهم لبعض : الموت خير مما أنتم به ، جزوا نواصيكم حتى كأنكم قد وهبتم لله أنفسكم فأنعم عليكم فبؤتم بنعمته، لعله أن ينصركم على هؤلاء الظلمة ![1] وخرجوا من الحصن وقاتلوا قتالاً شديداً ولكنهم لم يحصلوا على شيء فعادوا إلى الحصن وقد بلغ اليأس نفوسهم وخافوا الموت . ولم يكن هناك بد من المفاوضة فجاء الأشعث إلى عكرمة مفاوضاً على التسليم ، مقابل أن يشفع له عند المهاجر للحفاظ على نفسه وعلى تسعة معه ، وأن يفتح الحصن للمسلمين ويخلي بينهم وبين من فيه . ووافق المهاجر على ذلك وكتب الأشعث أسماء أخيه وبني عمه وأهلهم ونسي أن يكتب اسمه معهم ، ثم ختم الكتاب وسلمه للمهاجر ، وفتحت الأبواب للمسلمين فاقتحموا الحصن فلم يدعوا فيه مقاتلاً إلا قتلوه وسبى المسلمون النساء ممن في النُّجَير فكانت عدتهن ألف امرأة[2] وأطلق التسعة الذين كانوا في الكتاب . أما الأشعث فقد أرسل مخفوراً للمدينة ، ثم أسلم وتزوج أم فروة أخت الخليفة أبي بكر (ض) .

وبإخضاع اليمن وجنوب الجزيرة العربية ، انتهت حروب الردة تلك الحروب الطاحنة التي لم تستغرق سوى سنة واحدة ، بها وطد الإسلام أركانه من فلسطين شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً ، ومن البحر الأحمر غرباً إلى

---

(١) ابو بكر ١٨٧ . (٢) الطبري ٣/٢٧٥ .

الساحلي ، يضع الحديث على مالك وأبن أبي ذيب ، وغيرهما من الثقات ، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه فكيف الرواية عنه ؟

سليمان بن محمد بن سليمان بن موسى بن عبدالله ابن يسار الأسلمي اليساري الجاري المديني، سكن الجار وروى عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم واسحاق ابن إبراهيم بن نسطاس ومـــالك بن أنس وابن أبي ذئب ونافع بن أبي نعيم وغيرهم ويحيى بن محمد الجاري من أهل الحجاز ويروى عن الدراوردي، روى عن مؤمل بن اهاب ، كان ممن يتفرد بأشياء لا يتابـع عليها على قلة روايته كأنه كان يهم كثيراً ، فمن ههنا وقع المناكير في روايته ، يجب التنكب عما انفرد به من الروايات وإن احتج به محتج فيما وافق الثقات لم أر به بأساً. انتهى كلام السمعاني [1] .

٢ – وللجار أثر كبير في تاريـخ الجزيرة ، فقـــد وقعت فيه حوادث أقضَّت مضجع الدولة العباسية بحيث أرسلت الجيوش الجرارة لغزو الجزيرة حتى قضَت على نفوذ كثير من قبائلها فمن ذلك ما أورده ابن جرير وغيره من المؤرخين من الحوادث قال ابن جرير :

وفيها سنة [٢٦٦] كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية ، ذكر الخبر عن سبب ذلك : وكان سبب ذلك فيما ذكر ان القيِّم بأمر المدينة ووادي القرى ونواحيها كان في هذه السنة اسحاق بن محمد بن يوسف الجعفري فولَّى وادي القرى عاملا من قبله ، فوثب أهـــل وادي القرى على عامل

الخليـج العربي شرقاً ، وهدأت الجزيرة من الحروب والاستعدادات ولكن إلى حين ، فقد كانت تستعد لحرب أعم وأشمل هي حرب الفتوحات في بلاد الشام والعراق ، والقضاء على الامبراطورية الرومانية في بلاد الشام والدولة الفارسية في العراق .

الرياض : معهد الادارة العامة **هشام ابن أبي حاكة**

---

(١) وانظر مادة الجار في معجم البلدان .

اسحاق بن محمد فقتلوه وقتلوا أخوين لإسحاق ، فخرج إسحاق إلى وادي القرى فمرض به ومات ، فقام بأمر المدينة أخوه موسى بن محمد ، فخرج عليه الحسن بن موسى بن جعفر فأرضاه بثمانمائة دينار ثم خرج عليه أبو القاسم أحمد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد ابن عمّ الحسن بن زيد صاحب طبرستان ، فقتل موسى وغلب على المدينة فضبط المدينة ، وقد كان غلا بها السعر ، فوجه إلى الجار وضمن للتجار أموالهم ، ورفع الجباية فرخص السعر وسكنت المدينة فولّى السلطان الحسني المدينة إلى أن قدمها ابن أبي الساج .

ويضيف ابن جرير في حوادث سنة ٢٣٠ تفصيل حادثة كان لها أعظم الأثر في تغلغل الجيوش العباسية في الجزيرة بما هذا نصه :

كان ان بني سليم كانت تطاول على الناس حول المدينة بالشرّ وكانوا إذا وردوا سوقاً من أسواق الحجاز أخذوا سعرها كيف شاؤا ثم تراقى بهم الأمر إلى أن أوقعوا بالجار بناس من بني كنانة وباهلة ، فأصابوهم وقتلوا بعضهم ، وذلك في جمادى الآخرة سنة ٢٣٠ وكان رأسهم عُزيزة بن قطاب السلمي ، فوجّه اليهم محمّد بن صالح بن العباس الهاشمي وهو يومئذ عامل المدينة مدينة الرسول ﷺ حمّادَ بن جرير الطبريّ وكان الواثق وجّه حماداً مسلحة للمدينة لئلا يتطرقها الأعراب في مائتي فارس من الشاكريّة ، فتوجه اليهم حمّاد في جماعة من الجند ، ومن تطوّع للخروج من قريش والأنصار ومواليهم ، وغيرهم من أهل المدينة فسار إليهم فلقيته طلائعهم ، وكانت بنو سليم كارهة للقتال ، فأمر حمّاد بن جرير بقتالهم ، وحمل عليهم بموضع يقال له الرُّويثة من المدينة على ثلاث مراحل (١) وكانت بنو سليم يومئذ وأمدادها جاؤوا من البادية في ستمائة وخمسين ، وعامة من لقيهم من بني عوف من بني سليم ومعهم أشهب بن دويكل بن يحيى بن جمير العوفي وعمه سلمة بن يحيى ، وعُزيزة بن قطاب اللّبيدي من بني لبيد بن سليم ، فكان هؤلاء قوادهم ، وكانت خيلهم مائة وخمسين فرساً فقاتلهم حماد واصحابه ، ثم أتت بني سليم امدادُها خمسمائة .

---

(١) تعرف الرويثة الآن ببئر عباس ، وتبعد عن المدينة (٧٨) كيلا في طريق السيارات القديم إلى مكة .

من موضع فيه بدوهم ، وهو موضع يسمى أعلى الرويثة بينها وبين موضع القتال أربعة أميال ، فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت سودان المدينة بالناس ، وثبت حمّـــاد وأصحابه وقريش والأنصار فصلُوُا بالقتال ، حتى قتل حمّاد وعامة أصحابه ، وقتل ممن ثبت من قريش والأنصار عدد صالح ، وحازت بنو سليم الكراع والسلاح والثياب ، وغلظ أمر بني سليم فاستباحت القرى والمناهل فـــيما بينها وبين مكة والمدينة حتى لم يتمكن احد أن يسلك ذلك الطريق ، وتطرّقوا من يليهم من قبائل العرب ، فوجه اليهم الواثق بُغـــا الكبير أبا موسى التركي في الشاكرية، والأتراك والمغاربة فقدمها بغا في شعبان سنة ٢٣٠ وشخص إلى حرّة بـــني سليم لأيام بقين من شعبان وعلى مقدمته طردوش التركي ، فلقيهم ببعض مياه الحرّة ، وكانت الوقعة بشق الحرّة من من وراء السّوارقيّة وهي قريتهم التي كانوا يأوون اليها،والسوارقية حصون[1] وكان جلُّ من لقيه منهم بنو عوف فيهم عُزيزة بن قطاب والأشهب وهما رأسا القوّاد يومئذ ، فقتل بغا منهم نحوا من خمسين رجلاً ، وأسر مثلهم ، فانهزم الباقون ، وانكشف بنو سليم لذلك ودعاهم بغا بعد الوقعة إلى الامان على حكم أمير المؤمنين الواثق، وأقام بالسوارقية فأتوه ، واجتمعوا اليه وجمعهم من عشرة واثنين وخمسة وواحد ، وأخذ من جمعت السُّوارقية من غير بني سليم من أفناء الناس وهربت خفاف بني سليم إلا أقلها وهي التي كانت تؤذي الناس ، وتطرّق الطّريق ، وجلُّ من صار في يده ممن ثبت من بني عوف كان آخر من أخذ منهم من بني حبشي من بني سليم ، فاحتبس عنده من وصف بالشر والفساد ، وهم زهاء الفي رجل وخلّى سبيل سائرهم ، ثم رحل عن السوارقية بمن صار في يده من اسارى بني سليم ومستأمنيهم ، إلى المدينة في ذي القعدة سنة ٢٣٠ فحبسهم فيهـــا في الدار المعروفة بيزيد بن معاوية،ثم شخص إلى مكة حاجّا في ذي الحجة فلما انقضى الموسم انصرف إلى ذات عرق[2] ووجّه إلى بني هلال من عرض عليهم مثل الذي عرض على بني

(١) بلدة لا تزال معروفة يبلغ سكانها ١٣٨٦ وتقع بقرب الدرجة ٢٨َ-٢٣ْ و ١٥َ-٤٠ .
(٢) ذات عرق تعرف الآن باسم الضّريبة ، وهي ميقات حجاج شمال نجد ، حينما كانوا يفدون على الإبل .

سليم فأقبلوا فاخذ من مردتهم وعتاتهم نحوا من ثلثمائة رجل وخلّى سائرهم، ورجع من ذات‌عرق وهي على مرحلة من البستان بينها وبين‌مكة مرحلتان.اه

وأورد ابن جرير وغيره من المؤرخين وصفاً كاملاً للحملة التي قام بها بُغا بجيشه الجرّار ، وتوغله في الجزيرة إلى عالية نجـــد ، ثم إلى إقليمي السرّ والوشم ، واخضاعه لقبيلة بني نمير ولغيرها من القبائل في الحجاز ونجد ، وكل ذلك من جرّاء تلك الحوادث التي وقعت في الجار .

ويضاف إلى ما تقدم عن الجار من الناحية الاقتصادية ما ورد في كتاب « بلاد ينبع »[1] : ولما استقر الإسلام ، وأصبحت المدينة قاعدة له ، كان المسلمون على صلات قوية ببلاد الحبشة فاختاروا ميناء للمدينة قريبة منها ومن بلاد الحبشة اختاروا (الجار) . وميناء الجار كان معروفاً في العهد الذي سبق الإسلام الا انها في العهد الاسلامي في أوله اكتسبت شهرة كبيرة حينما أصبحت أشهر ميناء في الحجاز .

وتعهدها الخلفاء ، واهتموا بشأنها بعد فتح مصر، فقد روى المؤرخون[1] ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية كتب اليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يحمل الطعام منها إلى المدينة، حتى يصل إلى ساحل الجار، فأرسل عمرو طعاماً في عشرين مركباً، في المركب ثلاثة آلاف اردب، وأقل وأكثر حتى وافى الجار ، فخرج الخليفة ومعه جلة أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى قدم الجار ، فنظر إلى السفن ثم وكل من قبض ذلك الطعام، وبنى هناك قصرين ، وجعل ذلك الطعام فيهما ، ثم أمر زيد بن ثابت أن يكتب للناس صكاكاً من قراطيس ثم يختم أسافلها ، فكان أول من صكّ وختم الصّكاك .

وفي سنة ١٤٥ حدثت ثورة محمد بن عبدالله بن حسن الطالبي واستيلاؤه على المدينة وما حولها ، ثم لما هزمته جيوش الخليفة المنصور ، أراد أن يعاقب أهل المدينة ،فأمر بإقفال البحر عنهم ، فلم يحمل إليهم شيء من ناحية

---

(١) ٤٧ وما بعدها وهذا الكتاب هو الحلقة الثالثة من (نصوص وأبحـــاث جغرافية عن جزيرة العرب) منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

الجار ، حتى كان زمن الخليفة المهدي فـــأمر بفتح البحر لهم ، وأذن في الحمل إليهم [1] .

ويشير المؤرخون إلى ضائقة مالية حدثت في المدينة في سنة ٢٦٦ هـ من جراء وضع جباية (ضريبة) على الأموال التي ترد من ميناء الجار حتى استولى على المدينة أحمد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد ، فضبط البلاد وكان السعر قد ارتفع ، فأرسل إلى الجار فرفع عنه الجباية، وضمن للتجار أموالهم ، فرخص السعر ، وسكنت الأحوال في المدينة ، وتقدم نص كلام ابن جرير عن هذه الحادثة .

أصبحت الجار الفرضة الرئيسية للمدينة وحازت شهرة تاريخية كبيرة ، بحيث كان البحر الأحمر يعرف ببحر الجار ، وأصبـح جغرافيو القرن الثالث الهجري لا يذكرون غيره في ناحيته .

ولقد ضعف شأن الجار منذ القرن الرابـع الهجري ، حيث اختل نظام الأمن في الحجاز بضعف الحكم ، فتسلطت الأعراب على الجار بالنهب والسلب وقتل أهله .

وفي آخر القرن السادس الهجري بدأ أمر الجار يضمحل وصار حجاج مصر والمغرب يركبون البحر من عيذاب إلى ميناء جدة .

ومما تجدر الإشارة اليه أن مدينة ينبـع التي خلفت الجار لا يزال يطلق على إحدى محلاتها اسم الجار وأن أحد أبواب سورها القديم كان يسمى باب الجار وهو مقابل لمحلة الجار ، وليس من المستبعد أن يكون هناك في القديم قسم من سكان ميناء الجار ارتحلوا إلى ينبـع فسكنوا هذه المحلة التي يطلق عليها الاسم او أن المحلة سميت بهذا الاسم لوقوعها في الجهة التي كان طريق الجار فيها .

وبالإجمال فإن الحديث عن الجار يحتاج إلى تفصيل ودراسة أعمق من هذه النبذ الموجزة والأخبار المتفرقة .

« للبحث صلة »

---

(١) : « تاريخ ابن جرير » حوادث سنة ١٤٥ .

المجاز بين اليمامة والحجاز

- ١٠ -

الحُفَيّرةَ والحَفَائِر : إذا انطلق الطريق من (عَفيف) متجها لظلم يأخذ ناحية الجنوب الغربي بقدر ما أخذ من اتجاهه إلى ناحية الشمال الغربي من (ضَرمى) إلى (شقراء) ليعود إلى سمت الطريق على خط مستقيم .. وحينما ينطلق من (ظلم) ينتصب مغرباً وتشاهد خلفك وأنت تنكب(ظلما) حزمَ (الحمار) ممتدا شطر الجنوب وقد سبق وصفه ، وفوقه جنوبي (ظلم) منهلان هما (الحُفَيّرة) و (الحفائر) ماءان للنفعة من برقا - عتيبة - والحفائر لابن درعان منهم .

أما تحديد كتب المتقدمين لهذين المنهلين ففيه شيء من البعد . قال ياقوت: (الحفائر جمع حفيرة: ماء لبني قُريط على يسار طريق الحاج من الكوفة.)اهـ

وقال صاحب كتاب « بلاد العرب » : ولبني قريط ماء يقال له الحفائر ببطن واد يقال له : مهزول إلى أصل علم يقال له ينوف) اهـ .

وقال ياقوت عن (الحفيرة) : (.. وحفيرة الأغرّ - بالغين معجمة والراء مشددة - ماءة لبني كعب بن أبي بكر . وحفيرة خالد وهي أيضاً ماءة لبني كعب بن أبي بكر منسوبة إلى خالد بن سليمان مولى لهم .. (إلى أن قال) وحفيرة بني نقب من مياه أبي بكر بن كلاب ..) اهـ .

اما انها في بلاد أبي بكر بن كلاب فصحيح ، واما انها عن يسار طريق حاج الكوفة فبعيد وكذلك ليست قريبة من (ينوف) قرباً يجعلها تنسب اليه ، والمناهل التي تسمى بهذا الاسم - الحفائر - كثيرة . وأرى أن الشاعر قصد الحفائر التي نحن بصدد الحديث عنها حينما قال :

ألمّا على وَحش الحفائر فانظرا إليها وإنلم يُمْكن الوحش راميا
ولا تعجلاني أن نُلمّ بجوّها ونشفيَ ملتاحا من الماء صاديا

من المشرب المأمول،أو من قراره أسال به الله الذّهاب الغواديا
أقام بها الوسميُّ حتى كأنه بها نشر البزّاز عصباً يمانيا

شَعَفُ : وحينا يُجدُّ بك السير من (ظلم) يبدو لك من بعد على يسارك جبيلان متناوحان أحدهما أسود والآخر أبيض يضرب إلى الحمرة .. هما جبلا (شَعف) أو (شعفين) إن شئت التثنية وهما في مرْتٍ من الأرض منبسط يسمى الحزم يمتد من (هَكران) شمالاً إلى مشارب وادي (الخُرمة) جنوباً و (لشعفين) ذكر في شعر العرب وأخبارهم قال أحدهم .

فإني أرى أن المخاض أصابها بنو عامر أهل التهدي وثهمد
سرت منجنوبالعَرْف ليلا فاصبحت بشعفين ما هذا بادلاج أعبد

وقال ياقوت : شعفُ : تلٌ بالسِّيّ ، قرب وجرة وهو أحد الشعفين المذكورين .. وهما رابيتان وقال ياقوت ايضاً على المثل السائر:(لكن بشعفين كنت جدودا) قال : إن أصل هذا المثل أن عروة بن الورد وجد جارية بشعفين ، وقد انحى عليها الزمان ، فأتى بها أهله ورباها ، حتى سمنت وبطنت . فرآها يوما وهي تقول لجوارٍ كنّ يُلاعبنها وقد قامت على أربع: احلبوني فاني خلفة. فقال لها عروة : لكن بشعفين كنت جدودا . يضرب مثلاً لمن نشأ في ضر، ثم ترفعنه فبطر.والجدود هي التي انقطع لبنها .. اه

وقال البكري : (شعفان بفتح أوله وثانيه تثنية شعف : قرنان من نجد..) وأورد المثل السابق وقصته باختصار وجوز اسكان العين من (شعفين) واستدل بقول ابن مقبل :

مرته الصّبا بالغور غورتهامة فلما وَنَت عنه بشعفين أمطرا

أورد هذا البيت البكري من قصيدة جيدة لابن مقبل في وصف الغيث نجتزىء منها بعض الأبيات :

تأمل خليلي هل ترىضوء بارق يمانٍ مَرَته ريح نجد ففترا ؟
مرته الصبا بالغور غور تهامة فلما وَنَت عنه بشفمين أمطرا

يمانية تمــري الرباب كأنه ... رِئال نعام بيضه قد تكسرا
فأمسى يحط المُعصيات حَبيِّه ... واصبح زياف الغمامة أقمرا
كأن به بين الطـرّاة ورهوة ... وناصفه السُّوبان غـَاباً مسعّرا

الأكامِيم : وإذا انطلقت من (ظلم) مغرباً وجـــدّ بك السير فالتفت يمينك تَرَ جبيلاتٍ سوداً متجاورات يرفعهن السراب في اليوم الصاحي هن (الأكاميم) ويفردن أحياناً فيسمين (الأكموم) وهذا هو اسمه قديماً قال[1] عدي بن الرقاع :

لما غدا الحي من صرخ وغيبهم ... من الروابي التي غربيها الكمم

ولقد بعث أحد الأشراف من أمراء الحجاز رسولاً له ليـــأخذ اتاوة من عرب هذه المنطقة فلقى منهم ما كدر صفوه ، واعنته ورجع خائباً فقـــال من أبيات شعبية :

عرّضْتني ما بين ظلم والأكموم ... الله يُعَرّضكَ الجنون المسيره
مَهبول يا باغي من البدو مَرسُوم ... البدو ما يعطُون حبّة شعيره
البَدُو صُبيان الفضا واصلهم قوم ... واهل مهَارٍ كل يوم مغيره

هَكْرَان : وإذا تجاوزت قليلاً بدا لك عن بعد فوق الأكاميم غربيها هَكْرَان وهو جبل ذو أبارق ونجاد تنبسط الأرض بين الطريق وبينه وقد سبق ان أشرنا إلى ذلك في رسم (شعف) وان هذه الأرض تسمى (الحزم) وقد ذكره ياقوت فقال : (هكران بالفتح ثم السكون وراء وآخره نون. والهكر الناعس : وهو جبل بحذاء مرّان عن عرام وأنشد :

أعيار هكران الخداريات

وهو قليل النبات في أصله ماء يقال له : (الصنو) ا هـ .

وفي مادة (هكر) قال : (هكر بفتح أوله وكسر ثانيه وراء . قال

(١) بلاد عدي بعيدة عن هذه المواضع ، إذ هو في نواحي الشام وصُرخ : جبل بالشام.

الحازمي : على نحو أربعين ميلاً من المدينة . وقال الأزهري : هكر موضع أراه رومياً قال امرؤ القيس :

أغادي الصَّبُوح عند هرٍّ وفرتَنَا وليداً وما أفنى شبابي غير هِرّ
إذا ذقْتُ فاها قلت : طعم مدامة معتقة مما تجيء به التجُرُ
كناعمتينِ من ظِبـاء تبَالَةٍ لدى جُؤذين أو كبعض دُمَى هَكِرِ

ويبدو لي من ذكر تبالة ومن ذكر الظباء انه أراد (هكران) فخفف لضرورة الشعر أو انه كان يطلق عليه ذلك .. فتبالة لا تبعد عن هكران كثيراً (؟) وكلا الموضعين مراح ومسرح للظباء قديماً وحديثاً ..

أما الهجري فقال : (وهكران غدير وروضة شرقي كُشُب عن مرّان نحو مرحلة ...) ا هـ.

وفي (هكران) يقول الشاعر الشعبي الشُوَيّبُ من الجِذْعان جماعة ابن زُرَيّبة يستعدي ابن رشيد على ذوي عَطِيّة قبيلة محبوبته يقول :

أهْلَ المَطارِقْ دُوكْ يابِن رَشِيد إظهَرْ عليهُمْ مع مَثاليمْ هَكرانْ
وأوْدِعْ عَمَدْهُمْ كلّ يوم بديدِ والعَفْشْ من فوق المَراحيلْ نثران

الى أن قال :

إلى ضَحَكْ بمفَلّجاتٍ سِريـد يَسْوَى منَ البصرة الى سوق نجران
يَسوَاه مَنْ كفّ الشّواربْ بالأيْدي اللي يكفْونَ الشوارب بالايمان

والمطارق التي يعنيها هي سمة ذوي عطية .

أما الماء الذي ذكره عرام فلا نعرفه اليوم بل يوجد خلف (هكران) شماليه ماء يضاف اليه فيقال (مُوَيْه هَكران) وقد كان مركزاً كبيراً لمرور السيارات . وبه قصر بناه الملك عبد العزيز رحمه الله وغالباً ما يبيت على هذا الماء في ذهابه أو إيابه للحجاز أو منه بالسيارات، قبل عهدالطائرات ثم أصبح قرية ذات نشاط وبيع وشراء ..

ولما أخذ الطريق مسلكه الجديد جنوبا عن (المُوَيه) انكمش وانتقل ما به من نشاط الى مركز هنالك محاذٍ له من ناحية الجنوب على قارعة الطريق الجديد وسمي باسمه (المُويه الجديد) . أما منهل (المويه) فهو في شعب عالق بالحرة التي غرب المويه ، بينه وبين مرّان ، وماؤه ليس بطيّب يجعل في الإناء – قربة كانت او غيرها – ولا يلبث أن يتغير طعمه ولونه فما هو بمساغ ..

ويترك الطريق من (ظَلَم) الى (المويه الجديد) مياهاً شمالية منها (شُرْمَة) و (سُمّ ساعة) و (الرّجمَة) وهاتان للخراريص وهذا الماء (المويه) وغيرها وكلها مياه ملحة وغير مقبولة يحف بها سبخات و (جفاجف) أرض لا نبات بها .

المُوَيْهُ الجَدِيْد : بعد أن تترك جبل (شعف) يسارك وجبل (هَكْران) يمينك ، ويأخذ بك الطريق في حزون متطامنة تلمُّ بمركز (المويه الجديد) وهو – كما قلنا – مركز اتخذ على غير ماء ، ينقل اليه ماؤه من اماكن أخرى .

وقد ظن بعض الباحثين انه هو المويه الحقيقي الذي تحدثنا عنه آنفاً – فخلع عليه صفات ذلك – ولما جئت لأصحح ما وقع فيه أصر على رأيه فاعرضت وتركت الحكم للعارفين وللتاريخ ..

كُشُب : وإذا انطلقت من (المويه الجديد) فالتفت يمينك ترَ من بعد جبلا أسود معرضا يسدُّ الأفق الشمالي هذا هو جبل (كُشُب) متربعاً هنا يشرف على مياه عدة غير ما بوسطه من المياه فهو يشرف على (مرّان) و (دُغَيبجة) و (الخُوَارة) و (الحَفْر) و (المَشْويّة) و (قُباً) و (المُوَيْه) . . وغيرها من المياه ويتصل به حرار وآكام وأودية تضاف اليه ..

وقد جاء ذكره في الشعر العربي قال بشامة بن عمرو :

فمرّت على كُشُب غدوة وجازت بجنب أريْكٍ أصيلا

وقال مُزاحِم العُقَيلي :

ما بين نجران نجران الحقول إلى — أعلام صارة فالأغوار من كشب

وقال العجاج :

كأن من حرّة لَيْلى ضرباً — أسود مثل كُشُب أو كشبا

وتقول الشاعرة الشعبية نافعة المُطَيرية :

يا راكبٍ عمْليّةٍ تقطع الخوف — عِمْلية والسّرّ من تيه الأحرار
مِسْرَاحْهامن كشب معحقّة الشوف — والعصر يقهرها من القوز ويْسَار

وقالت صالحة العيسائية :

يا مرحباً باللي على بيـــتنا مرّ — رَدّ السّلام ولا معي فيه حيــله
يا مرحباً عدَد حَصا كُشْب وأكثر — وعدَد جَرَادٍ طايرٍ من مقيلِه

وتنقاد من شرقي (كشب) حرة تضاف اليه يقال لها (حرة كشب) وبعض الأعراب المتأخرين يسميها (حرة المويه) هذه الحرة تمتد من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة (كشب) ويذهب منها لسان ناحية الجنوب حتى لا يبعد عن طريقنا هذا .. وبحكم الحرار خشنة خرشاء يتعذر السير فيها لذلك اتخذ في هذه الحرة طريق ممهد ينسب الى زبيدة زوج الرشيد ، وهذا مبدأ في شق الطرق من ذلك العصر. فطريق حاج البصرة يفري هذه الحرة ويسمي الطريق فيها حتى الآن (المُنـَقـّى [1]) يأخذ الطريق من (الدّثينة) إلى (قُبَا) بينها سبعة وعشرون ميــلاً ومن (قُبَا) إلى (مرّان) بينهما أربعة وعشرون ميلا .

مرّان : ومن مياه (كُشُب) يليه بينه وبين الطريق (مرّان) في واد كثير المياه كثير الأشجار له شهرة في التاريخ ، وفي أشعار العرب ، يجتازه طريق البصرة إلى مكة ، ويكثر ذكره على ألسنة الرحالة ، وعلماء

(١) تسمية قديمة قال عرّام : طريق زبيدة يدعوه بنو سليم منقى زبيدة ص ٤٣٤ (نوادر المخطوطات) .

المنازل والديار ، وكان قاعدة رئيسية لقبيلة بني هلال بن عامر لها فيه آثار وأخبار وأشعار . وبه توفي العلم الشهير عمرو بن عبيد رحمه الله ودفن فيه مرّ بقبره الخليفة أبو جعفر المنصور فزاره وأنشد قائلاً :

صَلّى الإله عليك من مُتَوَسَّد قبرا مررتُ به على مرّان
قبراً تضمن مسلماً متخشعاً عَبَدَ الإله ودان بالفرقان
كان الرجال إذا تنازع بعضهم فصَلَ الحديث بحكمة وبيان
لو أن هذا الدهر أبقى صالحاً أبقى لنا عَمْراً أبا عُثْمان

ويقال ان تميم بن مُرٍّ أبا القبيلة الشهيرة — تميم — مات بمرّان وقبره به . قال جرير يعرض بابن الرقاع :

قد جَرَّبَتْ عَرَكي في كل معترك غلبُ الرجال فما بال الضغابيس ؟
وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرَن لم يستطع صولة البزل القناعيس
إني إذا الشاعر المغرور جرَّبني جارٌ لقبر على مرّان مرموس

يريد انه يكون جاراً لجدّه تميم المدفون بمرّان . وقال شاعر آخر يذكر سكانها من بني ماعز :

أبَعْدَ الطوالِ الشُّمِّ من آل ماعز يرجّي بمرّان القِرى ابنُ سبيل
مَرَرْنا على مرّان ليلاً فلم نعج على أهل آجام بها ونخيل (١)

ولابن الأعرابي :

أيا نخلتي مَرّان هل لي اليكما على غفلات الكاشحين سبيلُ ؟
أُمَنّيكُما نفسي إذا كنت خالياً ونفعكما لولا الفناء قليل
وما لي شيء منكما غير أنني أحنُّ الى ظلّيكما فأطيل

ويذكر فهد السكران الشاعر الشعبي مرّان فيقول :

عِدِّ مِصَادِيْرِهْ على الضلْعَ الاسمر مرّانْ يَهَاجَ الكُبُودَ العْطاشِ

---

(١) من قصيدة من عيون المراثي أوردها الهجري ونقلتها في حواشي رسالة عرام « نوادر المخطوطات » ٢/٤٣٨ .

ويدعو على مرّان أحد الشعراء الشعبيين لأنه كان سبباً في فراق محبوبته فيقول :

ألا يا الله لا يَسقيكِ يا قُلبان مرّان   تَلِمّ الحَـيّ في ساعة وكلٍّ ضارب نيّه

وتقول الشاعرة الشعبية مويضي البرازية تمدح حمود بن رُبَيْعان وتذكر مَرّاناً بالخير من أبيات :

منازلَ الخَـفْـرات بيضَ المفارِقْ   مرّانْ مشْهي مفتر الخَـلْـف ولِـقاحْ

وقد ذكره عرام بن الأصبغ السلمي فقال : (... وقرية يقال لها (مران) قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع . وهي على طريق البصرة لبني هلال وجسر ولبني ماعز وبها حصن ومنبر وبها ناس كثير.)اهـ.

كما ذكرها في كتاب « بلاد العرب » فقال : (... ثم مـران وهـو ماء وقرية غناء كبيرة ونخيل ..) اهـ .

وقال عنه ابن بُليهد : (... منهل كثير الماء لو اجري على ظهر الأرض لجرى ولكن المحيط به من الأرض سبخة لا تصلح للزراعة وبه آثار الى هذا اليوم وأصول نخل ودوم ولم يبق به غير البوم ..) اهـ .

وكانت (مران) – كما قلنا – قاعدة لتجمع قبيلة بني هلال ذات التاريخ والمجد في جزيرة العرب ، وذات الأبطال والشهرة الفروسية التي تغنى بهـا الزمن ، وحفل بها التاريخ ، صوّرَ شيئاً من ذلك الشاعر بولس سلامة في ملحمته « عيد الرياض » على ذكر رحلة الملك عبد العزيز الى مكـة أول مرة يدخلها ويصور كيف كان (العُجَيْري) أديب الركب يشنف الأسماع ويجمع القوم حول مائدة أدبية سائرة يقدم فيها كل مشتهى لذيـذ .. ويمرّ بمرّان فتنصت المسامع لما يقوله عن بني هلال ، من أخبار نادرة ، وأحاديث شيقة عذبة ..

قال بولس سلامة :

يا عُجَيْرِيُّ – قال سلطان نجد –:   ما اسم هذي المرابع (الفاغيات) ؟

قال : هذي مَرّانُ مولاي فانظر ما أثار النسيان في النخـــلات
يتذكرن من هِلاَل بنيـــه او بدور المغارب الآفـــلات
قال : في غابر الزمان ألَمّ الجـد بُ في هـــذه الرُبا الزاهرات
ورأى نجـــدُنا حِقَاباً صعابا من ثمـــارٍ ومن جَنى عاريات
أجمعوا رأيهم على تَرْكِ نجـــد لبلاد موفورة الخـــيرات

ومضى بولس سلامة تتفتح شاعريته الثرة عن اثنين وثمانين ومائتي بيت من الشعر المحلق في بني هلال وقصتهم .

دُغَيْبِجَةُ : ومن مياه (كُشُب) الجنوبية الواقعة قرب مران (دُغَيْبِجَة) ولم اعثر لها على ذكر قديم فيما بين يدي من المراجع ولعلها التي كان يطلق عليها قديماً (الشُبيكة) بينها وبين مران ثلاثة اميال قال في كتاب المناسك : (.. وبالشبيكة آبار طيبة قريبة الماء .) ا هـ

وقد وردت (دغيبجة) في شعر شعبي لابن بليهد رحمه الله قال :

حنّا ظَهَرْنا مَعْ بعيد المَنَاطِيسْ يَا لَيْتَنِي خَاوَيْت حَمّايَ الأفرَاس
عَلَىَ فَروتٍ كِنّهن القَرانِيس مَرّتْ خشُوم دْغَيْبِجَهْ تمرس أمراس

ويليها ماءة (الخُوارة) كذلك لم اعثر لها على ذكر فيما بين يدي من المراجع وهي ماءة مشهورة عند اهل هذه الناحية وهي في بلاد بني هـلال ابن عامر .

الحَلَمَة : ومما يلي (كشبا) جنوبيه غربيه بينه وبين الطريق جبل متطامن، أشبه ما يكون بالحرة عالقة به حزون وقفاف واجارعُ مكسو بشجر السمر والسلم والوهط هذا الجبل هو (الحلمة) قـــد لا يلفت نظرك كثيراً وانت على الطريق ، ولكن اذا دنوت منه وجدته عالي المناكب رحب الجوانب وهذا الجبل وشبهه لكثرة مخابئه ووفرة تضاعيفه وتجاويفه ملجأ لقطاع الطريق آنذاك ومرتاد للصوص البادية وصعاليكها ..

قال لص محاربي من رواد هذا الجبل راجزاً :

نلتمس الطراق وقت العتمة وللسباع رَهَجٌ وهَمْهَمَهْ
في مَهْمَةٍ يُجيزه منْ علمـــه ونَهْتَدي فيه برأس الحَلَمَة

(للحديث صلة) الرياض عبدالله بن محمد بن خميس

مع المجاز بين اليمامة والحجاز

- ١ -

هذا العنوان المسجوع الذي يشمل بين جزءيه مسطحا فسيحا من بلاد العرب ، هو عنوان البحث الذي كتبه الأستاذ عبد الله بن خميس ونشره على صفحات مجلة « العرب » ، مسلسلاً في الجزء الحادي عشر من السنة الثالثة وما بعده ، وهو ولا شك بحث قيم ، ضمنه وصفاً جغرافياً لمعالم البلاد التي يمر بها الطريق المعبّد السالك بين اليمامة والحجاز ، وقد صاغ البحث في أسلوبٍ أدبي ممتع ، يستهوي القارىء ، وينتقل به من مرحلة إلى أخرى عبر جزيرة العرب من الشرق إلى الغرب ، يصوّر له مواضعها وأعلامها الجغرافية تارة ، ويمتّعه بنماذج من تاريخها تارة ، ويتحفه بطرائف من أخبار العرب وأشعارهم تارة أخرى ، ولا غرو ، فالأستاذ عبد الله بن خميس باحث في الطليعة ، وله عناية بتراث العرب القديم والحديث - أخبارهم وأشعارهم وتاريخهم، وجغرافية بلادهم - فبحثه مفيد في وصف ما يمر به الطريق وهو يسير من اليمامة صوبَ الحجاز ، ووصف ما يقع حوله يميناً وشمالاً ، وربما استطرد في البحث حيناً وانساق مع امتداد الصحارى الفسيحة فوصف مواضع بعيدة عن الطريق ، ومهما بلغ الباحث من جهد وأمعن في البحث ، فـــإن لكل جواد كبوة ، - والأستاذ عبد الله جواد ولا شك ومن المجلّين في الميدان - غير أن الهفوات اليسيرة لا تبدو إلا عند تحقيق البحث ودراسته دراسة ميدانية ، وتطبيقه موضعياً ، ونحن حينما نستقرىء بحثه من كل جوانبه نجد أنه :

١ - مرّ بمواضع قريبة من طريقه ولم يذكرها ، رغم أنه دقيق في بحثه ، ويحاول أن يأتي على كل صغير وكبير في البحث .

٢ - بعض المواضع التي وصفها وصفاً جغرافياً وقعت أخطاء في تحديدها.

٣ - اعتنى ببحث بعض المواضع من الناحية التاريخية ، بينما نجد أنه أهمل مواضع أخرى من الناحية التاريخية رغم أهميتها .

٤ – نجد أحياناً أنه ينساق بالبحث ويستطرد بعيداً عن الطريق ، وفي هذه الحال يحمل الوصف الجغرافي وربما وقعت أخطاء في التفاصيل حين يفصل في البحث .

ومن حيث العموم فإن هذه الملاحظات تعتبر يسيرة بالنسبة لأهمية بحثه ، وقيمته العلمية والأدبية ، وسأسير مع الأستاذ في بحثه مرحلة مرحلة محاولاً عرض الملاحظات الآنفة الذكر إتماماً للفائدة ، ومشاركة في سبيل المعرفة ، وأرجو أن يكون الجهد موفقاً لما فيه الصواب .

بدأ الأستاذ بحثه من مدينة الرياض . وكانت نقطة انطـلاق البحث من الجسر الكبير الذي يربط بين ضفتي وادي حنيفة الشرقية والغربية ، والواقع بجانب مدينة الرياض الجنوبي الغربي ، حيث يبــدأ طريق السيارات المعبد متجهاً معه أنـّى اتجه ، وهو يسير إلى الحجاز ، ووصف المواضع التي ينفذ معها الطريق والمواضع الواقعة يميناً وشمالا منه ، وأبدع في وصفها ، وتوغل في وصف الجانبين – اليمين والشمال – وأمعن في دقة الوصف وشموله ، وسار بهذه العناية من التدقيق في الوصف والتحقيق في مواضع هذه الناحية ومعالمها حتى هبط به الطريق في أرض البَطِين وتجاوز مدينة ضَرَمَا ، ولا عجب « فأهل مكة أدرى بشعابها » . وبحاثتنا ابن تلك الناحية ، غير انه مرّ في بحث تلك الجهة بذكر بلدتين لهما أهمية كبيرة في نظر التاريخ والمؤرخين ولم يتعرض لبحث تاريخها ولو بلمحة وجيزة ، وهمـــا : بلدة العُيَيْنَة وبلدة الدّرْعِيّة ، ولم يهتم كثيراً بوصفها من الناحية الجغرافية كاهتمامه بوصف بعض المواضع القريبة منها ، ولعله كان يرى ان قراء مجلة « العرب » كلهم يعرفون هاتين البلدتين تاريخياً وجغرافياً ، وأعتقد ان كثيراً من القراء لا يعرفون شيئاً عن وصفها الجغرافي وتفاصيل تاريخها،وأهميتها السياسية والاجتماعية في تاريخ الجزيرة العربية ، ولم يسبق لهم أن زاروهما أو مرّوا بهما ولو في سفرة عارضة ذلك ان قرّاء مجلة « العرب » كثيرون ومن مختلف طبقات القراء والميـــول المتنوع في القراءة ، إذن ففي مثــل هذا البحث يجب اتباع الأسلوب العلمي الذي يأخذ بالجانب الأحوط في الأداء والتصوير ، حتى يمكن أن يستفيد منه العدد الأكبر من القراء على مختلف طبقاتهم .

بلدة العُيَيْنَة : كان لهذه البلدة مركز مرموق من الناحيـــة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بلغ أوجه في عهد أميرها عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر ، وقد ذكر ابن بشر في تاريخه [١] انها تزخرفت في عهـد هذا الأمير ، وذلك قبل أن ينتقل منها قاضيها عبد الوهاب بن سليمان –وهو والد الشيخ محمد إمام الدعوة – الى حُرَيْمِلا .

وذكر (سنت جون فيلبي) في تاريخه [٢] ، أن حكم عبد الله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن معمّر الآنف الذكر بدأ بعد وفاة عمه أحمد بن معمّر الذي كان حاكماً قبله وأنها كانت عام ١٦٨٥ م وأن حكم هذا الأمير تميز بطوله ، إذ توفي من جراء وباء (الكوليرا) عام ١٧٢٦ م . وفي عهـده أصبحت العيينة الكوكب الهادي للصحراء العربية ، بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها للتطوير بلاده.

ثم لا يغرب عن ذهننا أن بلد العيينة هي مسقط رأس إمام الدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ، ومنها بدأ يبث دعوته الاصلاحية ، وبزغ فجرها الأول في قلب نجد ، وكان النّصير الأول لهذه الدعوة السلفية هو عثمان بن معمّر ، وكان عثمان يومئذ أمير العيينة وقد اتفق مع الشيخ محمد على العمل الخطير في نشر الدعوة الاصلاحية ، وأكد قبوله لمباديء الشيخ وولاءه له بتزويجه أخته ، غير ان أسباباً سياسية واجتماعية لها أثرها في مصالح الامير الدنيوية جعلته يتخلى عن منصرة الشيخ ويحوّل سياسته نحو الدعوة وجهة جديدة ، كانت السبب في إنتقال الشيخ إلى بلدة الدِّرْعيّة ، فكان إنتقاله إلى الدرعية نقطة تحول في تاريخ البلدين العيينة والدرعية ، بل في تاريخ جزيرة العرب أجمع .

الدِّرْعيّة : في سنة ١١٥٨ هـ إنتقل إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) من العيينة إلى بلد الدرعية ، وكان أميرها يومئذ محمد بن سعود ، ففرح أهل الدرعية بهجرة الشيخ إليهم ، وآووه رغم ما هم فيه من الضعف وضيق العيش ، وتمت البيعة المباركة بين الامام الداعية المصلح وبين الأمير المجاهد محمد بن سعود خلال اليومين اللذين تم وصوله فيهما للدرعية ، وليست إمارة الدرعية يومئذ بأقوى من الإمارتين المجاورتين والمنافستين لها في العيينة

---

(١) عنوان المجد ، طبعة بابطين صفحة ١٤ ج ١ .
(٢) تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ترجمة عمر الديراوي ص ٢٨ .

وفي الرياض ، واميرها يومئذ دهام بن دوّاس ، غير ان الله قضى للدرعية بأسرار أراد لها أن تبرز على يدي هذين الرجلين المصلحين ، وشرع الشيخ في بث الدعوة ونشر تعاليمها ، وسار الركبان بأخبارها ، وباشر الأمير مهمته الخطيرة في مناصرة الدعوة والدفاع عنها ، وهاجر إلى الدرعية واستوطنها أتباع الشيخ ومناصروه من أهل العيينة وغيرها ، وعاشوا في ضيق من العيش ، وذكر ابن بشر أنهم كانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحترفون ، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة .

ومن بلدة الدرعية بزغت شمس الدعوة الإصلاحية التي اضطلع بأعبائها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتحمل البيت السعودي أعباء مناصرة هذه الدعوة والدفاع عنها حتى أشرقت أشعتها في أطراف جزيرة العرب ، بل تجاوزتها إلى ما وراءها ، وسارت الدرعية في سُلّم التطور الديني والسياسي والاقتصادي ، حتى أصبحت في عهد الإمام سعود الكبير عاصمة البلاد العربية ، وقد وصف ابن بشر ما شاهده فيها من التطور الكبير في هذا العهد والثراء الواسع فقال [١] : ولقد رأيت الدرعية في زمن سعود — رحمه الله — وما فيه أهلها من الأموال ، وكثرة الرجال ، والسلاح المحلى بالذهب والفضة الذي لا يوجد مثله ، والخيل الجياد ، والنجايب العمانيات ، والملابس الفاخرة وغير ذلك من الرفاهيات ، ما يعجز عنه اللسان ، ويكلُّ عن حصره الجنان والبنان ، ولقد نظرت إلى موسمها يوماً في مكان مرتفع ، وهو في الموضع المعروف بالباطن ، بين منازلها الغربية التي فيها آل سعود المعروفة بالطُّرَيف ، ومنازلها الشرقية المعروفة بالبُجَيري التي فيها أبناء الشيخ ، ورأيت موسم الرجال في جانب ، وموسم النساء في جانب ، وموسم اللحم في جانب وما بين ذلك من الذهب والفضة والسلاح والإبل والأغنام والبيع والشراء والأخذ والإعطاء وغير ذلك وهو مد البصر ، الخ ...

وقد لفت هذا التطور العظيم في دولة الدرعية وامتداد سلطانها على أنحاء جزيرة العرب أنظارَ القُوى المعادية خارج الجزيرة . وكانت سنة ١٢٣٣ هـ وهي السنة التي استسلمت فيها الدرعية للغزو التركي المصري بداية تحوُّل جديد ، فقد أصبحت مدينة الدرعية أطلالاً موحشة من جرّاء أعمال الغزو

(١) عنوان المجد الجزء الأول صفحة ٢١ طبعة بابطين .

المصري ، وما زالت أطلالها باقية تعبّر عن المأساة التي لحقت بها من ذلك الغزو الغاشم ، وقد أفل كوكب الدرعية اللامع بعد هذه النكبة ، ليظهر مرة أخرى لامعـــاً في مدينة الرياض على يد الإمام تركي بن عبدالله وابنه فيصل ومنذ ذلك العهد – أي قيام حكومة الامام تركي ودخوله الأول لمدينة الرياض عام ١٢٤٠ هـ – أصبحت مدينة الرياض وريثة الدرعية في مركزها السياسي والاجتماعي وعاصمة الجزيرة العربية إلى هذا العهد .

هذا فيما يخص البلدتين الدّرعيّة والعُيَينة،فإذا هبطنا أرض البَطِين وخلفنا ثنَيّة الأدَيراب وما حولها،وانطلقنا مع الأستاذ في وصف جبل طـُوَيْق وأنوفه الشُّم وشقرته المحببة وشماريخه الفارعة،حيث يقول : وبين مكان وآخر توجد عقاب جمع عقبة تكره المطايا والدواب على اقتحامها،ثم يأخذ في تعداد أسماء مواضع تلك الناحية في أسلوب أدبي ممتع ، غير أنه لم يفصل في ذكر هذه العقاب – على حد تعبيره – وليته فصل ولو عن أهمها ، وهما : نقب القدِّيَّة ونقب السّقطة ، ووصفها وصفا جغرافيا ، لأن هذين المنفذين المشهورين في جبل طويق من أهم الطرق التي تمر منها القوافل والركبان الوافدون من أواسط نجد إلى عاصمة الجزيرة العربية حقبة من الزمن غير قصيرة ، ولم تفقد كل منهما أهميتها إلا بعد أن تغيرت وسائل المواصلات ، وأصبحت الاتصالات تعتمد على الوسائل الحديثة – السيارات والطائرات – ومهما تعطلت هذه الطرق القديمة في هذا العهد فإن أهميتها مرتبطة بتاريخها لما لطرق القوافل البرية من الأهمية الاجتماعيـــة والاقتصادية في حياة السكان والعلاقة بتاريخ حياتهم وجغرافية بلادهم ، فالقدّيَّة عبارة عن نقب ينفذ جبل طويق من الغرب إلى الشرق ولا يسمح بالعبور لأكثر من جمل واحد ، فالقافلة مهما كثر عددها تمر معه جملا جملا في مسلك وعرٍ تكثر فيه التّعاريج ، ولقد حدثني بعض الذين مروا معه في قافلة يبلغ عددها حوالي خمسمائة بعير فقال : كنا نعتاد المبيت تحته من ناحية الغرب ، ويبدأ أوّلنا الصعود معه قبل صلاة الفجر وتطلع الشمس وآخرنا لم يدخله بعد ، لأن العبور معه يكون راحلة راحلة . وهذا الطريق تراه على يمينك حيـــنما تواكب أو بعد أن تجاوز طريق المزاحميّة والقـُطقـُط المعبّد ، أما نقب السّقطة ، فتراه على يمينك حينما تواكب بلد ضرما ، وكذلك الحـــال بالنسبة لريع سمحان الذي تراه على يسارك حينما

تكون في الكيل المائة (١٠٠ كيلومتر) من مدينة الرياض ، وهو من أشهر الطرق البرية للقوافل والسيارات التي تذهب صوب الجنوب ، فمن هذا الكيل إلى نهاية الكيل الـ ١٠٢ ترى أن طرق السيارات تتّجه لهذا الطريق الواضح خارجة من الطريق المعبّد ، تاركة جبل قرادان عن يمينها. ومن حيث العموم فبحّاثتنا لم يهتم بالطرق الفرعية القديمة والحديثة وعلاقتها بالطريق الذي كان يسير عليه .

الحيَسيةُ : وعندما مرّ بطريق الحيسيّة اكتفى بذكر مجرى السيول التي تتفرع منه ، وبلمحة تاريخية وجيزة – ذكر أنه هو الطريق الذي سلكه جيش خالد بن الوليد، وسلكه جيش إبراهيم بن محمد علي في غزوة للدرعية، – ويجدر بهـــذا الطريق أن يدرس دراسة تفصيلية من الناحيتين الجغرافية والتاريخية ، فهو أهم الطرق القديمة وأشهرهـــا ، بالنسبة لقاعدة البلاد في في أرض اليمامة قديماً وحديثاً ، ثم إن هذا الطريق لم يفقد أهميته عندمـــا تغيرت وسائل النقل والمواصلات ، فلطالما كان ملتقى للسيارات الخارجة من الرياض والقادمة اليها من الحجاز ، ومن أواسط نجد الشمالية والجنوبية مشحونة بالمسافرين وأنواع البضائع المختلفة ، وما زال محتفظاً بأهميته ، كأعظم طريق ينفذ من جبل ُطوَيْق الى أن تم تعبيد ثنية الأديراب وامتد الطريق المعبد عبر منطقة البَطِين وعدلت السيارات عن طريقها القديم اليه فعندئذ فقد أهميته بالنسبة للسيارات ، غير انه لن يفقد أهميته التاريخية كمعبر للجيوش الغازية ، ومسلك للقوافل والركبان ماراً بالأماكن التاريخية في العيينة وفي الجبيلة والدرعية .

أبو َقتَادَة : حينما ننكب الميركة عن يمننا وجبـــل قرادان عن يسارنا ويتقدم بنا الطريق ونخلّف أرض البَطين ، وجبل ُطويق يسايرنا من اليمين ، والصفراء من اليسار ، تبدو لنا هضبة الظـُعَيّنَة برأسها الأشقر كطليعة لجبل عريض ، وتبدو لنا معالم بلدة البَرّة وحينما نحاذي الظعينة يكون طريق (أبو قتادة) على يميننا ، وهو ثنية تكبد في جبل طويق ، إلا أنها تسمح للسيارة بالعبور كما تسمح للإبل المثقلة ، وتبدو معالم هذا الطريق من ريع الحجّاج الذي ينفذ بين هضبة الظعينة وجبل ُعرَيْض ثم يتجه نحو الشرق تاركا بلدة البَرّة يميناً منه فينفذ مع ثنية أبي قتادة ثم يتسهل منحدراً على شعيب (أبو قتادة

الذي تنسب الثنية اليه ، وهو واد كبير ، فيه أشجار كبيرة يفترع سطح طويق من الغرب صوب الشرق ، فيقطعه الطريق ، فيمرُّ بحُرَيملا فالقرينة ثم يعبر بلدة مَلْهَم بعد أن يجوز وادي الحَنَقَة الواقع بين مَلهم والقَرينة ، والطريق الذي يخترق بلدة ملهم عبارة عن ممر ضيق تكتنفه النخيل والبساتين من جانبيه ولا يسمح بالعبور لأحد بجانب السيارة وفيه التواءات متعددة ويمتد مع امتداد النخيل والقصور ، وقد عبرت منه مرتين منذ سنوات في سيارة كبيرة ، وكان السائق مهتما لعبوره خشية ان تقابله سيارة أو دابة ، ولكن الله سلم فلم تقابلنا سيارات في المرتين . وبعد ان يتجاوز الطريق معالم ملهم يعبر ارضاً مستوية تسمى (المَفْقَعَة) وفي ناحيتها قُورٌ تسمى قور حِزَام ، وبعد ان يجوز هذه المعالم يواكب بَنْبَان. وبعد بنبان يمر بمغرَّزات فمدينة الرياض ، ولم يتعرَّض الاستاذ عبد الله لذكر هذا الطريق ، رغم توغله في بحث هذه الناحية .

ثَرَمٌ قال الأستاذ عبد الله :(وفوق البَرَّة من ناحية الشمال الشرقي شِعْب ينحدر من العارض وبه آثار وآبار تسمى (الثَّرماني) وقد ورد ذكره قديماً باسم (ثَرَم) يسيل تجاه البرة في قرقَرَى ، وهو الذي عناه زياد ابن منقذ في قوله :

والوشم قد خرَجَتْ منه وقابلها   من الثنايا التي لم أقْلُها ثَرَمُ

وقال في موضع آخر ص ١٠٧٦ من المجلة : وخَلُّ الجُرَيفة ، ولعله خل (النقا) الذي عناه زياد بن منقذ في قوله :

متى أمُرُّ على الشَّقراء مُعتَسِفاً   خَلّ النَّقا بِمَروح لحمُها زيَمُ

وباستقراء ما ذكره الأستاذ في الموضعين ، نجد أن بلدة الجُريفة واقعة في شمال الحَمَادة في شرقي شمال الوشم وهي أقرب إلى طريق زياد بن منقذ ، غير أن الثرماني الذي ذكره واقع في ناحية قرقَرَى ، والمسافة بينهما بعيدة بالنسبة لسير الإبل ومسالكها ، والجهة التي كان يقصدها زياد واقعة في ناحية شمال سُدَير فهو ينشد بلدة أشيِّ ، في جهة طُويق الشمالية ، بينما نجد قرقرى وأوديتها في ناحية منعزلة عنها بعيدة صوب الجنوب ، وليس هناك

من خلٍّ يقابل وادي الثرماني حتى ولا نفوذ ، حتى يمكن أن يعتسفه زياد بروحه القوية اعتسافاً .

وإذا درسنا بيتي زياد من الناحتين الموضوعية والموضعية وجدنا ان زياداً يتمنى أن يمر على الشقراء – وهي القارة المعروفة بجانب بلد شقراء – معتسفاً خلّ النّقا القريب منها ، وهو المعروف حالياً باسم (خلّ النُّقَيّ) تصغير نقاً ، وذكر أنه يلاقي صعوبة في اجتيازه حيث قال « معتسفا » ثم ذكر أنه بعد اجتيازه يكون مقابلاً ثنية من الثنايا المحببة إليه – ذلك أنها تفضي به إلى بلاده . فيخرج من بلاد الوشم قاصداً بلد أشي عن طريق ثنية ثرَم ، ولنأت على ذكر الخلال (جمع خلٍّ) المعروفة في نفود الوشم، ثم نأتي بعدها على ذكر الثنايا التي تقابلها في جبل طويق حتى يمكن أن نصل الى معرفة الثنية التي جاز منها زياد والتي كانت قديماً تسمى ثَرَم .

إذا اخذنا بترتيب الخِلال من الشمال فان أولها هو خل رُحَيَنْ ويقع شمالاً من بلدة شقراء ، ويمر من جانب زيارتي رحين (كثيبين بارزين) ويفضي الى بلدة الجُرَيفة – وقد ذكر الاستاذ عبد الله من بين الخلال خلاً يسمى (خل الجريفة) والواقع أنه لا يعرف في هذه الناحية خل بهـذا الاسم ، والخل الذي يظهر من النفود مقابلاً بلدة الجريفة ، هو خل رُحِينْ .

ويليه من الجنوب خَلّ النُّقيّ ، ويقع شرقاً شمالياً من شقراء ، وهو أوعر الخلال الواقعة في هذه الناحية ويليه من الجنوب خل السّلَم وبعده خل القَصَب ، وهو آخرها من ناحية الجنوب ، وينفيض تجاه بلدة القصب .

وإذا أتينا على ذكر الثنايا التي تنفذ إلى بلد الشاعر وبدأنا من الشمال ، وجدنا أولها ثنيّتي الأدَيراب ويليها ثنية النّظيم وتليها ثنية دُهَيْن ،وبعدها ثنية سرحان ثم تليها السّقْطة ، وهي آخرها من الجنوب وهي مما يلي بلدة القَصَب – وهي غير السقطة التي مر ذكرها عند بلدة ضَرَما – وإذا أخذنا بالإعتبار أن سير الإبل يتّبع السُّبُلَ القَصْدَ ، وعرفنا أن الخل الذي سلكه زياد معتسفاً لرماله الوعرة هو خل النُّقيّ (النّقا) وأنـه يقصد العبور إلى بلدة أشي ، فإن طريقه لا يتجاوز إحدى ثنيتين : إما أن يسلك ثنية النظيم وهي أوعرها وهي تطلع على بلد أشي مباشرة ، وإما أن يسلك التي تليها ، وهي أسهل منها ، وهي ثنية دهين ، التي تقابل بلدة الدّاهِنة ، وقد ذكر

الشيخ محمد بن بليهد في كتابه « صحيح الأخبار » ص١٩١ تعليقاً على ما ذكره ياقوت في وصف (ثرم) ووجه رأيه أن الثنية التي سلك منها زياد هي إحدى ثنيتي الأديراب ، وذكر (خل النقا) ولم يصفه وصفاً جغرافياً باعتبار أنه مشهور في ذلك الوقت الذي دون فيه كتابه ، غير أن هذه الخلول تلاشت شهرتها واضمحلت معرفتها ، بعد أن تعطلت قوافل الإبــــل التي تعبرها ، فاصبحت مهجورة ، لا يكاد يعرفها من الناس إلا الذين عبروها في أسفارهم ، ووطؤها بأقدامهم ذاهبين وآيبين إلى بلدان سدير وبلدان الوشم .

وقبل أن نعود إلى الطريق ونبدأ من حيث وقفنا حذاء هضبة الظُّعَينَة عند الكيل الو ١٣٤ من مدينة الرياض و ٣٦ من بلدة مرأة ، وقبل أن نغادر قَـرْقرىَ ، فإنه يجدر بنا أن نلفت نظر القارىء إلى أننا اكتفينا بما نشرته « مجلة العرب » عن بلدة ثادق [1] .

أما فيما يخص هضبة الغُرابة ، القريبة منها والتي ذكر الأستاذ عبد الله أنها هضبة حمراء فالواقع أن هضبة الغرابة جبل أسود مرتفع له قمة ملساء لا تُطلع إلا من ناحية واحدة وقد ذكره ياقوت في «معجم البلدان» فقال : [2] « الغرابة باليمامة ، قال الحفصي : هي جبال سود ، وانما سميت الغرابة لسوادها قال بعض بني عقيل :

يا عامرَ بنَ عُقَـيْلٍ كيف تكفركم كعب ومنها إليكم ينتهي الشرف ؟
أفنيتم الحر من سعد ببارقة يوم الغرابة ما في برقهـــا خلفُ

ومما أقطعه النبي ﷺ مجاعة بن مرارة ، الغورة وغرابة والحبل » [3] .

ولنعد إلى موقفنا من الطريق حذاء هضبة الظعينة ، ونتابع السير ، وجبل عُرَيض عن يميننا وصفراء الشمس عن يسارنا ، في أرض مستوية ، حيث يقول الشاعر محمد بن زيد من قصيدة له :

يا حِلوُ عِنْدِ عريض دِفلاجهْنّا كميت يرمى شايفينه بالا َنْـظَـارْ

---

(١) الجزء الاول من السنة الرابعة (ص ٨٧)

(٢) الجزء الرابع (ص ١٩٠) .

(٣) لصاحب « العرب » كتاب عن « الاقطاعات النبوية » أثبت فيه ان غرابة المقطعة اثامة بقرب (حَجْر) الرياض ، وليست هذه .

وعند الكيل الـ (١٤٩) من الرياض و (٢١) من مرأة نجد أننا محاذون لنهاية جبل عُرَيض من الشمال ونهـــاية عُرَيق الوشم من الجنوب ، ويسمى (طُرَيْف الحبل) ونكون قد واكبنا منطقة الوشم – والبعض ينطقهـــا بصيغة الجمع – فيقولون الوشوم ، وقد عرفت بذلك قديماً وحديثاً ، وهي من المناطق التي احتفظت باسمها القديم دون أي تغيير أو تحريف ، أمـــا أسماء مواضعها الجزئية ، فهي أسماؤها القديمة ولا سيما البلدان ، وقد وقع في بعضها تحريف يسير في النطق ، وقد ألحق المؤرخون منطقة الحمادة بالوشم واعتبروها جزءاً منه ، قال ياقوت : (١) الوشم بالفتح ثم السكون ، ويقال الوشوم موضع في اليمامـــة وورد في أبحاث أبي علي الهجري (٢) : ثم من الوشوم الحمادة ، وهي سهب بين الوشم والعارض . وذكره الاصفهاني (٣) وعدد بعض قـُراه .

وذكره الهمداني بصيغة الجمع وحدده ، وفي موضع آخر ذكره بصيغة المفرد . (٤)

عدنا إلى سيرنا مع الطريق من محاذاة طريف الحبل ، وفيما بيننا وبين بلدة مراة تعترض أودية أولها وادي (أبا الفراوح) الذي ذكره الأستاذ باسم (أبا الفروّح) وبعده عند الكيل الا (١٥٤) من الرياض و (١٦) من مراة نجوز (وادي السّدر) ونجوز بعده أودية صغاراً تسمى ودّيات السلم ، وعند الكيل الـ (١٦١) من الرياض و (٩) من مـــراة نجوز وادي (النـُّخيـّل) وهو أكبر هذه الأودية ، وينقض من أقاصي الصّفراء ، وفي أعلاه في الصفراء آثار آبار زراعية ومساكن دراسة وبعده نمر بأودية صغار تسمى (البويطنات) وعند الكيل الـ(١٦٦) من الرياض و(٤) من مراة ينعرج الطريـــق صوب الغرب وينحدر على واحة مراة وفي منحدره نجوز وادي (الرّعن) والبعض يسمون الصّنع ، وهناك واد لم يذكره الأستاذ في بحثه ، وهو وادي (كافت) الذي يسقي نخيل مراة ويملأ الحفرة الكبيرة الواقعة في ناحية بلدة مراة الشمالية ،

---

(١) معجم البلدان ، الجزء الخامس (ص ٣٨٧) .
(٢) أبحاث الهجري (ص ٢٣٤)
(٣) بلاد العرب : (ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤) .
(٤) صفة جزيرة العرب ص ١٤٠ و ١٦٣ .

وقد أحيطت بسور لصيانة الماء الذي يدفع فيها من الوادي ، لأنّ أهل البلد يستفيدون منه في الشراب . وعندئذ نكون بجانب جبل كميت الذي يرتبط ذكره بذكر مراة وذكر مراة بذكره، قال الشيخ محمد بن بليهد ــ رحمه الله ــ مخاطباً محمد بن زيد شاعراً من أهل مراة :

إلى تعدّن بكم رِيعَ المَعَيزيْلَهْ يَبدى لكُمْ مِن وطَنْهُم نايفَ الجَالْ
وكميتْ إلى جيت تمشي في مِسايِيلَهْ ترتاحْ نفسِكْ وعنده مَشرَبٍ غالْ

المعيزيلة التي ذكرها ، قارة صغيرة ، منقطعة من الصفراء ، غرباً من بلد مراة ، وهناك معيزيلةٌ أخرى تقع غرباً عن بلدة مراة، وهي كثيبٌ منقطع من النفود .

وقال شاعر آخر :

حَلَفتِ مَا انسى عَشيري دايمٍ دُومْ يَكود إنّ كميْتْ ينزَحْ عَنْ مَراة

وسنأتي على ذكر كميتٍ آخر حينما نصل إلى بلدة القراين .

وحينما تطرّق الأستاذ لبحث (مراة) من الناحية التاريخية ، ذكر أنّ ذا الرُمةِ قد هجاها وأقذع في هجائه ، وأطنب في ذكر ذلك الهجاء وأورد منه أكثر من أنموذج من عدة قصائد ، وأرى أنه لا داعي للاطناب في مثل هذا البحث ، وإن كان قد خيب الشاعر ذا الرمة في صنيعه .

ومن حيث العموم فإن هجاء أيّ شاعر ، ولا سيّما من اتخذ من شعره وسيلة للرزق لا يصلح أن يكون أساساً أو مقياساً لحكم تاريخي على أي بلد أو قبيلة ، فهناك بلدان وقبائل نالها من الهجاء الشيء الكثير ، رغم أنها كريمة ، وبعيدة عن صفاة الذم ، وذلك أن كثيراً من الهجاء تنطلق به ألسنة الشعراء تحت تأثير ظروف أو أغراض خاصة ، والأمثلة على ذلك كثيرة غير أنه لا داعي لذكرها في هذا البحث .

وإذا عدنا إلى مجرى البحث وخرجنا من بلدة مراة عبر الطريق ونكّبنا جانب كميت الغربي عن يميننا جزنا (وادع مانح) الذي يأتي من الغرب ويمرُّ من جانب كميتٍ الشمالي ويفيض في القاع الفسيح الذي يقع شرقاً شمالياً من

مراة ، وهـــذا الوادي لم يرد له ذكر في بحث الأستاذ عبد الله . ثم يتّجه الطريق صوب الشمال الشرقي وعند الكيل ال(٨) من مراة نكون قد واكبنا بلدة ثرمداء ، وقبل أن نمرّ بها نجوز (وادي الجمل) وقد ذكر الأستاذ بأن وادي الجمل يسيل هو ووادي الرّعن من تلقاء مراة ، والواقع أن الواديين اللذين يسيلان من تلقاء مراة هما وادي (كافت) ووادي (الرّعن) وقد وصفنا كلا منهما فيما سبق .

وبعد أن يتجاوز الطريق (ثرمَداء) ينحرف يسيراً صوب الغرب الشمالي، ثم يميل إلى الشمال ، ويمر بأوديةٍ صغار تنحدر من الصفراء الغربية بين ثرمداء وأثيثية ، وعند الكيل ال (١٦) من مراة نجوز وادي أثيثية ، وقد ذكره الأستاذ باسم (المسمى) والواقع أن (المسمى) اسم للوادي الذي يلي بلدة القراين من ناحيـــة الجنوب ، وقد نبّه على هذا الخطأ الأستاذ عبد الكريم الجهيمان في الجزء الثاني من السنة الرابعة من هذه المجلة . [١]

وقبل أن نخرج من دراسة الجزء الثاني عشر، السنة الثالثة نعود إلى تحقيق المواضع التي مر بنا ذكرها في منطقة الوشم ولم يبحثها الأستاذ بحثاً تاريخياً .

القصَبُ : بلدة قديمة تقع في ناحية الحمادة الجنوبية ، وقد ورد ذكرها في المعاجم القديمة باسم (القصيبة) قال ياقوت [٢] : (القصيبة تصغير القصبة من أرض اليمامة لتَـيْم وعدي وعكل وثور بني عبد مناة. وقد ذكرها الهجري كذلك باسم (القصيبة) [٣] . وذكرها أيضاً الأصفهاني بهذا الاسم [٤] . وبالقرب منها معدن ملح مشهور ، [٥] يقع بينها وبين بلدة المشاش ، وكان قديماً يسمى رمادة .

---

(١) ص ١٩١ .

(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ٣٦٦ .

(٣) أبحاث الهجري ، ص ٢٢٤ .

(٤) بلاد العرب ، ص ٢٨٤ :

(٥) قال ياقوت في معجمه (١٦ ج ٣) رمادة أبيط سبخة بحذاء القصيبة ، بينها وبـــين الجنوب تفضي إليها أودية الرغام ، ويؤخذ منها الملح ؟ .

المُشَاشُ : قرية تقع في ناحية الحمادة الجنوبية الغربية، من منطقة الوشم، ولم يرد ذكر لهذا الاسم في المعاجم القديمة .

الحُوَيِّق : تصغير الحريق قرية تقع في ناحية الحمادة الشرقية ، قريبة من سفوح جبل طويق الغربية .

الصَّوْحُ : قرية في شمال الحمادة قريبة من سفوح جبل طويق وهي هجرة لقبيلة الغربية .

الدَّاهنةُ : هجرة (*) تقع في ناحية الحمادة الشمالية الشرقية لقبيلة ذوي ثُبَيْتٍ من الرُّوقة من عُتيبة .

الفُروثي وفُرَيشان : هجرتان متقاربتان لقبيلة من مُطير .

الجُرَيْفةُ : قرية قديمة ، تقع في ناحية الحمادة الشرقية الشمالية ، وقد ورد ذكرها في كتب المعاجم باسم (الجرفة) قال ياقوت [1] : الجرفة بالضم ثم السكون وفاء : موضع باليمامة من مياه عديّ بن عبد مناة ، وذكرها الاصفهاني بهذا الاسم (الجرفة) [2] .

الضُّبَيّة : والبعض يقولون (الضُّبيّبان) : قصور زراعية واقعـة في الحمادة شرقاً من نفود الوشم . وكذلك بالقرب منها قصور (العِيبّ) الزراعية .

العِكرْشيّة : روضة مشهورة في الحمادة فيها مياه ملحة ، وتقع في ناحيتها الشمالية ، وقد ذكرها الاصفهاني عند ذكر الجريفة باسم (العكرشة) [3] .

وذكر الأستاذ عند ذكره لنفود الغزيز ونفود قنيفذة أنه سمي بفنودقنيفذة لأنها أشهر منهل هنا ، والواقع أن لا يعرف في هذه الناحية منهل بهذا الاسم في هذا العهد ، وقد اعتمد على ما ذكره ياقوت في المعجم ، والواقع أن عبارة ياقوت لا تدل على أن القنفذة التي ذكرها [4] واقعة في هذا النفود . وعبارة

(×) الهجرة يقصد بها القرية التي استوطنها بعض اهل البادية فهجروا البادية ثم أصبح علماً على هذا الموضع ، وعلى مواضع أخرى ، تتميّز بالإضافة (العرب) .

(١) معجم البلدان ، ج ٢ ص ١٢٨

(٢) بلاد العرب ، ص ٢٦١

(٣) بلاد العرب ، ص ٢٦١

(٤) معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٨ .

ياقوت كالآتي . (القنفذة : من مياه بني نُمَيْر ، عن أبي زياد ، ولأن بلاد نُمَيْر غير محصورة في هذه الناحية ، ثم إن هناك موضع آخر في بلاد نُمير ، اسمه (قنيفذة) سنأتي على ذكره حينما يمر به طريق البحث . وقد ذكر الأستاذ حمد الجاسر في تعليقاته على كتاب « بلاد العرب »[1] أن القنفذة التي لبني نمير تقع غرب السِّرّ .

عدنا إلى موقفنا في الطريق عند وادي أثيثية ، ذكر الأستاذ أنه حينما يترك وادي أثيفية بمسافة غير بعيدة يلاقي وادياً صغيراً يُعرف بالأواعر . والواقع أن إسم الأواعر يُطلق على واديين : احدهما يسمى الأوعر ، والثاني يسمى الأُوَيْعِر ، تصغير أوعر وما بينهما من أودية صغار ، ونحن نذكر هنا كبار هذه الأودية بالتوالي حتى نمرّ على بلدة القراين . وقد جمع الشيخ محمد بن بليهد هذه الأودية في بيت شعر واحد ، ومحمد بن بليهد – رحمه الله – هو ابن هذه البلدة التي واكبناها ، فقال :

عَلّ الأوعروالأويعروالمِسْمَىوالبُوَيْطِنفيمَجَرّالرايحْ
فوقَ وادي الخِيْس عزّل وارتكم ثمّ انطلق هَمّالِه

وعند الكيل الـ (١٩) من مراة نجوز وادي الأويعر ، وهو أولها من الجنوب ، وعند الكيل الـ (٢١) من مراة نجوز وادي (الأوعر) وهو واد كبير ينعض من أقاصي الصفراء ، وعند الكيل الـ (٢٧) من مراة نجوز وادي المِسْمَى ، وبعد أن نتجاوزه ينحرف الطريق صوب الغرب الشمالي ويهبط من الصفراء على واحة القراين (غِسْلَة والوقف) قريتان متجاورتان لا يفصل بينهما إلا مجرى وادي العَنْبري وقد علل الأستاذ عبدالله تسميتها (بالقراين) بالقارتين المتجاورتين حولها وهذا التعليل نشأ حديثاً . وقد مر بذكرهما الشيخ محمد بن بليهد ، ولم يذكر هذا التعليل ، جرياً على ما كان معروفاً أن سبب تسميتها هو أن القريتين متجاورتان ، كما يقولون : حُرَيمِلا

---

(١) بلاد العرب ، ص ٢٧٢ .

والقرينة ، والبعض يقول : مَلْهَم والقرينة لتجاورهما ، وهذا هو التعليل الشائع ، ويمكن الاستدلال ببيت الشويعر حيث يقول :

« الدّيرتينَ اللي تراني تركتها   فيهن رجال . . . . »

غِسْلَة : هي القرية الجنوبية من القراين ، وقد ذكرت في المعاجم القديمة باسم (ذات غسل) [١] .

أما غسل بكسر أوله وسكون ثانيه ، فموضع آخر نأتي على بحثه حين نمر به عبر طريق البحث .

أما الوقف : وهي القرية الشمالية من القراين فقد نشأت في زمن متأخر عن ذات غسل ، وأول من أسسها قبيلة من الدواسر ، ولهذا نجد أن أكثر الأوقاف القديمة فيها لهم ، وما زال يسكنها أسَر من سلالاتهم ، وهي في تسويرها وتماسكها حول بعضها أشبه بالحصن ، ويلتف حولها سور قديم ما زال باقياً ، وقد تأسست على بئرين زراعيتين قديمتين ، إحداهما تقع في نهاية السوق الشمالي وتسمى (الوقف) وباسمها سميت القرية ، والثانية تقع في نهاية السوق الغربي ، وتسمى (البِهَيْمي) وهاتان البئران عامرتان ، وعليها مضخّات زراعية ، وسور القرية ما زال محتفظاً بمناعته ، فهو لا يسمح بالدخول إلى القرية إلا من الباب القديم ، وهناك أساطير يحفظها سكان هذه البلدة ، عن تسمية بئر الوقف وبئر البهيمي، وتأسيس القرية، قد يكون فيها شيء من الصحة ، لا يتسع هذا البحث لذكرها.وقد ذكر الأستاذ عبدالله أنه يلتقي في قرية غسلة واديان، هما وادي العَنبري ووادي النُّميري. والواقع أن وادي النميري ما هو إلا أحد الروافد الرئيسية لوادي العنبري ، فوادي العنبري يتكوّن من روافد ثلاثة رئيسية تنعض من أقاصي الصفراء غرباً من القرائن وتلتقي ببعضها وتتحد مكونةوادي العنبري قبل أن تصل الىالبلدتين أحدها وادي الحِسْيان ويأتي من الناحية الغربية الجنوبية ، والثاني وادي

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١٤٠ : ١٦٣ ، وبلاد العرب للحسن الأصفهاني ص ٢٧٤ .

النميري ويسميه بعضهم وادي الخِيْس ، لأن في أعاليه نخيلات صغار – وبعض أهل نجد يسميها خيساً – وهو الذي ذكره الشيخ محمد بن بليهد في بيته الآنف الذكر باسم وادي الخيس ، وهو أوسط الروافد الثلاثة ويـــأتي من من ناحيه الغرب للبلدتين ، ويلتقي بوادي الحسيان قبـــل أن يلتقي بالفرع الثالث ، وفي أعلاه يقع ماء النميري ، والثالث وادي ـَكرْدَة ، ويـأتي من الناحية الغربية الشمالية ، أما البُوَيطن الذي ورد ذكره في بيت الشعر الآنف الذكر ، فهو صِنْع[1] ينشعب من أيمن وادي العنبري في أعلا غِسْلة ويسقي نخيل غسلة ومزارعها ، وبعد أن يتحد وادي العنـــبري في مجراه ينفذ بين القريتين صوب الشرق ويعارضه ما زاد من سيل البويطن بعد أن يخرج من البلدة .

وإذا عدنا الى الطريق وخرجنا من القراين، والتفتنا يميناً رأينا على منكبنا الأيمن قارة حمراء مرتفعة تطل على القراين من الشرق تسمى (ُكمَيْت) ويمر الطريق من جانبها وهي التي عناها الشيخ محمد بن بليهد بقوله :

عَيّوا هَلَ الصّاحبْ الغالي يبيعونه   يَبون لخلخَلَ الساقَين ِ شَقراويْ
قِدْ حالَت ِ المَنْصِفهْ وكمَيْت مندونه   َخذَوْه َغصْب ِ َعلينا راح َعفتاويْ

ويعني بالمنصفة منتصف الطريق بين القراين وشقراء ، غير ان كميت مراة أكثر شهرة ، وبعد أن نتجاوزه نمر بخشم قارة بعده يسمى (خشم الكربة) وبعده نمر (بخشم المنصفة) وهما على الجانب الأيمن ، أما الجـــانب الأيسر فنرى فيه قارة كبيرة مقابلة لخشم المنصفة ، وفي طرفها من ناحية الشرق قارة منقطعة منها ، ويسميها البعض (القراين) وبعد أن ندفع قليلاً صوب الشمال تبدو لنا معالم شقراء ، وفي الكيل الـ (٣٧) من مراة نصـــل الى شقراء ، ومن جنوب شقراء ، من الطريق المعبّد يتفرع الطريق المعبّد الذي يقطـــع

---

(١) الصنع عند بعض أهل نجد هو مجرى السيل الذي يصـــنع ليسقي أرضاً وليس مجرى طبيعياً . (العرب)

عُرَيق الوشم صوب الحمادة ، وبعد أن يتجاوز شقراء شرقاً يتفرع منه طريق أُشَيقِر المعبّد ، ولم يذكر الاستاذ عبد الله هذا الطريق ، كعادته في عدم العناية بالطرق .

وبعد أن نتجاوز معالم شقراء وقد انعرج بنا الطريق نحو الغرب وأخذ يصعد في ظهر الصفراء ، فعن يميننا وفي مهبط من الأرض تقع طرق القوافل القديمة ، وتخرج على بلد شقراء من الغرب وتسمى (الفروغ) جمع َفرْغ وهي عبارة عن مسالك سهلة تفري عرض الصفراء ، وهي الطرق التي تعبر منها القوافل الوافدة للوشم ولبلاد ُسدير من أواسط نجد ، وأشهرها فرغ(أشيقر) وفرغ (شقراء) وهو الذي عناه شاعر كان مقيما في بلد الشعراء بقوله :

أنا نهار السّبتْ َنوّختْ فاطريْ   أسْبقْ مْن ِامّ البَيضْ للعِشْ رايدْ
َعرّض على قصر العويصي مَع ّالضحى   أهَلْ مرحبا للضيف والسّعرْ كايد

الى أن قال :

وَنحرّْها الفَرْغ الجنوبي َعنَ الحفا   والمَصْر عن جدران شقرا تحايدْ
َسلّمْ عليهُمْ قبلْ تثني عظامْها   وقلْ لهم : ترى الدّيْن خيار الفرايد

ومن ظهر صفراء شقراء وقبل أن نهبط على أرض المَرْوت نودّع جبل طويق وأنوفه المشمخرّة التي أوحت الى الشاعر عمرو بن كلثوم بروعتها ومقاومتها لعوادي الزمن :

فأعرضَتِ اليمامةُ واشمخرّتْ   كأسيافٍ بأيدي مُصْلِتينا

فوصفها بأقوى ما يملك وهو السيوف المسلولة ، وسنتحدث عن هذه الانوف المشمخرّة والمنظر الطبيعي الرائع على حد رأي العلم الحديث ، حينما نصل الى نقطة التقاء المنطقة الرسوبية بمنطقة الصخور النارية عند حافة صخرة الدرع الغربي ، بعبارة وجيزة إمتاعاً للقراء وإتماماً للفائدة .

(للبحث صلة) الدوادمي : سَعد بن عَبد الله بن جُنَيدِل

- ١٦ -

٢٣٦ – : لَحَمٍ على وُضَمْ .

الوضم : هو الحصير ، أو نحوه مما يوضع عليه اللحم ليقيه الأرض ، فصيحة . يضرب لمن لا حراك به ، أو لا نفع منه .

وقد سمعت مراراً بعض الحضريين ، وهم يحاولون شراء البعير من البدوي يقولون : نشتريه منك على أنه لحم على وضم ، أي لا نرجع إليك بأي عيب قد يتبين فيه .

أصله أثر ، ولفظه: النساء لحم على وضم[1] وعدّه بعضهم من الأحاديث التي ذهبت مذهب الامثال [2]

روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : « ما بال أحدكم ثاني وساده عند امرأة مُغْزِية مُغيبة [3] إن المرأة لحم على وضم ، إلا ما ذُبَّ عنه [4] .

ومن امثال العرب القديمة: « أضْيَعُ من لحم على وضم » [5] قال الأزهري الوضم : نَضَدٌ من شجر يوضع عليه لحم الجزور لئلا يصيبه التراب ، [6] وعادتهم انه ما دام على الوضم ، فانه لا يمنع أحد من تناوله ، حتى اذا وقع في المقاسم كفوا عنه [7] .

---

(١) جمهرة الامثال ص ١٩٦

(٢) فرائد الخرائد ق ٤/١ وزهر الاكم ق ١٠٣ – ب

(٣) المغزية التي خرج زوجها في الغزو ، والمغيبة التي غاب عنها زوجها .

(٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٩١ والنهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٢٣١ واللسان : مادة (وضم) . وهو في شرح الحماسة للمرزوقي ص ٢٠٧ غير معزو .

(٥) مجمع الامثال ج١، ص ٤٤١ والمستقصى ج١ ص ٢١٩ وفرائد الخرائد ق ٥٨ – ب.

(٦) ولا تزال الكلمة مستعملة في نجد بهذا المعنى .

(٧) نقله عنه ابن الأثير في النهاية واللسان : (وضم) .

وقد ورد المثل في أشعار القدماء والمحدثين ، فمن ذلك قول ابن الخياط الصقلي [١] .

لِيُسْلِكُمُ أنّ الجَزيرة بعدكم كما قيل في الأمثال : لحم على وضم

وقال الحارث بن وَعْلة الذهلي من شعراء الحماسة : [٢] .

وتركتنا لحماً على وضم لو كنت تستبقي من اللحم

وقال شاعر آخر من شعراء الحماسة [٣] .

أحاذر الفقر يوماً أن يلم بنا فيهتِك السترَ عن لحم على وضم

ولابن الحجاج [٤] :

يا راعي السّرب يَحميه ويحرسهُ إنّ الذئاب قد استولت على الغنم

تعافني بتلاقي العين من سقم لم يبق مني سوى لحمٍ على وضم

ومن شعر أبي محمد السّراج [٥] :

الله يا سلّام [٦] في رجُلٍ أبقيتهِ لحما على وضم

وقال الفضاض الأصفهاني في مدح نظام الملك [٧] .

تنام في عدله للخلق ، أعينُهُم وعينه في حفاظ الخلق لم تنم

لولا إفاضته في الناس رأفته أضحى جميعهُمُ لحما على وضم

وقال شاعر [٨] :

وفتيان صدقٍ حسان الوجوه لا يجدون لشيء ألمْ

مِنَ آل المغيرة لا يشهدون عند المجازر لحم الوضم

---

(١) العرب في صقلية ص ٣٠٢ .

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي ص ٢٠٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٨٣ وراجع عيون الأخبار ج ٣ ص ٩٤ وبهجة المجالس ج ١ ص ٧٦٣ .

(٤) محاضرات الراغب ج ١ ص ١٣٠ ،

(٥) مصارع العشاق ج ٢ ص ٥٣ .

(٦) سلاّم : ترخيم سلاّمة .

(٧) دمية القصر ، ج١ ص ٣٤٥ .

(٧) اللسان ج ١٢ ص ٦٤٠ مادة : و ، ض ، م .

ومن شعر الحريري في « المقامات [1] » :

وانا الحـــوّل الذي أحتال في العرب والعَجَمْ
غير أني آبن حاجةٍ هاضه الدهر فاهتضم
وأبو صبيةٍ بدَوا مثل لحم على وضم

٢٣٧ – عَلَى عَيْنِكْ يا بُو تَاجِـرْ ..

يضرب للمجاهرة بالأمر .

وهو مثل قديم لفظه « على عينك يا تاجر » .. ولم أجد من ذكر أصله ، أو فسره منالقدماء .

والظاهر أن أصله في السرقة من التاجر انتهابا ، وهو يرى اللص بعينه ، أي بدون أن يستخفي اللص بذلك . قال ابن نباتة [2] :

وتاجرٍ قلتُ له إذا رَنا : رِفقاً بقلبٍ صبرُهُ خـــامرُ
ومقلة يُنهبُ طيب الكرى منها على عَيْنِك يا تاجر

كما ذكره عدد من الشعراء ، وضمنـوه أشعارهم الغزلية . قـــال ابن الوردي [3] :

وتاجرٍ شاهدت عشّاقه والحرب فيما بينهم ثائرُ
قال : على ما اقتتلوا هكذا ؟ قلت : على عينِك يا تاجر

وقال شمس الدين ابن المزيّن [4] :

وتاجرٍ أسكرني طرفه والكأس فيما بيننا دائرُ
وقال لي : سرّك ، قلتاسقني جهراً ، على عينك يا تاجر

---

(١) شرح الشريشي ج ٢ ص ٣٣ .
(٢) مراتع الألباب، في مرابع الاداب ق ١٧٨ / ١ ومراتع الغزلان للنواجي ق ٤٩ / ١ .
(٣) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٤٧ ومراتع الألباب ق ١٦٧ / ب وتاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ١٨٤ ومراتع الغزلان ق ٤٩ / ١ والكشكول ص ١٨٤ .
(٤) كشف اللثام لابن حجة ص ١٢٢ ومراتع الألباب ق ١٧٨ - ١ ومراتع الغزلان ق ٤٩ - ١

ولابن لُبَيْكِم [1] :

وتاجرٍ ناديته إذ سبا حشاشتي بالخدّ والناظرْ :
تسلبُ يا بدر الدُّجى مهجتي كذا على عينك يا تاجرْ !!

٢٣٨ – : ذِئَابٍ ، عَلَيْهَا ثِيَابْ .

أصله قديم ورد بلفظه في « حكاية ابي القاسم البغدادي » [2] وروى عن علي رضى الله عنه قوله : « طيّ ذئاب ، عليهم ثياب » [3] وينسب الى الحسين قوله : أهل السوق ذئاب ، تحت ثياب .[4]

ومن كلام الصاحب بن عبّاد : « ذئاب ُطلْس في ثيابٍ مُلْس [5] » .

بل ورد في بعض الآثار الغريبة في وصف عبد الله بن الزبير : كبش بين ذئاب ، عليها ثياب ، ليَمنعن البيت ، او يَقتلنّ دونه [6] .

ومن الشعر قول سهيل الوّراق [7] :

ألا مالذا الناس قد بُدّلوا فهم كذئاب عليها ثياب
وخانوا الأمانة ما بينهم وهل بالامانة توفي الذّئاب؟

وقال ابن لنكك [8] .

نعيب زماننا ، والعيب فينا ولو نطق الزمان ، إذاً هجانا
ذئاب كلنا في زيّ ناسٍ فسبحان الذي فيه برانا !

---

(١) مراتع الغزلان للنواجي ق ٤٨ – ب .
(٢) حكاية ابي القاسم البغدادي ص ٢٢ وريحانة الالباء ج ٢ ص ٢٧٨ .
(٣) كتاب المناسك لابي اسحق الحربي ، تحقيق الأستاذ حمد الجاسر ص ٣٠٦ .
(٤) محاضرات الراغب ، ج ١ ص ٢٢٢ .
(٥) منتخبات التمثيل والمحاضرة ص ٢٣ .
(٦) حياة الحيوان ج ١ ص ٣٦١ .
(٧) بهجة المجالس ج ١ ص ٦٧٢ .
(٨) معجم الأدباء ج ١٩ ص ٨ .

ومن شعر ابي فراس الحمداني [١] .

وقد صارهذا الناس إلا أقلـّهم ذئاباً على اجسادهنّ ثيابُ

وقال غيره [٢] :

ما الناس إلا ذئاب تستّروُا بالثيابِ
فَـخَـلـّهـم وتخلّ للعـلم والآداب

ولابن حماد [٣] :

لا اشتكي زمني هذا فأظلمهُ وإنما اشتكي من أهل ذا الزمن
هُمُ الذئاب التي تحت الثياب فلا تكن إلى أحدٍ منهم بمؤتمنِ

٢٣٩ — كلّ شاةٍ مُعَلـَّقـَةٍ بعُصْقُولـِهَا .

العصقول : الساق . وهو في الفصحى خاص بساق الجرادة ، ثم نقلتـه العامة وصفاً للساق الدقيق من الحيوان والإنسان .

وهذا هو المثل العربي القديم : « كل شاة معلقة برجلها [٤] » ويروى : بعرقوبها [٥] . ويروى بلفظ : كل شاة برجلهـا تُنَاط [٦] . والنـّوط : التعليق . قال أبو عبيد : انه مثل سائر في الناس [٧] . وقد ذكروا انـه جاهلي قديم .

ومعنى المثل : ان كل واحد يؤخذ بذنبـه لا بجريرة غيره ، كما أن الشاة إذا ذبحت لا تعلق برجل شاة أخرى .

---

(١) ديوانه وشرح المضنون به ص ٤٢٤ ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١٤٠ .
(٢) نفحة اليمن ص ٢٠١ من أبيات نسبها إلى الأديب محمد بن أمين الزللي المدني .
(٣) الأدب لابن شمس الخلافة ص ١٠٣ .
(٤) المحبر ص ١٣٦ والفاخر ص ٢٣٥ والبيان والتبيين ج ٢ ص ١٠٠ ومجمع الأمثال ج٢ ص ٨٨ .
(٥) كشف الخفاء ج ٢ ص ١٢٤ .
(٦) العقد الفريد ج ٣ ص ١٣١ وخـاص الخاص ص ٢٠ وفرائد الخرائد ص ٧٥ / ١ والمستقصى ج ٢ ص ٢٢٦ والتمثيل والمحاضرة ص ٣٤٦ .
(٧) مجمع الأمثال ج ٢ ص ٧٩ .

«مَن اسمه عمرو من الشعراء»

- ٥ -

٤٣ – عمرو بن الحارث بن همام (١) ، يلقب ابن زَبَّانة ، وهو من بني تيم الله بن ثعلبة . والزبانة فأرة من فأر الحرة . ومن قوله أنشدنيه ثعلب احمد ابن يحيى عن ابن الأعرابي :

ما لِدَدٍ ما لِدَدٍ ما له ... يبكي وقد نعّمت، ما بالُه؟
نُبّئتُ لأياً عارضاً رمحه ... في سَنَةٍ يوعد أخواله
وتلك منه غير مأمونةٍ ... أن يفعل الشيء الذي قاله
إني وأخوالي بني عائشٍ ... كالليث إذ يمنع أشباله
إنك يا عمرو وترك الندى ... كالعبد إذ قيد أجماله

* * *

يضرب في القديم والحديث لأخذ الرجل بذنب نفسه ، دون ذنب غيره.

قال الأبيوَرْدي (٢) :

ألا لا تناطُ الشاةُ إلا برجْلها ... فما بالُ قوم لا أحمّلهم ثقْلي؟!

ولكن روى ابن ابي الدنيا عن أبي هريرة – رضي الله عنه – انه سمع رجلا يقول : كل شاة معلقة برجلها ، فقال : لا والله ، إن الطير لتهلك هزْلاً ، في جو السماء ، بظلم ابن آدم نفسه (٣) .

(للبحث صلة)   المدينة المنورة   **محمد العبودي**

---

(١) « معجم الشعراء » : ٢٠٨ : أنظر قتلة زهير بن جناب: « الشعر والشعراء » : ٣٣٩.
(٢) نثر النظم للثعالبي ص ١٣٣ .
(٣) كشف الخفاء ج ٢ ص ١٢٤ .

٤٤ – عمرو بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكَابة يقول :

وهل خُبِّرْتَ قبلك يَشْكُرِيّاً تَسُدُّ عليَّ عِزَّتُه الطريقا

* * *

٤٥ – عمرو بن لأي بن مَوْألة (١) بن عايذ بن ثعلبة ، من بني تيم الله ابن ثعلبة الذي يقول :

عمرو بن هند إنّ مهلكه قول السَّفاهِ وشِدَّةُ الغَشْمِ

* * *

٤٦ – عمرو بن قيس بن شُراحيل بن مُرّة . هو الذي يجيب ذريح ابن جَزْء فيقول له :

بنو الحِصْنِ أصحاب الثنيّة والألى غداة قِضاتِ حلّقوا منهم اللَّمَمْ

يريد يوم التحالق ، يوم الحارث بن عُباد على تغلب .

* * *

٤٧ – عمرو بن مرة الشيباني وهو الذي يقول في بني تميم :

[٢٠] أصبنا عبد شمس يوم قوّ ولم تنفع غداة إذٍ مُناها

* * *

٤٨ – عمرو بن ثعلبة (٢) بن أسعد بن همام بن مرة الشيباني . هو الذي يقول أنشدنيها ثعلب وغيره :

تجانف رضوان عن ضيفه ألم تأت رضوان عني النذُرْ

وحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنيٌّ مُضِرْ

فأنت محلك دون العرا ق تباعد رفدك من أن تَصُرْ

وأنت مَسيخ كلحم الحُوا ر فلا أنت حلوٌ ولا أنت مر

فأيّهْ بوَطْبَيْك تحت الروا ق واسْعَ رويداً ولا تنبهر

* * *

(١) : « معجم الشعراء » : ٢١٤ .

(٢) « معجم الشعراء » : ٢٢١ .

٤٩ – عمرو الأصم أبو[١] مفروق الشيباني ، وهو عمرو بن قيس بن مسعود ابن عامر ابن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان . هو الذي يقول في يوم المَقَاد ، وكان على بني تغلب :

إن المقادَ بهِ قتلى مصرّعة   أودت بها منكم ذهلُ بن شيبان

* * *

٥٠ – عمرو بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد الضبعي . يقول :

إن الفوارس يوم ناعجة النقا   نعم الفوارس من بني سيّارِ
لحقوا على حُنق الأياطل كالقنا   قودٍ تُعَدّ لكل يوم غِوار

* * *

٥١ – عمرو بن مالك بن زيد [٢] بن عايش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ابن عكابة يقول :

بِمُواضة الذّفرى مُكايِلةٍ كَوْماءَ موقع رحلها جَسْرُ

[٢١] ٥٢ – عمرو بن كلثوم بن مالك [٣] بن عتّاب بن زهير بن جشم التغلبي ، ويكنى أبا الأسود، شاعر فارس مقدّم، سيّدٌ فاتك ، ولابنه الأسود شِعْر، وهو بيت تغلب ، أخبرني أبو بكر أحمد ابن أبي خيثمة قال : حدثنا علي بن المغيرة الأثرم ، عن أبي عبيدة قال : عمرو بن كلثوم صاحب قصيدة واحدة جيدة ليست له ثانية مثلها ، وهي قوله :

ألا هُبّي بِصَحْنِكِ فاصبحينا   ولا تبقي خمور الأندرينا [٣]
مشعشعة كأنّ الحُصّ فيها   إذا ما الماء خالطها سَخِينا

حدثني أبو العباس ثعلب قال : يريد فَعِلنا من السخاء وليس يريد سخونة الماء . وفيها يقول :

صددتِ الكأس عنا أم عمرو   وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذي لا تصبحينا

---

(١) : « المؤتلف » : ٤٢ ، « معجم الشعراء » : ٢٢٣ .
(٢) : « معجم الشعراء » : ٢٢٣ .
(٣) : « المؤتلف » : ١٥٥ ، « معجم الشعراء » : ٢٠٢ . «الشعر والشعراء» : ١٨٥/ ١٨٨ .

الرواة جميعاً يروونها له ، والمفضل يذكر أنها لعمرو بن عدي بن أخت جذيمة الوضاح وأن الجن كانت استهوته ثم أفلت منها ووقع إلى مالك وعقيل نديمي جذيمة فأطعماه ثم شربا فلم يسقياه فقال البيتين فنسباه ، فلما انتسب ألبساه حلة كريمة ، وقلما أظفاره ، وأخذا شعره وحملاه إلى خاله فلما رآه حكّمهما (فاحتكما) منادمته فضربت بهما وبه العرب المثل ، وفيها وعيد من عمرو بن كلثوم لعمرو بن هند منه قوله :

تَهَدَّدْنَا وأوْعِدْنَا رُوَيْدا ... متى كنا لأمك مقتوينا ؟

قلت للدينوري : ما واحِدُه ؟ قال (مقتا) ، مثل مغزى وجمعه : [٢٢]مقتوين . حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة عن الأثرم عن أبي عبيدة بخبر مقتل عمرو بن هند، وكان يسمى مضرط الحجارة لشدة عقوبته ، وليس هذا الكتاب موضع ذكره . وجملته أنه سيد العرب ، وأمه سيدة نسائها وأنه لا هضيمة على عربي في أن تخدم أمُّه أمَّه . فقيل له : إن عمرو بن كلثوم لا يقر بذلك . فأمر بإحضاره وإحضار أمه وهي ليلى بنت كليب وائل . وخرج متبدياً ، وجعل أم عمرو مع أمه ، وأقعد عمراً معه وأمر أمه باستخدامها . فقالت لها : يا هند[١] ناوليني كذا . فقالت : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها !. فأعادت فأعادت الجواب فقالت : لتفعلن ما أمرتك به! فقالت : واذلاه يا لتغلب ! قال : فسمع عمرو بن كلثوم الكلام وسيف الملك معلق على قائمة الفسطاط فوثب فاستلّه ثم ضرب به عنق عمرو بن هند وخرج إلى باب الفسطاط فنادى في تغلب فنهبوا العسكر وتخلص أمه وقومه ، ورحل بهم. فما زال عزيزاً منيعاً بعد لا يطمع فيه إلى أن قتل نفسه بشرب الخمر صرفاً لما أسن وتَضعّفه بنوه وبنو أخيه وفي ذلك يقول جابر بن حنيّ التغلبي :

لعمرك ما عمر بن هند وقد دعا ... لتخدم ليلى أمه بموفّق[٢]
فقام ابن كلثوم إلى السيف مغضباً ... فأمسك من ندمانه بالمخنّق

* * *

٥٣ — عمرو بن ناشرة بن المستمر بن ماوية بن[٢٣]عمرو بن شيبان بن ذهل

(١) الصواب : (يا لَيْلَى) .
(٢) « الأغاني » ١١ / ٥٥ .

ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل شاعر قديم هو الذي أزال رئاسة يشكر بن بكر عن ربيعة ، وقتل فرخ النسر الذي كان ليَشكر للحمى . فانتقلت الرئاسة الى ولد ثعلبة بن عكابة وهو الحِصْن ، وقال في ذلك :

نحن هدمنا عزّ يشكر بعدما ... مضت حقبة تحمي الرياض وتغشمُ
ونحن وطئنا هامة الفرخ إذ عَسى ... على حين لا يُغشي ولا يتظلم
ونحن سلبنا البكر جمعاً مكدّساً ... فأصبح فينا لحمه يتقسّم

* * *

٥٤ – عمرو بن حُنَيّ التغلبي [١] فارس مذكور . أنشدني أبو بكر ابن أبي خيثمة قال : أنشدنا علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة :

وكنا إذا الجبّارُ صعّر خده ... أقمنا له من ميله فتقوّما

قال : يريد فتقوم أنت. وهذا البيت يروى في قصيدة المتلمس التي أولها :

تُعيّرني أمي رجالٌ ولن ترى ... أخا كرم إلا بأن يتكرما

ويقول فيها :

وكنا إذا الجبّارُ صَعّر خدّه ... أقمنا له من ميله فتقوما

ومن قصيدة عمرو بن حُنيّ :

أنفت لهم من عقل عمر بن مرثد ... إذا وردوا ماءً ورُمح ابن هرثم

* * *

٥٥ – عمرو بن عِكَبّ العجلي [٢] يقول:

هل بالديار أبا الهِلوات من صَمَمِ ؟ ... أم هل عليك بأتّيِ الدار من لمَم ؟

* * *

٥٦ – ١٧٠ – عمرو بن عبدالله بن[٣] معاوية بن عبد بن سعد بن جُشم العجلي القائل :

---

(١) : « معجم الشعراء » : ٢٠٦ .
(٢) « معجم الشعراء » : ٢٢٣ .
(٣) سيأتي مكرراً برقم (١٧٠) وانظر « معجم الشعراء » : ٢٢٣ .

[٢٤] إذا أُخمِدَ النيرانُ من حذر القرى رأيت سَنا ناري يُشَبُّ اضطرامُها

* * *

٥٧ – عمرو بن الحارث بن عبدالله بن[1] قيس بن حارثة العجلي أبو هَوْبر وهو أبو هانيء ؛ من قوله :

وأبدلته من العجيبة إذ شتا رغائب هَزْلى ما ينام جَزُوعُها

* * *

٥٨ – عمرو بن قيس كبِـد[2] الحَصاة ، من ضُبيعة بن عجل بن لجيم ، وهو الذي يقول :

صبوتَ ،وبعض الجهل ما يُتذكَّرُ وصبرك عن ليلى أعفُّ وأسترُ
ونبئْتَ أن الحي كلباً وطيئاً وغسان أنصار عليها السنوَّر
ونحن أناس ليس فينا حليفة من الناس إلا أنت تعطي وتغفِر

* * *

٥٩ – عمرو بن شُجيرة[3] العجلي ، وشجيرة أمه ، وكانت سبية ، وهو الذي يقول :

ألا هل أتى هنداً على نأي دارها وغربتها أني ثأرت المكفّفا

* * *

٦٠ – عمرو بن الوازع الحنفي صاحب يوم النّشّاش على بني تميم . هو الذي يقول :

أجِدّا بسعدى السير إذ بنتُما بها وقولا لسعدى لا نُميرَ بن عامر
فقد بدلت ركباً حثاثاً بأهلها ومن كِنتّها في الستر سير الهواجر
إذا نحن شئنا زوّجتنا رماحنا كما زوّجتنا من بَنات المهاجر

* * *

(١) : « معجم الشعراء » : ٢٢٥ .
(٢) : « معجم الشعراء » : ٢٢٤ ، « النقائض » : ٣٠٧ .
(٣) : « معجم الشعراء » : ٢٢٤ .

٦١ – عمرو بن عبد العُزّى [١] بن سُحَيم بن مُرّ بن الدّول الحنفي ، وهو الذي يقول :

[٢٥] يميناً لا يزال بذات كهفٍ   وبين المِسْحَلين صدىً يُنادي

* * *

٦٢ – عمرو بن شِمْر بن عمرو [٢] بن عبدالله الحنفي وهو الذي يقول :

ويوم حُقَيقٍ قد عدوت بفتية   كمثل الأسود ، حارداً بسنايِنَيْه

* * *

٦٣ – عمرو بن عُصم الضُّبيعي [٣] من قوله :

لينهك أن أضحت ركابك بُدناً   وأضحت ركابي كالحنيّ المُخيّم
عوامل فيها يكرم المرء نَفسَه   رجاء ثواب ، لست فيها بمجرم

* * *

٦٤ – عمرو بن أسْوى بن عِسَاس بن لَيْث بن حُداد بن ظالم العبدي من بني وديعة بن لكيز . هو الذي يقول :

أحفتّ بريمان لتندى عريته   تنواعِس بعد الضّرع قَضاً وأثلبا
فبات بذات القَصر يفري صِلالَه   سحايق لم تترك لعينين مسبا [٤] ؟

ومن قوله :

ألا أبلغا عمرو بن قيس رسالة   فلا تجزعن من ثائِب الحرب واصبر

* * *

٦٥ – عمرو بن جُبَير بن سَليمة [٥] العَبْدي البكري . هو الذي يقول :

لعمرك لو لاقيت عمرو بن فرتنا   لآب به من شاهد السيف عاذر

* * *

---

(١) : « معجم الشعراء : ٢٢٤ .
(٢) « معجم الشعراء » ٢٢٤ .
(٣) « معجم الشعراء » ٢٢٤ .
(٤) مهملة من الاعجام .
(٥) « معجم الشعراء » ٢٢٤ .

٦٦ – عمرو بن حنثر [١] العَبْدي – وقالوا بالخاء – أنشد له مؤرّج :

سائل َقميَّةَ هل أغشيته فرسي أم هل كررت عليه ثم ثنّيتُ ؟

* * *

٦٧ – عمرو بن قُرصَة[٢] بن عاذب بن صُلَيم بن قيس بن ذُهْل بن عامر بن كنانة بن يشكر . هو الذي يقول :

[٢٦]نحن جلبنا الخيل من كل شازبٍ وشازبة تعطي قليلاً مؤيّدا
ينبّهن أسراب القطا من مبيته إذا ما القطا من آخر الليل هجّدا

* * *

٦٨ – عمرو بن ثمامة بن البارِ [٣] ، وهو المعروف بالقمقاع اليشكري ، من قوله :

ألا أيها القلب الكئيب المفجّع تحمّل بصبر آل مَيّة ودّعوا
فلا تهلكن إن فارقوك فإنني بذي المرفق الزاكي عليّ مفجع

* * *

٦٩ – عمرو بن َجبلة بن باعث بن ُصرَيم الغبري اليشكري ، من قوله :

فأبلغ بني ماوِيّة الصيد َبيْهَسا وقَيْساً،ولا تترك ُشرَيحاً ولا عمرا

* * *

٧٠ – عمرو بن الأحرّ بن [٤] الأخْضَرِ بن هلال بن ربيعة بن خطمة بن الحارث بن جِلاّن من عَنَزَة ، يقول :

أبلغ بني عوف ، وأبلغ محارباً وأبلغ بني جلان ما الحق نسأل
وهزّان بلغْ حيث حلتْ ديارها فما من أخ إلا عليه مُعَوّل

* * *

(١) « معجم الشعراء » ٢٢٤ .
(٢) « معجم الشعراء » ٢٢٥ .
(٣) : « معجم الشعراء : ٢٢٥ .
(٤) : « معجم الشعراء » : ٢٢٥ .

٧١ – عمرو بن مالك بن القُدار العَنَزي [٣] . يقول لحاتم الطائي ،وكان أسيراً فيهم :

أحاتمُ إنا لا نجيع أسيرنا   وانت طليق الجوع إن كان نالكا
أحاتم قد جرّبْتنا فوجدتنا   ليوثاً لدى الهيجاء إنا كذالكا

* * *

٧٢ – عمرو اسمُ زوْرَهُ أعرابي من بني ذهل فصار مما تميّز به ذهل .

حدثني أحمد بن محمد بن راشد قال : حدثني محمد بن ابراهيم الحنائي بمصرقال :حدثنا أحمد بنالمقدام[٢٧]في إسناد ذكره قال : توفيرجل من بني عجل ، فبُنِيَ على قبره بناء ، وكان يضاف عند قبره الأضياف ، فإذا كان الليل ، جاء رجل من أهل العجلي فنظركم ثمّ من ضيف ، فجاءهم من النزل على قدر ذلك، فمرّ فجاء رجل من بني ذُهل ، فجاء الرجل الموكل بالأضياف وقد جاء الليل ، فلما رآه الذهلي ، نزع قلنسوته فوضعها على ركبته وقال : قم يا عمرو ، فذهب الرجل فجاءه بنُزُل رجلين فقال فيهم الشاعر يهجوهمبذلك:

إذا أنفد الذهلي ما في جرابه   تلفت هل يلقي برابية قبرا
فإن قيل : قبر من لجيم ببلدة   أناخ وسَمَّى رأس ركبته عمرا

* * *

اليمن

٧٣ – عمرو بن المنذر الملك [١] بن امريء القيس اللخمي . وأمه أمامة ابنة عمرو بن الحارث الكندي ، وبها يعرف ، وهو أصغر ولد المنذر ، وكان ولد المنذر الملوك الأكابر ، وهم عمرو الاكبر ، والمنذر ، وقابوس ، لعمتها

---

(١) : « معجم الشعراء » : ٢٢٥ .
(٢) : « معجم الشعراء » : ٢٠٦ « النقائض » : ٢٠٠ .

هند ابنة الحارث الكندي ، فطلقها المنذر بن امريء القيس وتزوج ابنة أخيها وقال :

كَبِرتْ وأدركها بناتُ أخ لها فأزلن إمَّتَها بركْض مُعْجِلِ

الإمة : النعمة . فلما مات المنذر وملك ابنه الأكبر عمرو بن هند ، رَدَّ إلى أخيه قابوس أمر البادية ولم يَرُدّ إلى عمرو بن أمامة شيئاً فقال :

[٢٨] ألا ابنِ أُمَكَ مَا بَدا ولكِ الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ ؟
فلأمنعنّ منابتَ الضمْران إذ مُنِعَ القُصُورُ
بكتائِب تردي كما تردى إلى الجِيفِ النسُورُ
إنا بني العَلاّتِ تُقْضى دُونَ شاهدنا الأمُورُ

ثم خرج مُغَاضباً لأخيه وقصد اليمن ، فأطاعته مراد ، فأقبل بها يقودها نحو العراق حتى إذا سار بها ليالي تلاوَمَتْ مرادُ بينها ، وكرهت المسير معه ثار به المكشوح هبيرة بن عبد يغوث وقتله ، ولما أحيط به ضَارَبَهُمْ بسيفه حتى قتل وقال :

لقد عرفت الموت قبل ذوقه إن الجبان حَتْفه من فَوْقه
كل امريءٍ مقاتلٌ عن طوقه كالثّوْر يحمي جلده بَروْقِهِ

بهذا تمثل عامر بن فهيرة الشهيد رحمه الله يوم بئر معونة ، حين هاجروا إلى المدينة فاجتووها . حدثني بذلك أحمد ابن أبي خيثمة عن أحمد بن أيوب عن ابراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق .

* * *

٧٤ — عمرو [ ] [١] بن الحارث بن عمرو [٢] أبو شرحبيل الكندي. هو الذي يقول :يرثي أخاه شراحيل المقتول بالكُلاب وقتلته تغلب : [٣]

(١) هنا بياض في الأصل بمقدار كلمة .
(٢) : « معجم الشعراء » : ٢٠٦ .
(٣) : معجم الشعراء ، ص ٣٠٦ ، أورد منها البيت الأول وقال بعده : « وهي أبيات تروي لأخيه معدى كرب بن الحارث وهو الصحيح » .

إن جنبي عن الفراش لناب   كتجافي الأسرّ فوق الظِّرّاب [1]
من حديث نما إلي فما أط   عم يوماً ولا أسيغ شرابي
مرة كالذُعاف،يكتمها النا   سُ على حرّ مَلّةٍ كالشهاب
يا بن أمّي ولو شهدتك إذ تد   عو تميماً وأنت غير مجاب

* * *

[٢٩]٧٥ – عمرو بن الإطنابة[2] وهي أمه،وأبوه عامر بن زيد مناة بن مالك ابن الأغر الخزرجي . شاعر فارس معروف . حدثني أبو بكر أحمد بن زهير قال : حدثنا سليمان ابن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة بن الحكم الكلبي وحدثني محمد بن راشد قال : حدثنا مسعود بن بشر قال : حدثنا ابن داحة عن ابن دأب قال: قال معاوية ابن أبي سفيان:لقد هممت بالهرب يوم صفّينَ فما ردني إلا ما ذكرت من أبيات عمرو بن الإطنابة حين يقول : [3]

أبتْ لي عفتي وأبى بلائي   وأخذي الحمد بالثمن الربيحِ
وقولي كلما جشأت لنفسي :   مكانك تحمدي ، أو تستريحي
وإقدامي على المكروه نفسي ،   وضربي هامة البطل المُشيح
لأدفع عن مآثرَ صالحاتٍ   وأحمي بَعدُ عن حسب صريح

قال : فقلت: الله لتحامينّ عن الشاة والبعير ولأفرنّ عن الملك !! قال : فصبرت حتى آل الأمر إلى ما آل إليه .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن علي بن حمزة العباسي بإسناده قال : لما قتل الحارثُ بن ظالم المرّي خالدَ بن جعفر بن كلاب ، نائماً في قبة النعمان مُتَثّراً بزهير بن جذيمة العبسي ، قال فيه الناس وفي قتله إياه نائماً ، وكان الحارث يغاور الأوس والخزرج بالمدينة لقرب دارهم منهم ، فقال عمرو بن الإطنابة :

---

(١) : « الوحشيات » : ٢١٢ .
(٢) « معجم الشعراء » ٢٠٣ « من نسب إلى أمه » ١ / ٢٩٥ و ٢ / ٣٢٣ .
(٣) : « سمط اللالي » : ٥٧٤ « الوحشيات » : ١١٧ « حماسة البحتري »: ٩ « الحيوان» ٦ / ٤٢٥ « الحماسة البصريّة » : ٣ .

أبلغ الحارث بن ظـالم الموُعدَ ، والناذر النذور عليّا
إنما تقتـُل النيامَ ، ولا تقتل يقظان ذا سلاحٍ كميّا
[٣٠]ومعي عُدّتي مَعابلُ كالجمر ،وأعددت صارماً مشرَفيّا

قال : فأتاه الحارث بن ظالم متخفياً فدق بابه ليلاً ثم قال : إني مستجير قال : قد أجرتك . قال : إن لي أمراً أريدك له فاستلئم في سلاحك . ففعل فقال : اجتهد . قال : لا مزيد فيما فعلت . قال : اخرج معي . فخرج ومع الحارث سيفه . فلما بعد عن البيوت قال : أنا الحارث بن ظالم وقد استلأمت ولستَ نائماً فخذْ حِذرَك . قال : ملكت فأسجحْ . فجزّ ناصيته ، وخلى سبيله فرجع إلى منزله .

* * *

٧٦ – عمرو بن سفيان [١] بن حمار بن الحارث بن أوس وهـو مُعقـّر البارقي . وبارق من الأزد . قال الهيثم بن عدي فيما أخبر به عنه ابنه محمد : إنما لقب مُعقـّرا لقوله في العقاب :

لها ناهضٌ في الوكر قد مهَّدتْ له كما مَهَّدتْ للبعل حسناءُ عاقرُ

وهذه قصيدته المشهورة وفيها يقول :

معاويةُ بن الجون ، ذبيانُ حوله وحسّان في جمع الرّباب مُكاثرُ
فجئنا إلى جمـع كأن زهاءه جرادٌ هفا في هبوة مُتطايرُ
وخبَّرها الورّاد أن ليس بينها وبينَ قـُرى نجران والدّرب كافر
فألقتْ عصاها واستقربها النـّوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافِرُ

وأُخبرتُ عن محمد بن أنس عن حماد الراوية قال: حدثني معقل ابن أبي بكر الهذلي الراوية ، وكان قد بلغ مائة سنة ، قال : حدثني أبي قال : شهدت يوم جَبلَة يوم أقبل ابنا الجون، معاوية وحسان الكِنـْدِيّان هذا [٣١] في تميم ، وهذا في قيس، وكان معقـّر بن حمار البارقي في بني تميم فقال هذا الشعر ، فقلت

(١) « معجم الشعراء » ٢٠٤ « المخطوطات » : ٢ - ٣٢٣ .

لأبي : كم كانت خيل الحيَّين مع ما يكثّر معقر منها ؟ قال كان مع الفريقين نحو من أربعين فارساً .

* * *

٧٧ – عمرو بن عدي بن نصر اللخمي [١] جدُّ النعمان بن المنذر وآبائه الملوك . يقوله من رواية المفضل :

صددت الكأس عنا أمَّ عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا [٢]
وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبكِ الذي لا تصبحينا

* * *

٧٨ – عمرو ابن أبي عمارة الخنيسي [٣] الأزدي يقول :

دعوت فثابت من خُنيسٍ عصابةٌ إلى الضرب مشي المحنقات الرواقل

* * *

٧٩ – عمرو بن أشيم الأزدي [٤] الحدانيُّ الذي يقول :

شاقتك أظعان بكرن بكورا وتحاسرت عن ذي الأصابع زورا

* * *

٨٠ – عمرو بن طَلّة [٥] وهي أمه، وأبوه معاوية بن عمرو بن مبذول . يعرف بابن طلة بن مالك بن النجار الخزرجي . من قوله – ويقال إنه للحارث ابن عبد العزى الخزرجي – وكان عمرو بن طلة قائد الخزرج في حربهم مع الأوس :

أصحا أم قد نهى ذِكرَهْ ؟ أم قضى من لذّة وَطَرَهْ [٦] ؟

---

(١) « معجم الشعراء » ٢١٠ – ٢٢٠ .
(٢) « تاريخ الطبري » ٢ – ٣١ .
(٣) « معجم الشعراء » ٢٣٣ « المخطوطات » ٢ – ٢٣٠ « الخزانة » : ٢ – ٤٠٥ .
(٤) « معجم الشعراء » : ٢٣٣ .
(٥) « معجم الشعراء : ٢٣٣ .
(٦) « الأغاني » : ١٥ / ٤٢ « الطبري » ٢ / ٩٥ .

أم تذكرْت الشباب وما ذكركَ الشباب ، أو عُصَرهْ

* * *

٨١ – عمرو بن امرىء القيس [١] من بني الحارث بن الخزرج يقول في مالك بن العجلان النّجّاري :

يا مالِ والسيّد المعمّم قد يبطرُه بعض رأيه السَّرفُ

[٣٢] نحن بما عندنا وأنت بما عنـدك راض والأمر مختلف

فأبد سيماك يعرفـوك بما يبدون سيماهمُ فيعترفوا

* * *

٨٢ – عمرو بن رفاعة الواقفي الأوسي من قوله :

إما تَرينَا وقد خَفّتْ مَجالِسنا والموت أمر لهذا الناس مكتوبُ [٢]

فقد غَنِينَا وفينا سامر غَشِجٌ وساكن كأتِيّ الليل مرهوبُ

منّا الذي هُو ما إن طرّ شاربه والعانِسون ومنا المُرْد والشيْبُ

* * *

٨٣ – عمرو بن سيار بن مُرّة السّكوني أبو النّيل يقول :

لجِجنا ولجت هذه في التّغَضّب ولـطّ القِناع دوننا بالتّنَقّب

ويروى هذا الشعر لحُجية بن المُضرِّب الكندي في ولد أخيه معدان بن المُضـرّب أنشدته عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها أخاها عبد الرحمن ابن أبي بكر في أمر القاسم بن محمد ابن أبي بكر وأخيه لما قتل محمد أبوهما بمصر.

* *

٨٤ – عمرو بن عبد مناة [٤] الخزاعي كذا قال ابن أبي خيثمة ، وهوابن عبد مناف عند بعض الرواة . له أشعار كثيرة أخبرنا أبو بكر أحمد ابن أبي

---

(١) « معجم الشعراء » ٢٢٣ .

(٢) : « معجم الشعراء » : ٢٣٤ .

(٣) : « سمط اللآلي » : ٢٥٦ – ٧٠٢ .

(٤) : « معجم الشعراء » : ٢٣٤ .

خيثمة عن أبي عبد الرحمن الغلابي عن علي بن صالح عن ابن دأب قال : كان أول عاشق في العرب صدق في عشقه عمرو بن عبد مناة ، وكان مذكوراً بحسن الحديث وجودة الشعر فرأى ليلى ابنة عُيينة الخزاعية تجتاز إلى بيت لها فعشقها ، وهام حتى كان النوم قد امتنع عليه إلا بحيث يرى بيوت أهلها وفي ذلك يقول :

[٣٣] أوسِّد أحجاراً ودقعاء تابيا ... مَبيتَ عَسيف الحيّ غير المكرَّم
أرى بيت ليلى حين أغلِق بابُه ... ألذّ وأشهى من مِهادٍ مُقَرَّم

ثم قتله زوج ليلى . وحدثنا ابن أبي خيثمة بحديثه . ومن قول عمرو بن عبد مناة أنشدنيه أحمد بن محمد بن بشر :

أرى العهد من ليلى حديثاً ونائيا ... هو النأي لا نأي الحبيب لياليا
هو النأيُ لا أن تشحط الدار مرة ... ولكنّ نأي الدار أن لا تلاقيا

ومنه أخذ المحدث قوله :

بيناً هو البين لا بَيْن النّوى زمنا ... ولا التنقُّـل من دار إلى دار

* * *

٨٥ — عمرو بن جابر بن كعب[١] المنتكث الخزاعي. شاعر قديم ذكر محمد ابن الهيثم بن عدي عن أبيه أنه سمي المنتكث لقوله :

فإن يخرجوا في القوم أفرح بخرجِهِم ... وإن تنكثوا يوماً من الدهر أنكث

* * *

٨٦ — عمرو بن جعدة بن فهد[٢] بن عبدالله الخزاعي القائل :

صدفت أميمة لات حين صُدُوف ... عنّي وآذن صُحبتي بخُفوف
لما رأيتهم كأنّ نبالهُم ... بالجزع من نَقْرَى نجاء خريف
وعرفت أن من يثقفوه يتركوا ... للضّبع أو يصطاف شرّ مصيف
أيقنت أن لا شيء يُنجي منهم ... إلا تفاوت حمٍّ كلّ وظيف

* * *

(٢) « معجم الشعراء » ٢٣٤ « حماسة البحتري » : ٥١ .

٨٧ – عمرو بن الحارث (١) بن عمرو الخزاعي القائل :

نحن ولينا البيت من بعد جرهم ... لنمنعه مـــن كل بـــاغ وآثم
ونترك مـــا يُهْدى له لا نمسُّه ... نخاف عقاب الله عند المحارم

* * *

[٣٤] ٨٨ – عمرو بن براقة الهمداني النِّهمي (٢) . شاعر فارس مقدم صعـلوك . ومن قوله :

عرفت حنيفة إذ رأت بمبايض ... نُهْماً شعارهم المبين : نِزال!!

وقصيدته المشهورة الجيدة :

تقول سليمى لا تعـــرض لتلفة ... وليلك من ليل الصعاليك نائم(٣)
وكيف ينام الليل من جلُّ ماله ... حُسام كلون الملح أبيض صارم
صموت إذا عضَّ الضريبة لم يدع ... بها طمَعاً ، طوع اليدين مكارم
ألم تعلمي أن الصعاليـــك نومهم ... قليل ، إذا نام الخـــليُّ المسالم
إذا الليل أدجى واستقلت نجومه ... وصاح من الإفراط هام(٤) جواثم

* * *

٨٩ – عمرو بن مالك (٥) النخعي ثم الكعبي من بني والان ، هو الذي يقول :

ومرَّتْ تسحب الريطة تدعو يا بني كعبِ
ألا من يبصر العارض قد أوفى على الشعب ؟

* * *

---

(١) « معجم الشعراء » : ٢٣٤ .
(٢) المخطوطات ١/ ١٨٧ « المؤتلف » : ٦٦ « الا كليل »
(٣) في الهامش: (آيم) والقصيدة في « سمط اللآلىء » : ٧٤٩ و « الأغاني » : ١١٣/٢١ « حماسة البحتري » ٢١ /٣٢ .
(٤) في المخطوط (هيم) .
(٥) : « معجم الشعراء » : ٢٣٤ .

٩٠ – عمرو بن ثعلبة[١] بن غياث بن ملقط بن عمرو بن ثعلبة بن رومان ابن جُندب بن خارجة الطائي . هو الذي يقول :

مهما لي الليلة ، مهما لِيَه ... أودي بنعليّ وسِرْباليَه
الخيل قد تجشم أربابهــا الـ ... شّق وقـد تعتسف الداوية
إنك قد يكفيك دره الفتى ... وبغيه أن تركض الغــاليه

أنشدني ثعلب هذه القصيدة لابن عبدل الأسدي .

* * *

٩١ – عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي [٢] القائل :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُر بمكّة سامِرُ
[٣٥] بلي نحن كنّا أهلها فأزالنا ... صروفُ الليالي والجدود العواثرُ

أنشدني ذلك علي بن أبي الأزهر قال : أخبرنا أحمد بن عبد الله الزهري عن عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحاق قال: وعنه زالت ولاية البيت عن جرهم إلى خزاعة .

* * *

٩٢ – عمرو بن عُزيّة المعني [٣] هو الذي يقول :

أبلغ بني ثُعلٍ بأن دياركم ... قفرٌ إلى الكرمــين فالصّبّاح
لولا بنو عمرو بن سنبس أصبحت ... أنعامكمُ نَفَلاً بغــير سِلاح

* * *

٩٣ – عمرو بن يسار [٤] بن قرواش بن مــالك بن عمرو الطائي هو الذي يقول :

إن اسطعتِ يوماً أن تكوني لمحجنٍ ... قُبيل رَحيل القوم عرس الكرّوّس
إذاً تعلقي في رحل أبيض ماجدٍ ... طويل نجاد السيف ليس بأكوس

* * *

(١) « معجم الشعراء »: ٢٣٥ . النقائض » ٤٥ – ٤٦ – ٦٥٣ – ١٠٨٤ – ١٠٨٧ « نوادر أبي زيــد » ٦٢ « شرح شواهد المغني » ١١٣ – ٢٥٣ .
(٢) : « معجم الشعراء » : ٢٠٤ « الطبري » : ١٩٨ .
(٣) معجم الشعراء : ٢٣٥ ، (٤) « معجم الشعراء » ٢٣٥ .

٩٤ — عمرو بن الأيجر[١] الطائي البحتري . هو الذي يقول :

وقالوا : قد جُننتَ فقلت : كلا وربي ما جننتُ ولا انتشيتُ

* * *

٩٥ — عمرو بن النّبيت [٢] الطائي البحتري هو الذي يقول :

إني وإن كان ابن عمي عاتباً لمقاذفٌ من دونه وورائـــهِ

ومعِدُّه نصري ، وإن كان امرءاً مترحرحا في أرضه وسمائـــهِ

* * *

٩٦ — عمرو بن قعاس [٣] بن عبد يغوث بن محرّش بن مالك بن عوف المرادي هو الذي يقول :

بنو غـُطيف أسرتي في الوَغى هم خير من يعلو متونَ الرجال

سائل بنــا حمير يوم الوغى إذا استحقوا هدجـــاً كالرئـّال

* * *

[٣٦] ٩٧ — عمرو بن عمار[٤] الخطيب الطائي ، خطيب شاعر ، كان صاحب النعمان بن المنذر ، ونادمه ، وكان النعمان أبرش أحمر معربداً ، فعربد عليه يوماً فقتله . فقال في ذلك أبو قُردودة الطائي ، أنشدناه المروزي عن الجاحظ :

لقد نهيت ابن عمار وقلت له : لا تقرَبَنْ أحمر العينين والشعَرَه [٥]

إن الملوك متى تنزل بساحتهم يوماً تطِرْ بِكَ من نيرانهم شَرَرَه

يا جَفْنَةً كإناءِ الحوض قد هدموا ومَنْطِقاً مثل وشي اليمْنَة الحبره

* * *

٩٨ — عمرو بن الخُنَارم البَجلي [٦] من بني عسيرة ، حدثني عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال : الخنارم : المتطير . وأنشدني في ذلك شعراً . وأنشدني

---

(١) « معجم الشعراء » ٢٣٥ والبيت في « الحماسة » من مقطوعة لسنان بن الفحل الطائي: (راتب).

(٢) « معجم البلدان » : ٢٣٥ . ذيل السمط ٤١

(٣) « معجم الشعراء » : ٢٣٦ .

(٤) : « معجم الشعراء » : ٢٣٦ .

(٥) في الأصل : الشعر — شرر — الحبر ، والاصلاح لاستاذنا راتب ، معلقاً : (كذا أحفظها في « البيان والتبيين » وانظر « الوحشيات » : ٢٣٦ و « سمط اللالي » : ٦٣٨ .

(٦) : « معجم الشعراء » : ٢٣٦ « النقائض » : ٢٤١ .

استدراكات على :

المُعْجَمُ الجُغْرَافِيُّ لِلبِلادِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

مُقَاطَعَةُ جَازَان

- ٢ -

جَرْءُ مَسعُود : بفتح الجيم المعجمة وفتح الراء المهملة المثقلة مضافاً الى الاسم العلم : حِلة شرق جخيرة .

الجَنَادِل : جمع جندل : جبيلات قريبة من جبل (جحفان) السابق في حرف الجيم :

حَدِيد : على اسم الحديد (المعدن) المعروف : واد صغير ، بين أبي سبيلة وجرّار .

الحَصّامَةُ : بفتح الحاء المهملة والصاد المهملة المثقلة فألف ثم ميم فتاء مربوطة : قريتان صغيرتان – قرية العريش – أحدهما تسمى (الحصامة

محمد بن شيبان عن حماد بن اسحاق عن أبيه لعمرو بن الخثارم يقوله في بني أفصى بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار البجليين . قال : وكان إذا نزل بهم ضيف حسبوا ماله وعرفوه ، فإن مات له بعير أو شاة أخلفوه عليه وإن مات ، أو واحد من أهله أو ولده ودوه ، وإذا شخص عنهم بلغوا (١) مأمنه وأحسنوا إليه .

ألا من كان مغترباً فإني ... لغربته على أفصى دليـــلُ
يُعينون الغنيّ على غناه ... ويَثْرُو في جِوارهم القليـــلُ

ومن قول عمرو بن الخثارم البجلي :

[٣٧] فإنْ بلادَ قومِكَ قدْ أُبيحَتْ ... وحلَّ مكانهم حيٌّ شطِـــيرُ

(للحديث صلة)

---

(١) : كذا ولعل الصواب : بلغوه .

العليا) والاخرى (الحصامة السفلى) وهي من قرى الحسيني . وهي غير حَصامة وادي خُلَب .

الحَصْمَةُ : بفتح الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وفتح الميم وآخرها هاء : حِلّة شمال قرية الجمدية من قرى المسارحة . وهي حَصمة جبل سلع المذكورة .

حِلة بن علوان : بكسر الحاء المهملة مضافة إلى (بن علوان) بفتح العين المهملة وسكون اللام : تتبع قرية العدايا من أعمال صبيا .

حِلّةُ جربوع : على اسم الجربوع الدويبة المعروفة : شمال مدينة (صبيا) .

حلّة الحكَمِي : بكسر الحاء مضافة إلى الحكمي بفتح الحاء : تتبع قرية العدايا من أعمال صبيا .

حِلّة الحَوّاتة : بفتح الحاء : قرية صغيرة جنوب ساحل الجعافره .

حِلّة خبْت العواري : يتقدم الخبت بفتح الخاء المعجمة مضافة إلى العواري بفتح العين المهملة والواو : حلة للجعافرة قريبة من الحقاوية المذكورة في حرف الحاء .

حِلّة الخَوَارية : بفتح الخاء المعجمة مخففة : تتبع قرية أبي العقايد .

حِلّة راجح : بفتح الراء المهملة : حلّة قرب حلة قرب المشاف .

حِلّة رفيِع : بكسر الحاء مضافة إلى رَفيِع بفتح الراء وكسر الفاء من الارتفاع : تتبع قرية العدايا من أعمال صبيا .

حِلّة الصائغ : الحلة مضافة إلى (الصائغ) بفتح الصاد المثقلة : من حلل قرية العدايا من أعمال صبيا .

حِلّة العَبِيد : من العبودية ضد الحرية : حلة قريبة من قرية الضيف .

حِلّة عَطيّة : بكسر الحاء : حلة قريبة من قرية (الجمالة) الوارد اسمها في حرف الجيم . وهي قرية عطية في الجعافرة .

حِلـة علي دِغـاسي : غرب قرية الحسينية .

حِلـّة علي بن مهدي : من حِلل الجمافرة قريبة من حلة وجه الحصني .

حِلة محمد حِنين : وحنين بكسر الحاء أيضاً والنون : حلة صغيرة غرب قرية الحسينية .

حِلـّة مَرْوَعِيْ الشامي : منسوبة إلي شخص يسمى مروعي بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو ثم ياء مثناة تحتية : تتبع قرية العـــدايا من أعمال صبيا .

حِلـّة المشهور : بفتح الميم وسكون الشين المثلثة : تابعة لقرية (المحلـّة) الواقعة شمال قرية الملحا التي تقع شمال (صبيا) .

حِلـّة مصطفى : بكسر الحاء قريبة من قرية العزافي .

الحِنـّايَةُ : على اسم واحدة شجر الحناء : حلة جنوب بلدة العـــارضة وهي غير قرية الحناية المذكورة . في بني الغازي .

حُنـْقـُفـَة : بضم الحاء المهملة وسكون النون المعجمة وضم القاف ثم فاء مفتوحة فتاء مربوطة : حِلة تتبع قرية الباحر من أعمال صبيا .

حُنـْقـُفـَة : على اسم سابقتها : من قرى الجمـــافرة قرب (حِلـّة علي مهدي ابن) .

حَوَارِق : جمع حارق من الحريق : قرية من قرى المسارحة في الخبت .

خالف محمد : بفتح الخاء المعجمة ثم ألف فلام مكسورة ثم فاء : حَلـّة غرب المشاف .

خَالِفُ المَحْرُوق : قرية صغيرة تتبع قرية الحسينية .

الخَبَارِي: بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة بعدها ألف فراء مكسورة فياء حِلـّة في أرض القحمة شرق بلاد المسارحة يسكنها قوم من قبيـــلة (الخبراية) .

الخَضْراءُ : صفة لاخضرار الشجرة قرية صغيرة من قرى الجعافرة ، قريبة من قرية سواده – المذكورة في حرف السين ، وهي غير قرية الخضراء التي ذكرت قبلها من أعمال صبيا فتلك شمال غرب صبيا تتبع قرية (الجمّالة) وهذه في غرب صبيا . وغير القُرى المسماة بهذا الاسم قبلها .

خِمْرَان : بكسر الخاء المعجمة وسكون الميم وفتح الراء بعدها ألف فنون : وادٍ صغير في بلاد الحُرّث من روافد وادي خُلَب .

الدّاحِنَةُ : بفتح الدال المهملة المثقلة بعدها ألف فحاء مهملة مكسورة فنون مفتوحة وآخرها هاء ، وتسمى أيضاً مضافة (نَقيل الدّاحنة) : عقَبَةٌ معروفة في الجبال القريبة من قرية عياش المذكورة في حرف العين ويقال في المثل الشعبي لدينا ، (أوفى من مدّ الجرورِ المداحنة) وللمثل قصة سنذكرها في كتابنا « الأدب الشعبي » .

الدّمَيْن : بالتصغير : حلة تتبع الحسيني قريبة من أم القعرة في الحَزْن قريبة من طريق عيبان – صبيا .

الرّاقِيْعِي : بتشديد الرّاء المثقلة يليها ألف فقاف مثناة وكسر القاف ثم ياء مثناة تحتية فعين مهملة فياء أخرى للنسبة : من حلل الطمحة .

رَدّ امْسُعُودِي : الراء والدال المثقلة مضافاً إلى امسعودي (السعودي): موضع ومنتجع في وادي خمران – من روافد وادي خُلب و(رد امسعودي) ورد في الشعر الشعبي قبل ما يقـــارب ٧٠ السبعين عاماً – راجع كتابنا « الأدب الشعبي » الذي سيطبع – قريباً – .

الرزان : راجع (أمْرَزَان) .

الرُعَيْلِي : بضم الراء المهملة المثقلة وفتح العين المهملة وسكون اليـــاء المثناة وكسر اللام وآخره ياء ، ويضاف فيقال مِشباح بكسر الميم الرعيلي : قرية صغيرة من قرى بني الحُرّث .

سَبْسَاب : بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح السين الثانية بعدها ألف ثم باء موحدة : موضع ببلاد الحَرّث في جهة وادي لِيَة بكسر

الباء الموحدة ومخففاً قـــال الشعبي شعران بن حسين السفياني ينذر قومه (سفيان) بالتخلي عن أرض بني الحُرّث من قصيدة شعبية :

شدّوا بنـَا خلـّوا (المغَيْرا) لاهلها
وخلوا لهم (سبساب) و (غفـــير)

راجع كتابنا « الأدب الشعبي » .

السُّرورية : بضم السين المهملة المثقلة نسبة إلى (السرور) ضد الحزن بفتح الحاء : حلـّة من حِلل قبيلة الطـّمْحَة قرب غابة السلام .

السِّرّين : بكسر السين المهملة من السر الذي هو ضد الجهر : حلتان قرب قرية (العزافي) تسمى الأولى السِّرّين الأعلى والثاني السِّرّين الأسفل .

السّلامَة : من حِلل الجعافرة قرب قرية (قلبية) الواردة في حرف (القاف) وجميـع قرى قبيلة الجعافرة تتبـع إدرايا مدينة (صبيا) .

السّلْفُ : بكسر السين المهملة وسكون اللام وآخره فاء : جبـــل معروف ، واسم قرية (الجوة) من قرى قبيلة (الخبراية) — السابقة في حرف الجيم .

الشّعَارة : بفتح أولها وثانيها : حِلة من حلل الجعـــافرة قريبة من قرية الأثلة .

شهْدَة : مؤنث الشُّهد بضم الشين المثلثة : بئر وحولها دمنـة في خبت السيد .

شيبان : مثنى (شيب) ضد الشباب : حـلة بكسر الحاء بجهة (الجعافرة) .

الصافَحُ : بفتح الصاد المهملة المثقلة وفتح الفاء حلة شرق جنـــوب قرية الحسينية .

الصافح : على صيغة الصفة المشبهة من الصفح : حلة تتبـع قرية (الجالة) .

الصَّمْرُ : بفتح الصاد المهملة وسكون الميم وآخرها راء مهملة حلّة شرق (عكوة اليمانية) .

الضَّيْفُ : من الضيف الذي يستضاف : قرية صغيرة من قرى الجعافرة .

طَحْنَانُ : بفتح الطاء وسكون الحاء المهملة وفتح النون بعدها الف فنون ثانية : جبل معروف قريب من قرية الجوة في بلاد الخبراية المذكورة في حرف الجيم .

أمْطَفْ : (الطَّفْ : بفتح الطاء المثقلة : جبل يكثر به نبات اسمه (الشّار) مدور الأوراق مشبعة أوراقه بالماء عطري الرائحة تتزين به نساء البادية — راجع كتابنا « الأدب الشعبي » — وما ورد في هذا الموضع من الشعر .

عُذَيْبَةُ : مصغرة قرية صغيرة يسكنها قوم من قبيلة الكررة في جهة بلاد المسارحة .

العزافي : بفتح العين المهملة وفتح الزاي المعجمة بعدها الف ففاء مكسورة فياء قرية جنوب مسيل وادي صبيا في الحزن . شرق الحسيني .

عضد : على اسم عضد الانسان حلّة قريبة من (قائم عرابي) . من حلل قبائل الحسيني .

العُطيف : مصغرا : حلة بكسر الحاء غرب قرية جريبة .

العوارجة : بفتح العين المهملة والواو ثم الف فراء مهملة مكسورة فجيم مفتوحة (قرية صغيرة) من قرى الجعافرة ، قريبة من قرية « عطية » في الجعافرة .

الغريف : على اسم الغريف المعروف: حلتانِ احداهما تسمى الغريف الأعلا والأخرى الغريف الأسفل من حلل الحسيني. ويسمى أيضاً الخبت الذي يصاقب جبل عكوة من الغرب باسم الغريف .

غفير : بفتح الغين المعجمة وفتح الفاء وكسر الياء المثناة التحتية وآخره راء مهملة .

راجع اسم الموضع (سبساب) في حرف السين وقال الشاعر الشعبي (أحمد عسيري العواجي) من قصيدة شعبية يصف مراعي ابله .

ترعى بوادي (غفير) دايم لبنها كثير
يبيت في (القعبان) كأنه الغدران

قابر بوه : على وزن غابر مضافا إلى (بوه) بضم الباء الموحدة (حلة) بكسر الحاء المهملة جنوب (أبي ذخيرة) .

قائم بصة : بضم الباء الموحدة التحتية وفتح الصاد المهملة المثقلة وآخرها هاء . حلة قرب حلة المعاسير .

قايم جعفري : على اسم القائم ضد القاعد وجعفري: بفتح الجيم وسكون العين وكسر الفاء والراء المهملة وآخره ياء مثناة تحتية . قرية صغيرة شمال قرية العزافي .

قائم عربي : وبعضهم يسميها قائم العرب حِلّة ، بين (الموقعة) وقرية قعاس .

القحمة : بفتح القاف وسكون الحاء المهملة وفتح الميم وآخرها قرية صغيرة من قرى قبيلة النجوع . في الحزن جهات الحسينية .

القراقع : بفتح القاف الأولى والراء المهملة بعدها ألف فقاف أخرى مكسورة فعين مهملة ويقال له أيضاً (مراح القراقع) بفتح الميم والراء المهملة قرية صغيرة قرب (خضيرة عياش) – السابق في حرف الخاء وشهرة هذه القرية معروفة لما ورد في الأشعار الشعبية لوقعة معروفة بغزوة القراقع بين المسارحة والحرث .

القصب : بفتح القاف والصاد المهملة وآخره باء موحدة وادي ينحدر من جبل الرميح من روافد وادي لية .

الكشارة : مخففة وبفتح الكاف والشين والراء المهملة : حلة بكسر الحاء من حلل الجعافرة . قريبة من قرية الحرف – السابقة في حرف الحاء .

الكومة : بضم الكاف والواو بعدها ميم مفتوحة فهاء ، حـــلة من حلل الجمافرة قريبة من حلة العبيد .

الجديرة : على أسم المكان المخصص للمرضى (الجدري) قرية صغيرة بين قريتي (جريبة) – السابق في حرف الجيم – و (الحرف) السابق في حرف الحاء وهي من قرى الجمافرة غير سابقتيها المتقدمتين .

الجديرة : على اسم ما سبقها حلة تتبـــع قرية (الجمالة) .

المحارقة : بفتح الميم وكسر الحاء المهملة بعدها الف فراء مهملة مكسورة فقاف مفتوحة : قرية صغيرة من قرى الجمافرة قرب (الكشارة) الآتية.

مردوسة : بفتح الميم وسكون الراء وضم الدال المهملة ثم واو بعدها سين مهملة مفتوحة فهاء . حلة تتبع قرية الحسينية .

أمرزان : (الرزان) موضع غرب (أبي سبيلة) المتقدم في حرف الألف والرزان حلة ومنتجع للرعي .

امرّوّي : (المروي) بفتح الميم المثقلة وفتح الراء المهملة والواو وآخره ياء مثناة تحتية موضع للرعي وبه أكمة صغيرة من حجر المرو،شمال (خميعة) السابقة في حرف الخاء .

المساني : بفتح الميم والسين المهملة : حلة قريبة من حلة (العزامة) السابقة في حرف العين .

المشاف : بفتح الميم والشين المثلثة وآخرها فاء حـــلة غرب قرية مسلوعة وهي غير المشاف السابق في حرف الميم قبلها .

المصقع : بفتح الميم وسكون الصاد المهملة وفتح القاف ثم عين مهملة قرية على عدوة واد (الخمس) بضم الخاء المعجمة يسكنها بعض قبيلة (الحوامضة). وهي غير جبل (المصقع) الذي هو جنوب موقع سد وادي جازان .

المصيادة : بكسر الميم وسكون الصاد المهملة وفتح الياء المثناة بعدها ألف فهاء حلة بين واديي (صبيا) و (دامس) في الحزن الذي شرق جبـــل عكوة .

المضراب : بكسر الميم وسكون الضاد المعجمة والراء المهملة بعدها ألف فباء موحدة حلة بكسر الحـــاء قرب قرية (الخشل) السابقة في حرف (الخاء) .

مطرح السرو : بفتح الميم وسكون الطاء المهملة وفتح الراء المهملة فحـاء مهملة مضافة إلى السّرو بفتح السين المهملة المثـــقلة فراء مهملة وآخره واو . (حلـّة) قريبة من (حلة الصمر) .

المطـّلع : بكسر الميم وفتح الطاء المهملة واللام وآخره عين مهملة حلة شرق قرية أم الغلف حول عكوة اليانية .

المعاسير : ضد المياسير حلة قريبة من قرية العزافي .

المعسوم : بفتح الميم وسكون العين المهملة وضم السين ثم واو فميم ثانية قرية صغيرة جنوب (حلة بازغة) في جهة قرية العَـزّافي .

المعلاجي : بفتح الميم وسكون العين المهملة ثم لام مفتوحة يليها ألف ثم جيم فياء قرية صغيرة قريبة من قرية المعسوم . من قرى قبائل الحسيني .

الملعب : من اللعب ضد الجد وهو على اسم المكان الذي يلعب فيه قرية صغيرة في جهات الحسينية .

المنقطع : بضم الميم وسكون النون وفتح القـــاف وكسر الطاء المهملة وآخره عين مهملة حلة في جهة وادي لية .

الموقعة : بضم الميم والواو وفتح القاف والعين المهملة وآخرها ، هـــاء (حلة) شرق قرية قعاس . من قرى النجوع ومن قبائل الحسيني) .

وجه الحصني : على اسم وجـــه الانسان مضافة إلى الحصني بضم الحاء وسكون الصاد المهملة بعدها نون فياء حلة من حلل الجعافرة قريبة من قرية (قوز الجعافرة) الوارد في حرف القاف . وشرق قرية (سواده) الواردة في حرف السين .

الوَجْنيَـة : بفتح الواو وسكون الجيم المعجمة وفتح الياء المثناة التحتية فهاء : قرية صغيرة من قرى قبيلة النجوع .

جازان   محمد بن أحمد العقيلي

[لا تتحدث العرب في هذا الباب الا عما يقدم لها من الكتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا]

● – **جبل طارق والعرب :**

أنا اعجبت بعمل الصديق الأخ الاستاذ عبد العزيز الرفاعي ، حينما بدأ بنشر بعض دراساته الذي يلقيها في بعض المناسبات ، أو يقرأها بعض القراء في صحفنا ، ذلك ان جهد الكاتب ، كثيراً ما يضيع في خضم صحافتنا التي لا يفرق الكثير من قرائنا بين الغث والسمين فيها ومن بين ما يكتب فيها أبحاث لها قيمتها ، وحرام ان تضيع وتهمل ، وعمل الاستاذ الرفاعي من الوسائل التي تحفظ للبحث الممتع وللرأي المصيب وللمقالة الجيدة شيئاً من الكرامـــة والبقيا ، فقد عمد إلى :

١ – توثيق الارتباط بالتراث العربي ، البحث الذي القاه في اجتماع الادباء في بغداد .

٢ – جبل طارق والعرب الذي نشرته «قافلة الزيت»، عمد لاخراجها في كراسات لطيفة تمكن القارىء والباحث من الاستفادة منها، ومما سيأتي بعدهما في وقت اطول ، لا سيما وان البحوث المركزة العميقة ؛ هي بحاجة إلى مثل هذا العمل ، وقديماً كانت تعمد المجلات القديمة إلى طبع بعض البحوث الممتعة بعد نشرها في المجلة في كراسات خاصة ، ابقاءً لهـــا وحفاظاً على قيمتها الثقافية ، وتمكيناً لاكبر عدد من القراء من الاستفادة ، وحسناً فعل الاستاذ الرفاعي فيما عمل – وزاده الله توفيقاً .

● – **من مشارف القمم :**

الأستاذ أسعد ذبيان من أدباء لبنان الذين تتصف كتاباتهم برقة الأسلوب ونعومته وبسمو الخيال، وهذه صفات توحي بها طبيعة لبنان الساحرة، وليس أدل

على ذلك من كتاب صدرت طبعته الثانية ، ولم يمض على طبعته الاولى سوى امد قصير

هذا الكتاب هو « مشارف القمم » يتلخص في وصف مؤلفه الكاتب الرقيق بقوله : (سمته الاصيلة انه وعي الوطن عبر ما يتجلى به ، وانه يتيح هذا التجلي في ابسط الصور وانقاها) إلى ان قال : (لبنـــان في هذا الكتاب هو ذلك الحب الصافي العريق) ، وقـد ازدان كثير من صفحات هـذا الكتاب التي زادت على ١٧٠ – ازدان بكثير من الصور الرمزيةالخيالية وحوى قصصاً قصيرة تصور اجواء لبنان الجبل الوادع الجميل ، الذي يفيض بالحب والحياة .

● – مصور الخط العربي

مصور الخط العربي للاستاذ ناجي زين الدين ، هذا الكتاب من خير مـا اخرجته المطابع ، وقد قام مجمعنا العلمي العراقي بطبعه بعـــد ان اشرف على القسم التاريخي منه عالمان جليلان من مـؤرخي عصرنا ، ويقع الكتاب في مجلد ضخم تبلغ صفحاته ٤٢٠ من القطع الكبير، والواقع انـه صور ووثائق تاريخية عن تطور الخط العربي من اقدم عصوره إلى عهدنا الحاضر وسنفرد لهذا الكتاب كلمة نظراً لأهميته العظيمة وللجهـد الكبير الذي بذله مؤلفه الفاضل بحيث اصبح هذا الكتاب لا يستغني عنه كل من يعنى بـدراسة الخط العربي بل كل من يعنى بدراسة التاريخ العربي الشامل .

● – شعراء اليمن المعاصرون

وكرم الاستاذ هلال ناجي باتحاف « العرب » بنسخة من مؤلفه القـــيم « شعراء اليمن المعاصرون » وهو من اشمل المؤلفات في موضوعـه حيث يقع في ٢٥١ صفحة بطباعة حسنة ، وقـــد علمت من الاستـــاذ المستشرق الحاج عبد الكريم جرمانوس عندما قابلته قبل سنتين أنه كتب دراسة باللغة الانـكليزية عن هذا الكتاب ، نشرت في إحدى المجلات ، وابديت اسفي انني لم اطلع على ذلك الكتاب في ذلك الوقت، وقد تناولته بعض صحفنا بالحديث مما لم يترك مجالاً لي الا بأن أعبر عن تقديري وشكري للاستاذ المؤلف الكريم

● – شعراء معاصرون

ومما اتحف العرب به الاستاذ هلال ناجي كتاب « شعراء معاصرون » الذي الفه هو والاستاذ مصطفى السحرتي ، ونشر في سلسلة (المكتبة الأدبية) وهو الحلقة الثالثة منها ، يحوي دراسات وافية عن شعراء من مصر والشام والعراق ونقصد بالشام المدلول الكامل لهذه الكلمة ، ويقع الكتاب في ٢٢٥ صفحة . ويحوي دراسات عن ٢٣ شاعراً مشهوراً من شعراء عصرنا الحاضر ، ومنهم من لا يزال مغموراً مع جودة شعره . مما نرى ان الدراسات الشعرية في الوطن العربي بحاجة إلى مثل هذا الكتاب القيم .

● – تحفة اولي الألباب :

الاستاذ هلال ناجي له عناية كبيرة بدراسة أصول الخط العربي ، ولعله ورثها عن والده الاستاذ الجليل ناجي زين الدين مؤلف كتاب « مصور الخط العربي » وهي عناية تعتبر في الواقع رغم الانصراف عنها جديرة بالتقدير ، إذ اللغة العربية والتراث العربي بأسره يقوم على أساس فهم قواعد الخط العربي الذي انصرفنا عن العناية به ، وله قواعد واصول يجب الحفاظ عليها ، إذا اردنا المحافظة على تراثنا ، ومن عناية الاستاذ هلال نشره الكتاب « تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب » تأليف عبد الرحمن بن يوسف بن الصايغ المتوفي سنة ٨١٥ ، وقد حقق الاستاذ الكتاب وطبعه بطريقة التصوير طباعة قوية في تونس مضيفاً اليه كثيراً من التعليقات ويعتبر الكتاب من اهم ما خلفه لنا المتقدمون في معرفة اصول الخط العربي ، ولهذا يعتبر من اقوى الدعامات التي يقوم عليها هذا العلم .

● – شرح ابن الوحيد لرائيه ابن البواب

ابن البواب علي بن هلال علم من اعلام الخط العربي من اهل القرن الرابع الهجري وتوفي سنة ٤١٣هـ وكان يضرب بجودة خطه المثل ،وقد ألف عن ترجمته كتاب نشره (المجمع العلمي العراقي) وله قصيدة في قواعد الخط ، شرحها ابن الوحيد محمد بن شريف المتوفي سنة ٧١١ هـ ، وقد حقق الشرح الاستاذ هلال ناجي وطبع في تونس في كراسة لطيفة في ٢٤ صفحة طباعة أنيقة .

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخليـة

اعـــــلان

من المديرية العامة للجوازات والجنسية

يعلن المدير العـــام للجوازات والجنسية بـأن الأنظمة والتعليمات قضت بأن كل حاج قدم لغرض الحج يتعين عليه أن يعود إلى بلاده مصحوباً بالسلامة بعد أداء هـــذه الشعيرة .

وإن المديرية العـــامة للجوازات والجنسية ـــ إذ تعلن ذلك بمناسبة انتهاء مناسك الحج ـــ ترجو مخلصة من الحجاج عدم التخلف حتى لا يتعرضوا لمخالفة القانون ، وترجو من المواطنين والمقيمين إقامة قانونية في البلاد عدم محاولة التستر على المتخلفين من الحجاج وإيوائهم حتى لا يتعرضوا للمسؤولية والعقاب .

٢/١

النار

الوقاية منها أسهل من اخمادها

النار نتيجة لتفاعل كيماوي بين ثلاثة عناصر : الوقود (المادة القابلة للاحتراق) والحرارة والأكسجين . وأسبابها الأساسية ثلاثة : الاهمال وعدم الاكتراث والجهل . ومن المعلوم ان كل مادة تشتعل على درجة حرارة خاصة بها . ومنها ما يشتعل بمجرد تعرضه لأكسجين الهواء وحرارة الجو العادية .

يرمز للعناصر الثلاثة بمثلث يطلق عليه اسم (مثلث النار) . فاذا شب حريق ما وأردنا اخماده فما علينا الا أن نحاول عزل أي عنصر من العناصر المذكورة عن العنصرين الآخرين . وفيما يلي بعض الطرق المتبعة في مكافحة الحرائق :

١ — التبريـد — والغاية منه عزل أحد أضلاع المثلث (الحرارة) ويتم ذلك باستخدام :

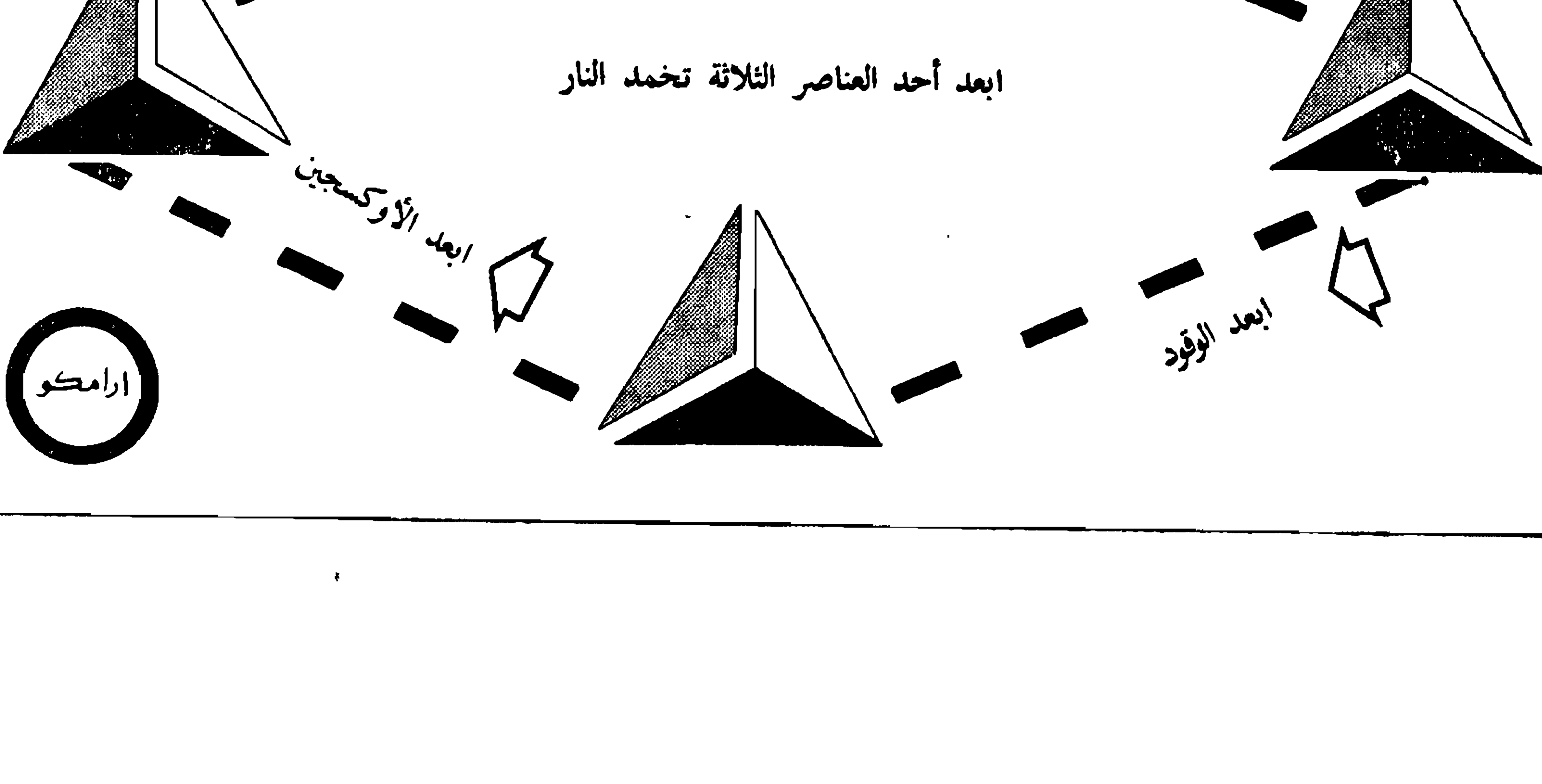
أ — الماء لتبريد أغلب المواد المشتعلة ما عدا المعدات الكهربائية الموصولة بالتيار لأن الماء موصل للكهرباء .

ب — ثاني أكسيد الكربون لأنه موصل ردىء للتيار الكهربائي بعكس الماء .

٢ — العــزل .

أ — بواسطة المواد الكيماوية السائلة منها والجافة : والغاية منها عزل الأكسجين عن سطح المواد المشتعلة .

ب — ابعاد مصدر العنصر الثالث (المادة القابلة للاشتعال) عن منطقة الحريق وذلك اما باغلاق المصدر ان كانت المادة سائلة أو غازية أو ما لم يشتعل منها ان كانت صلبة .



وزارة الزراعة والمياه

إدارة المواد ــ قسم المناقصات والمشتريات

«اعلان مناقصة»

عدد	اسم المناقصة	رقمها	قيمة المواصفات	آخر موعد لقبول العطاءات	موعد فتح المظاريف
١	تأمين لوازم النجارة للمرة الثالثة .	٨/ ١١	١٥ريال	الاثنين١٣/٢/٩٠	الثلاثاء ١٤/٢/٩٠
٢	إنشاء غرفة بمستودع الوزارة بهدى الشام للمرة الثالثة .	٨/١٣	١٥ «	الثلاثاء١٤/٢/٩٠	الأربعاء١٥/٢/٩٠
٣	تأمين لوازم الكهرباء للمرة الثانية .	١١/١٠	٣٠ «	الاربعاء١٥/٢/٩٠	الخميس١٦/٢/٩٠

تعلن وزارة الزراعة والمياه عن طرحها بالمناقصة العامة المناقصات الموضحة بعاليه ، فعلى السادة الذين يرغبون الاشتراك فيها ، مراجعة (قسم المناقصات والمشتريات بالوزارة) بموجب طلب خطي للحصول على نسخة من الشروط والمواصفات وتقديم عطاءاتهم من أصل وصورتين داخل ظرف مختوم بالشمع الأحمر ومعنون باسم (رئيس لجنة فتح العطاءات) علماً بأنه سيتم فتح العطاءات في تمام الساعة العاشرة زوالي من التاريخ المحدد لفتح العطاءات بعاليه وحسب تقويم أم القرى ، وستطبق نصوص نظام المناقصات والمزايدات فيما يتعلق بتقديم العطاءات والتعاقد،وللعموم جرى نشره. وعلى مقدم العطاء أن يراعي عند إعداد الأسعار كتابة أسعار العطاء بالعملة السعودية رقماً وكتابة كشرط أساسي لقبول العطاء .

وزارة الزراعة والمياه

إدارة المواد ــ قسم المناقصات والمشتريات

« اعلان مناقصة »

عدد	اسم المناقصة	رقمها	قيمة المواصفات	آخر موعد لقبول العطاءات	موعد فتح المظاريف
١	توريد آليات رش لمستودعات الوزارة بالرياض .	٢/١٣	٢٠ ريال	الاربعاء ٩٠/٢/٨	الخميس ٩٠/٢/٩
٢	نقل المهمات من الوزارة وإليها .	١١/١٥	١٥ «	الخميس ٩٠/٢/٩	السبت ٩٠/٢/١١
٣	حفر بئر يدوية بعلقان للمرة الثانية .	١/١٢	٢٥ «	السبت ٩٠/٢/١١	الأحد ٩٠/٢/١٢
٤	حفر بئر بالصبيخة للمرة الثانية .	١/١٠	٢٥ «	الاحد ٩٠/٢/١٢	الاثنين ٩٠/٢/١٣

تعلن وزارة الزراعة والمياه عن طرحها بالمناقصة العامة المناقصات الموضحة بعاليه ، فعلى السادة الذين يرغبون الاشتراك فيها مراجعة (قسم المناقصات والمشتريات بالوزارة) بموجب طلب خطي للحصول على نسخة من الشروط والمواصفات وتقديم عطاءاتهم من أصل وصورتين داخل ظرف مختوم بالشمع الأحمر ومعنون باسم (رئيس لجنة فتح العطاءات) علماً بأنه سيتم فتح العطاءات في تمام الساعة العاشرة بالتوقيت الزوالي من التاريخ المحدد لفتح العطاءات بعاليه وحسب تقويم أم القرى ، وستطبق نصوص نظام المناقصات والمزايدات فيما يتعلق بتقديم العطاءات والتعاقد ، وللعموم جرى نشره . وعلى مقدم العطاء أن يراعي عند إعداد قائمة الأسعار كتابة أسعار العطاء بالمداد بالعملة السعودية رقماً وكتابة ويعتبر ذلك شرطاً أساسياً لقبول العطاء .

« مناقصة صيانة آلات مكتبية »

تطرح وزارة المواصلات في المناقصة العامة عملية صيانة الآلات المكتبية الموجودة بأجهزة الخدمة لديها لمدة عام واحد ، وعلى من يرغب الدخول في هذه المناقصة من أصحاب الاختصاص في هذا الحقل مراجعة الشؤون المالية بالوزارة للحصول على نسخة من الشروط والمواصفات الخاصة بذلك نظير دفع مبلغ عشرة ريالات للنسخة الواحدة ومن ثم تقديم عطائه داخل ظرف مختوم بالشمع الأحمر ومعنون باسم (وكالة وزارة المواصلات للطرق والموانىء).

وقد حدد آخر موعد لقبول العطاءات نهاية الدوام الرسمي من بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٢ / ٢ / ١٣٩٠ الموافق ٢٩/٤/١٩٧٠م على أن يتم فتح مظاريف العطاءات في الساعة العاشرة من صباح اليوم الذي يليه .

جـــامعة الدول العـربيـة

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي يمنح جوائز لأهم مخطوط نادر حول اللغة العربية أو بحث في نفس الموضوع

يعتزم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي تنظيم مسابقات سنوية يوزع فيهـا جوائز باسم كل دولة عربيـة ، وذلك في موضوع يتصـل باختصاصات المكتب ، وقد اختار هذا العام بمناسبة الذكرى الاربعينية لصاحب الجلالة ملك المغرب الحسن الثاني نصره الله لندشين هذه البادرة أن يكون موضوع المسابقة التي تجري على الصعيدين العربي والإسلامي ما يلي :

– تقديم مخطوط قديم أو بحث حول اللغة العربية –

وتخصص لذلك جائزة قدرها خمسة آلاف درهم أو ما يقابلها من عملات أجنبية مع جوائز ثانوية أخرى ، ويشترط أن يكون المخطوط القديم في موضوع اللغـة العربية على شكل معجم أو دراسات أو أبحـاث غميسة (لم يسبق نشرها) وأن يكون ذا قيمة جديرة بالاعتبار ويوجه إلى المكتب النص الأصلي أو صورة منه . كما يشترط أن يكون البحث مستوعباً أصيلاً لم ينشر قبل فـيما لا يقـل عـن خمسين صفحـة من الحجم المتوسط . وستدرس المخطوطات والأبحاث وتخصص الجوائز من طرف لجنة تحكيم تتكون من ممثل المكتب الدائم مع أربعة خبراء في اللغة ، ويكون إرسال الوثائق من ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ إلى نهاية يونيه .

والإعلان عن النتائج سيتم في الوقت المناسب بعد هذا التاريخ .

وللمكتب الحق في نشر الطبعة الأولى فقط من المخطوط أو الإنتاج الحاصل على جائزة ، وكذلك نشر جميع الأبحاث القيمة الواردة على المكتب مع إهداء مائة فصلة من البحث المنشور لصاحبه .

ونسخ الأبحاث الواردة على المكتب لا ترجع لأصحابها بخلاف أصول المخطوطات .

المدير العام للمكتب



= كل طلب غير مرفق بالمبلغ المحدد يهمل نهائياً =

المغانم المطابة
في
معالم طابة

تأليف

مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي

٧٢٩ - ٨٢٣ هـ ، ١٣٢٩ - ١٤١٥ م

(قسم المواضع)

تحقيق

حمد الجاسر

- — أوفى كتاب يحدد أمكنة المدينة المنورة وما حولها
- — صفحاته : ٦٤٧
- — الثمن : ١٥ ريالاً للمجلد ورق ابيض صقيل

١٢ ريالاً للمغلف » » »

دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

الرياض - المملكة العربية السعودية

من أهدافها :

- انشئت هذه الدار لنشر - ما تستطيع نشره - مما يتعلق ببلاد العرب (لاسيما المملكة العربية السعودية) من مؤلفات، مما قد يكشف عن بعض النواحي الخفية، من تاريخ تلك البلاد، أو جغرافيتها، أو أدبها، أو تراثها الفكري.

- ترجمة بعض المؤلفات التي لها صلة بالجزيرة، مما قد يلقي ضوءاً على جانب مجهول يتعلق بها، من رحلات، أو دراسات.

- الإسهام بقدر الإمكان - بنشر مؤلفات أبناء البلاد، مما يضيف إلى أدبنا أو ثقافتنا العربية جديداً.

وبالاضافة إلى ما تقدم : تقوم الدار :

- بالإشراف على طبع ما يراد طبعه، والقيام بتصحيحه، وفق رغبة صاحبه. مما يتفق مع أهداف الدار - من كافة المطبوعات.

العنوان: شارع الملك فيصل - المملكة العربية السعودية
هاتف الجمهور (٢٤٣)
صندوق البريد (١٣٧)

صدر حديثاً :

المحمدون من الشعراء وأشعارهم

تأليف

علي بن يوسف القفطي

المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م

★

حققه وقدم له ووضع فهارسه

حسن معمري

★

راجعه وعارضه بنسخة المؤلف

حمد الجاسر